الكتاب الأول

الشرق خلال العصر الهلينستى

١- سيطرة مقدونيا وبداية العصر الهلينستي

نهوض مقدونيا:

سيطرت عدة مدن دول على تاريخ بلاد الاغريق خلال العصر الهلينستي، وهكذا كانت مدن كاثينا واسبرطة وطيبة وأرجوس وكورنثا مرطن كل الأحداث الكبرى وطرفا فى كل الحروب والمنازعات ومركزا للتحولات الاجتماعية والعسكرية من بداية القرن السادس ق.م على الأقل. ولكن دخلت هذه المدن فى فترة اضمحلال وانهيار ابتداء من القرن الرابع وهكذا لاحظنا أن هذه المدن بدأت تتخلى عن مركزها القيادى لمجموعة من المدن الاخرى لم تكن ذات أهمية قبل منتصف القرن الرابع .

فنجد مثلا مدينة صغيرة هى فوكيس تشغل العالم الاغريقى بعد عام ٣٥٦ق.م لمدة عقد كامل بحربها المقدسة ضد بيوتيا ولوكريس وتساليا ومقدونيا. وفى نفس العقد أيضا نجد الملك موسولوس فى مملكة كاريا يتبوأ مكانا مهما فى عالم الاغريق يصل الى حد أن يكون ضالعا فى الأحداث التى أدت الى القضاء على الأمبراطورية الأثينية الثانية. ونجد مثالا ثالثا فى تساليا حيث استطاع جاسون ملك فيراى Jason of pherae أن يوحد جهود مدن تساليا تحت قيادته ولأن عاد الأمر لما كان عليه من قبل بمجرد وفاته. وفى الشمال نجد مثالا رابعا فى مقدونيا حيث نجح ملوكها فى

توحيد جهود القبائل فيها كتساليا ولكن هذا النجاح يستمر حتى تصبح مقدونيا فى القرن الرابع هى القوة الكبرى فى بلاد الاغريق وتكون قادرة على أن تضع حدا للعصر الكلاسيكى فى بلاد الاغريق وأن تبدأ بالعالم عصرا جديدا هو العصر الهلينستى(١).

تختلف مقدونيا عن باقى بلاد الاغريق من عدة وجوه، فهى أولا تتكون من اقليمين السهل الساحلى المطل على خليج ثيرماى وهذه كانت مقر الحكومة المركزية ومحيط سلطتها المباشرة وهناك الاقليم الثانى ويضم المرتفعات الداخلية وكان الملك المقدونى يفرض عليها نفوذا ضعيفا. ومقدونيا ذات مناخ قارى، ولم تقم فيها مدن دول على عكس باقى بلاد الاغريق. وحتى نهاية العصر الكلاسيكى كان الوجود القبلى مايزال قويا فيها، وكانت تمارس السلطة العليا فى الدولة حكومة ملكية منتخبة بالرغم من أنها وراثية فى أسرة واحدة. وكان الملوك المقدونيون - كما هو الحال فى المجتمعات الشبيهة من حيث درجة التقدم - ملوكا زمنيين وكهنة وقضاة وقادة للجيوش وأمناء للمال . وكان بقاء الملك رهن برلاء النبلاء الذين كانت

---

(١) معلوماتنا عن مقدونيا قبل إعتلاء فيليب الثانى للعرش تعتمد على فقرات ذكرها الكتاب الاغريق هناك وهناك.

فضلا عن نقش لاتينى على لوحة حجرية يؤرخ من عام ١٠١م عثر عليه فى عام ١٩١١م فى شمال تساليا. هذا النقش يذكر قرار الامبراطور الرومانى لتحديد خط الحدود بين أقاليم تلك المنطقة ويستشهد بما قام به الملك أمونتاس الثالث ملك مقدونيا فى القرن الرابع ق.م عندما ثار مثل هذا الخلاف من قبل.

تشدهم اليه روابط شخصية وصلات عائلية ومن هنا كانوا يعتبرون ترابة الملك ورجال قصره وكانوا يتحدثون اللغة الاغريقية. وكان الفنانون والأدباء يترددون على بيلا Pella عاصمة مقدونيا ويكفى أن من بين من أقاموا هناك لبعض الوقت المسرحى يوريبديس والرسام زيوكسس Zeuxis والمفكر العظيم أرسطو. وكان المشرفون على الالعاب الأولمبية يعتبرون الملوك المقدونيين اغريقا يسمح لهم بالاشتراك فى الالعاب ولكنهم لم ينظروا الى الشعب المقدونى بنفس النظرة.

كانت امكانيات مقدونيا كبيرة، فأهلها أشداء ولديها كثير من الأراضى الخصبة ومخزونا ضخما من الأخشاب والمعادن. ومع ذلك فقد احتاجت مقدونيا لوقت طويل حتى تحقق رخاءها وذلك لأنها عانت أكثر من أى دويلة اغريقية أخرى من ضغوط البرابرة، حيث كان الاليريون يضغطون عليها من الغرب والبايونيون Paeonians من الشمال والتراكيون من الشرق، وظل الاغريق يحتفظون لأجيال بمستوطنات على الساحل. وهكذا كان المقدونيون مشغولين بمشاكلهم الدفاعية وأرضهم العالية والمنخفضة لدرجة أن أمرهم هان على الاغريق فاستبعدوهم كخطر محتمل، اذ لم يشغل بال أثينا مثلاً احتمال سيطرة مقدونيا على تراكيا وبالتالى تهديد طريق القمح الأثينى عبر الهلسبونت، أو احتمال تحول مقدونيا الى قوة بحرية ذات شأن بحيث يمكنها أن تفرض رقابتها على ذلك الطريق، ولذلك لم تضعها يوما فى خططها.

عندما سقط برديكاس الثالث المقدونى صريعا فى عام ٣٥٩ق.م أثناء معركة ضد الاليريين أختير شقيقه فيليب كوصى على الملك الطفل أمرتاس، ولكنه سرعان ما أزاح الطفل وتولى العرش. كان فيليب قد تدرب على التكتيكات الحربية الجديدة التى عرفتها طيبة أثناء قيادة أبامينونداس وبيلوبيداس Epaminondas & Pelopidas حيث قضى هناك ثلاث سنوات وكانت لديه الفرصة لكى يتعرف على تطوير نظام الفيلق Phalanx الذين ساعد طيبة على اكتساح مشاة الجيش الاسبرطى (hoplites) فى معركة ليوكترا وفى مانتينيا (١). وبالرغم من هذه الخبرات فان سياسة واستراتيجية فيليب كانت خاصة به، فقد تميز بقدرة فائقة على اختيار الوقت المناسب والوسيلة فى التعامل مع الدول الاغريقية الأخرى لدرجة أن اعداءه لم يكونوا يكتشفون مراميه إلامتأخرا وعادة كانت حركتهم لمواجهة تدابير فيليب تأتى بعد فوات الأوان. وهكذا نلاحظ أنه رغم قدرات فيليب العسكرية الممتازة إلا أنه كان يعرف متى تؤدى الوسائل الأخرى الى نجاح له نفس أثر الانتصار الحربى.

كانت الخيالة عصب الجيش المقدونى، وكانت نواة الخيالة المقدونية هى تلك المجموعة التى تشمل الفرسان النبلاء من مختلف القبائل الذين

---

(١) ولد فيليب فى ٣٨٢ أو ٣٨٢ ق.م وقضى ثلاث سنوات خلال الفترة من ٣٦٩ الى ٣٦٥ كرهينة سياسية فى طيبة، وكان معه فى الاسر ٣٠ من أبناء أهم نبلاء مقدونيا. يقال أنه كان متشيعا بشدة لأفكار إبامينونداس.

ارتبطوا بوشائج ولاء خاص بالملك، كذلك دعم فيليب قوى المشاه ثقيلة العدة وعدل نظام الفيلق «الفلانكس» العادى بتسليحه بحراب أطول(Pikes) كما وسع المسافة بين كل جنديين، وهكذا أعطاهم قدرة أكثر على الحركة. ولكن الشيء الذى فاق أهمية اصلاحات فيليب لنظم الجيش كانت قدرته على أن يمد الجيش بطاقة هائلة من الحماس مكنت جنوده من أن يتخطوا عقبة انتمائهم الى قبائل متعددة، وبذلك أصبحوا قوة ضاربة موحدة. وقد استطاع فيليب عن طريق استمرار ولاء جيشه له والحملات الناجحة التى خاضها استطاع أن يجعل الجيش المقدونى فى حالة من القوة بلامثيل فى بلاد الاغريق أو فى أى مكان آخر.

كانت المهمة الأولى لفيليب غداة اعتلى العرش هى تحرير مقدونيا من تهديد البرابرة. وقد استطاع التخلص منهم واحدا بعد الآخر فهزم Paeonians أولا ثم الليريين(٣٥٨) (١). وقد قدم ملك ابيروس لفيليب عرفانا بالجميل للتخلص من ضغوط الاليريين أثول قدم له ابنته أوليمبياس عروسا له، وأنجبت له هذه السيدة طفلا فى عام ٣٥٦ أسماه الاسكندر (٢).

اتجه فيليب الى توسيع أملاكه بعد أن تخلص من ضغوط البرابرة فى الوقت الذى كانت أثينا مشغولة بالصرعات السياسية والاجتماعية

---

(١) Diod. XVI , 4. 2-7

(٢) تم زواج أوليمبياس من فيليب عام ٣٥٧ق.م وقد أنجبت منه كليوباترة بعد الاسكندر. توترت علاقاتها بزوجها لكثرة علاقاته وزيجاته. أطلق كاسندر عليها شائعة بأنها كانت السبب فى قتل زوجها ماتت مقتولة فى عام ٢١٥ ق.م.

فاسترلى فيليب على امفيبولس(٢٥٧)، ومن هنا تحرك لإقامة قلعة فيليب Philippi التى أمنت له الوصول الى مناجم الذهب الغنية فى جبل بانجيرس Pangaeus ولقد أدى انتاج ألف تالنت من الذهب سنويا الى جعل مقدونيا مستقلة اقتصاديا وقدم لفيليب المصادر المالية الضرورية لتمويل مشروعاته الطموحة (١) كانت خطوة فيليب التالية هى الاستيلاء على الاملاك الأثينية المتبقية فى الاقليم ولكى يقوم بذلك تحالف مع العصبة الخلقيدونية. كانت أثينا ماتزال مشغولة بصراعاتها السياسية والاجتماعية ولذلك لم تستطع أكثر من أن تسعى لاثارة الاليريين والتراكيين ضد فيليب ولكن كان من الصعب منع سقوط بوتيدايا Potidaea فى عام ٣٥٦ق.م(٢) وبعد عامين ميثونى المستعمرة الأثينية الأخيرة فى أيدى فيليب.

وبالرغم من الاهانة التى لحقت بأثينا فانها كانت راغبة فيما يبدو عن الصدام مع فيليب ولقد كان هذا يعود الى تركيز اهتمامات أثينا فى منطقة الهلسبونت والبوسبورس Bosporus وهى مناطق لم تكن قوات

---

(١) كان لدى مقدونيا عدد من مناجم الفضة التى عرفها ملوك مقدونيا قبل فيليب مثل منجم جبل Dysoron قرب بحيرة Prasias وكانت مستغلة منذ أيام الاسكندر الاول (Hdt V, 17, 2) فضلا عن مناجم أخرى فى Damastion ولن كان أغناها منجم يقع خلف Strymon فى الشرق. وقد وضع فيليب يده عليها جميعا.
Ellis , Philip II , 33-4 & 235-9.

(٢) بوتيدايا Potidaea مستوطنة كورنثية اقيمت فى شبة جزيرة خلقيدونية. إنضمت للعصبة الديلية. ثارت ضد أثينا بمساعدة كورنثا عام ٤٣٢. إستولى عليها فيليب الثانى فى عام ٣٥٦ ق.م. ودمرها أعاد بناء المدينة كاسندر وعرفت المدينة الجديدة باسم كاسندريا.

فيليب قد هددتها مباشرة حتى ذلك الوقت، وذلك لانشغال الاثينيين فى المعارك الداخلية بينهم. والمعروف أنه منذ عام ٣٥٨ شكلت هيئة مالية مستقلة للاشراف على اعتمادات الاحتفالات الدينية رأسها يوبولس Ubulus اعتبارا من عام ٣٥٤ق.م وكان هذا الرجل يرى ضرورة اضافة أى فوائض فى ميزانية المدينة على هذه الهيئة، وكان هذا يعنى اعطاء الأولوية لإقرار السلم حيث كانت ميزانية تلك المؤسسة توجه لمساعدة الفقراء فى الاحتفالات، بينما كان هناك رأى قوى آخر يدعو الى توجيه هذه الفوائض الى الجيش. وكان يتزعم أصحاب الرأى الأخير ديموستنيس الذى بدا منذ عام ٣٥١ ق.م يوجه النظر الى خطورة مقدونيا على اعتبار أن أى دولة تسعى لفرض سيطرتها على بلاد الاغريق لابد وأن تمثل وبطريقة آلية تهديدا مباشرا لأثينا. ندد ديموستنيس بفيليب وحاول أن يقنع الاثينيين بالأخطار المتوقعة من جانبه ولكن الأثينيين تحركوا ببطء دون تقدير لخطورة زيادة مداخيل مقدونيا الموحدة.

وبعدأن قضى فيليب على خطر البرابرة واستولى على مواطئ أقدام أثينا فى مقدونيا، تحرك فيليب ضد العصبة الخلقيدونية ورغم أن العصبة لم تكن حليفا لأثينا الا أن ديموستنيس (١) دعا مدينته الى الوقوف معها

---

(١) عاش فيما بين ٣٨٤ و٣٢٢ ق.م. كان أعظم خطباء اليونان تسبب فى شهرته مجموعتان من الخطب كل منها تضم ثلاث خطب عرفت الأولى بالفيليبيات . وقد هاجم فيها أهداف فيليب و إعتبره الخطر الذى يتهدد حرية الاغريق أما المجموعة الثانية فقد .

ومساعدتها. وكانت ثررة قد وقعت فى ايوبيا التابعة لأثينا، كان وراءها فيليب. لم تكن أثينا قادرة على أن ترسل الى هناك أكثر من بعض المرتزقة وعدد قليل من السفن، بل انها ارسلت هذه المساعدات على دفعات ومن ثم لم تستطع أن توقف تقدم فيليب، واستطاع فيليب أن يستولى على مدن عصبة خلقيدونية واحدة تلو الأخرى كما وقعت أولينثوس عاصمة العصبة فى يده فى اغسطس عام ٣٤٨ق.م فنهبها جنوده وشتتوا أهلها(١).

أرادت أثينا أن تساعد عصبة خلقيدونية ضد فيليب المقدونى ولكن كانت ميزانيتها منهكة فى جهودها المستمرة لاسترجاع ايوبيا. ولذلك قبلت عقد صلح مع فيليب هو صلح فيلوكراتيس Philocrates فى عام ٣٤٦ق.م وأشارت بنود الصلح الى سقوط امفيبولس وهو مايعنى أن أثينا قد عزلت عن أملاكها فى منطقة الهلسبونت (٢). وأخيرا تقدم فيليب نحو تحقيق

= عرفت بالأولنثيات وحارل فيها إستنهاض هم الاغريق لانقاذ مدينة أولينثوس قبل الوقوع فى يدى فيليب. فضلاً عن مجموعة أخرى مشهورة من الخطب. إستمر ديموستينيس ذات مكانة مرموقة فى أثينا حتى بعد سقوطها فى أيدى فيليب. وعندما عاد الى وطنه بعد وفاة الاسكندر الاكبر لاحقه سوء الحظ حتى انتحر مفضلا الموت على الوقوع فى أيدى انتيباتروس.

(١) كان فيليب قد عقد تحالفا مع أولنثوس زعيمة العصبة الخلقيدونية فى عام ٣٥٧ \ ٣٥٦ وكان الحلف لصالح الطرفين والخاسر فيه أثينا. ولكن عام ٣٥٠\٣٤٩ اقدمت أولنثوس على احتضان إثنين من المتمردين على العرش المقدونى مما إعتبره فيليب سببا كافيا للسير ضدها غازيا فى خريف ٣٤٩ق.م.

(٢) إشترك كل من ديموستنيس وايسخينيس خطيبى أثينا فى عقد الصلح مع فيليب. ومع ذلك فقد تنصل ديموستنيس من مسئولية عقد هذا الصلح بل واتهم إيسخينيس بتلقى رشوة من فيليب وهى التهمة التى برأته المحكمة منها.

الخطوة الاخيرة بالحصول على مقعد لمقدونيا فى امفكتيونى دلفى او العصبة المقدسة وهو مايحمل اعترافا اغريقيا بأن مقدونيا اغريقية وليست بربرية. وكان هذا الامفكتيونى يضم المدن الهامة كأثينا واسبرطة وقد تم لفيليب ذلك بعد نجاحه فى أنهاء الحرب المقدسة الثالثة التى استمرت عشر سنوات وابعاده فوكيس عن مقعدها.

كانت أثينا حتى ذلك الوقت غير قادرة على اتخاذ قرار نهائى ضد فيليب فأحزابها فى الداخل كانت منقسمة على نفسها حزب يقوده ديموستنيس ويدعمه هيبريدس Hyperides وليكورجوس Lycurgus وكان يحبذ الحرب مع مقدونيا وحزب يدعو للسلام يقوده يوبولس وفوكيون والخطيب ايسخينيس Phocion & Aeschines وقد وصل الصراع بين الحزبين ذروته فى عام ٣٤٣ عندما اتهم ديموستنيس ايسخينيس بقبوله رشوة من فيليب فى مقابل اتمام صلح فيلوكراتيس، ورغم أن المحكمة برأت ايسخينيس، الا أن الشعور العام فى أثينا كان يتجه ضد فيليب. ورجحت كفة الحزب الذى يدعو لحرب فيليب فى أثينا، عندما هاجم فيليب تراكيا بعد أن أمن كل الواجهات الأخرى وسيطر عليها فى عام ٣٤٢-٣٤١ق.م. وكنتيجة لذلك أصبحت مقدونيا فى مركز يسمح لها باغلاق طريق القمح الرئيسى عبر البوسبورس Bosporus والهلسبونت.

وفى الحال اقامت أثينا حلفا مع أثنتين من المدن الاستراتيجية فى

تلك المنطقة وأتصدبهما بيرنظة وبرينثوس Perinthus ، وعندما هاجمهما فيليب استطاعت جهود المساعدة الأثينية أن تعرق استيلائه عليهما. عندئذ ونظرا لأن أثينا لم تترك أمام فيليب من وسيلة لكسر معارضتها لتوسعه سوى الحرب، قرر فيليب أن يزيل العقبة الأخيرة أمام خططه للسيطرة على بلاد الاغريق، فأعد حملة برية لغزو أتيكا، وادعى فيليب تأييده للامفكتيونى ضد مدينة متمردة حتى يسمح له بأن يقود جيشا كبيرا فى وسط بلاد الاغريق القارية دون أن يثير الشكوك حول أهدافه، وتقدم فى ربيع ٣٣٨ق.م نحو وسط بلاد الاغريق. اضطرت أثينا فى يأس الى تحويل ميزانية الاحتفالات لحساب الحرب واستعانت بعدوتها القديمة طيبة، ولكن طيبة كانت مترددة فى مواجهة القوة المتنامية لمقدونيا، ورغم هذا فقد تشجعت على اعلان انسحابها من حلف فيليب. خاصة بعد أن وعدت أثينا بتحمل ثلثى نفقات الحرب وتم التحالف فى خيرونيا فى صيف ٣٣٨ق.م وتلاقت قوات فيليب مع قوات بلاد اليونان بزعامة أثينا فى واحدة من أكثر المعارك حسما فى تاريخ الاغريق.

لقد دعم فيليب جناحه الأيسر، حيث وضع الفيلق المقدونى والخيالة تحت قيادة الاسكندر، وفى نفس الوقت ترك جناحه الأيمن ضعيفا. وهكذا أبيد الطيبيون الذى واجهوا ميسرة الجيش المقدونى، أما الأثينيون الذين كانوا يتقدمون فى مواجهة الميمنة الضعيفة للجيش المقدونى سرعان ما أحيط بهم فتشتتوا أو هربوا من ميدان المعركة وبعد أن فرض فيليب شروط

صلح متساهلة مع أثينا توجه الى كورنثا حيث دعى الاغريق الى اجتماع أرغمهم فيه على تكوين عصبة انضموا اليها جميعا ماعدا اسبرطة. وأصبح الملك المقدونى هو الرئيس التنفيذى للعصبة وقائدها العسكرى، وتكون مجلس يمثل الاعضاء الذين كان كل منهم يتمتع باستقلال ذاتى. ونصت شروط الاتحاد على أنه لايجوز لاحد من الاعضاء أن يعلن الحرب ضد عضو آخر، حيث كان يجب على الأغريق أن يرتبطوا منذ الآن بسلام (١). وهكذا تحققت من الناحية النظرية على الأقل دعوة ايسوقراطيس الى الوحدة.

لم ينص قانون الاتحاد على فرض ضريبة على الأعضاء ولكن الأعضاء وافقوا على أن يقدموا مساهمات الى الجيش الأتحادى وأن ينضموا الى المقدونيين فى حرب ثأرية ضد الامبراطورية الفارسية انتقاما مما فعله أكسيركسيس Xerxes ببلاد الاغريق (٢) وكمقدمة لتلك الحرب أرسل فيليب قوة استطلاع الى آسيا الصغرى فى ربيع ٣٣٦ق.م ولكن قبل أن يلحق بها اغتيل أثناء زفاف ابنته وخلفه على العرش ابنه الاسكندر الذى أنتخب على عجل لكى يملأ الفراغ الذى تركه مقتل فيليب (٣).

---

(١) نص القسم Tod . No . 177

(٢) إنظر تفاصيل الصراع فى:
فوزى مكارى، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته، الدار البيضاء، ١٩٨٠ص ص١٢٩ومابعدها

(٣) قتله شخص يدعى بوزنياس، كان قد تعرض لإهانة منه ولم يستطع الوصول لحقه، وقيل أن اوليمبياس وكذلك الاسكندر لم يستبعدا اليه. وان كان ديودور قد ذكر تفاصيل الحادثة دون أن يشير لاى دور لاوليمبياس أو الاسكندر فيها.

ورث الاسكندر كل انتصارات أبيه وكذلك كل الثروات التى كونها أبوه بحرص وكان مايزال عند اعتلائه للعرش دون سن العشرين. كان الجيش فى أحسن حالاته كما بدى الأغريق تحت سيطرته الكاملة. ولكن الاسكندر ورث أيضا مشاكل الحكام المقدونيين. بعضها مشاكل أسرية، منها اضطراره للقضاء على ثلاثة من المطالبين بالعرش، ومنها ماقامت به أمه التى كانت قد طلقت من فيليب غير بعيد قبل مقتله عندما انتقمت لنفسها بقتل طفل كليوبترة، السيدة التى ازاحتها، ثم دفعت كليوبترة نفسها الى الانتحار. المشاكل الأخرى التى واجهها الاسكندر كانت لها نفس القسوة والسرعة اذ ثار الأعداء التقليديون للمقدونيين، كالتراكيين والاليريين ولكن الاسكندر نجح فى هزيمتهم فى معارك صغيرة (فى عام ٣٣٥). وفى ذلك الوقت انتشرت شائعة كاذبة عن موت الاسكندر شجع ذلك الاغريق على الثورة، فسار الاسكندر ضدهم جنوبا واستولى على طيبة ودمرها، فيما عدا المعابد وبيت بنداروس الشاعر، كما أمر بقتل السكان أو بيعهم عبيدا(١). كانت قسوة الاسكندر على طيبة رسالة الى الاغريق آتت أكلهافورا، اذ أسرع الاغريق الذين صعقتهم أخبار تدمير واحدة من مدنهم

---

(١) ذكر بلوتارخ Alexander 10.6-11 انه إستثنى الكهنة والضيوف من ذوى العلاقة الطيبة مع مقدونيا، وأحفاد بنداروس وأولئك الذين عارضوا القيام بثورة ثم قام ببيع باقى سكان طيبة وكانوا فى حدود ٣٠ الفا، أما الموتى فقد وصل عددهم ٦٠٠٠ قتيلاً.

ذات المكانة بينهم أقول اسرعوا للعودة الى حلفهم مع الاسكندر وصوتوا لصالح مطالب الاسكندر بتدعيمه في مشروع غزوه للفرس الذى كان قد خطط له ابوه من قبل.

وفى عام ٣٣٤ عبر الاسكندر الى آسيا الصغرى ومعه جيش من ٣٠,٠٠٠ ألفا من المشاة و٥,٠٠٠ فارس (١). مر على طروادة حيث قدم القرابين لروح الملك بريامورس ونثر الاكاليل على قبر سلفه وشبيهه أخيليوس(٢)، ويقال أن حارس الاسكندر الخاص كان يحمل درعا يعود الى أيام حرب طروادة أخذ من معبد أثينا وأن هذا الدرع قد حمى الاسكندر بعد ثمانية سنوات من هذا التاريخ عندما تعرض لمكيدة فى قلعة بالهند أثناء واحدة من أعماله الجريئة.

الانتصار على الفرس :

كان الهدف الرئيسى للاسكندر خلال المرحلة الأولى من حملته ٣٣٤-٣٣١ق.م هو تدمير القوات المسلحة الفارسية في غرب امبراطوريتهم

---

(١) ذكر ديودور XVII.17.3-4 أن جيش الاسكندر ضم ١٢ ألفا من المشاة المقدونيين و٧ آلاف من الحلفاء و٥ آلاف من المرتزقة وكان هؤلاء جميعا تحت قيادة بارمينيون. كما ضم الجيش سبعة آلاف من قبائل Illyrians ,Triballians , odrysians وألفا من رماة السهام. أما الفرسان فضم الجيش منهم ١٨٠٠ من المقدونيين تحت قيادة Philotas إبن بارمينيون، و١٨٠٠ من التساليين تحت قيادة Callas إبن هربالوس و٦٠٠ من فرسان الاغريق بقيادة Erygius و٦٠٠ من التراكيين والبايونيين بقيادة كاسندر. وكان هذا هو كل جيش الاسكندر عند بداية الحملة.

(٢) Plutarch , Alexander . 15 .

وحيث أن رجال اسطوله كانوا فى أغلبهم من الاغريق وبالتالى لم يكونوا محل ثقته. فقد فضل الاسكندر أن يخوض حروبا برية تشل حركة القوات البرية الفارسية من ناحية وتلغى أهمية البحرية الفارسية وتأثيرها على سير المعارك. وقع الصدام الأول مع القوات الفارسية على نهر جرانيكوس Granicus ، غير بعيد عن الهلسبونت. وهناك وجد الاسكندر مجموعة من الخيالة الفرس والمرتزقة الاغريق ينتظرونه على الشاطئ الآخر وكما هو الحال فى كل معاركه، واجه المناورشات الأولى للقواد الفرس الذين كانت تكتيكاتهم متأخرة عن تلك الخاصة بالاغريق بعد التطورات العسكرية الحديثة التى عرفتها بلاد الاغريق على يد طيبة ثم فيليب، ثم اندفع الاسكندر عبر النهر، وشتت قوات الخيالة المعادية كما أفنى المشاة الباقيين بدون حماية، وقد أدى هذا الانتصار المبكر إلى تماسك العصبة الكورنثية ووقوفها الى جانب حملته ضد الفرس.

تقدم الاسكندر من نهر جرانيكوس لكى يحرر المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى من الحكم الفارسى، وكانت هذه المدن كما نعلم قد تحررت قبل ذلك عدة مرات على أيدى محررين مختلفين، كما تعرضت أيضا للاكتساح عدة مرات. وفى تلك الأثناء فشل الاسطول الفارسى فى تحريض الاغريق على الثورة ضد الاسكندر (١).

---

(١) Arrian, I. 17.

تقدم الاسكندر في خريف ٣٣٣ الى اسوس Issus حيث جمع الفرس تحت قيادة داريوس الثالث قوة كبيرة من المرتزقة الاغريق والقوات الفارسية، وهناك تقابل الطرفان في معركة من أهم ثلاثة معارك خاضها الاسكندر، وقد انتصر فيها كما حدث في المعركتين الأخريين بسبب قدرته السريعة على الامساك بزمام المبادرة وجعل تحركات العدو رد فعل لحركته. هاجم الاسكندر كما كانت عادته بمجموعة الخيالة ثقيلة العدة فشتت أعداءه ثم حصن الفرق الأخرى من الخلف. هرب داريوس تاركا وراءه أمه وزوجته وأولاده الذين استخدمهم الاسكندر كرهائن ذوي فائدة سياسية فعاملهم برفق رغم وضعهم تحت الحراسة (١).

وبدلا من أقتفاء أثر الملك الكبير داريوس فان الاسكندر اتجه جنوبا

---

(١) ذكرت هذه الحادثة عند كثير من المؤرخين وقد ذكر أريان (Arrian 11,14.) خطابين متبادلين بعد المعركة بين داريوس والاسكندر. يطلب داريوس في الأول من الاسكندر أن يرد عليه أمه وزوجته وأولاده وأن يعقد معه إتفاقية تحالف وصداقة. ويذكر له أن العلاقات في السابق كانت طيبة بين المقدونيين وأرتاكسيركسيس. وأثناء حكم خلفه أرسيس كان المقدونيين هم الذين بدأوا بالعدوان.

وقد ذكر أريان رداً للاسكندر على ذلك يوضح لداريوس أن هذه المعارك كنتيجة لصراع طويل من العدوان الفارسي على مقدونيا وباقي بلاد اليونان. ويذكر في الخطاب تفاصيل لمحاولات داريوس إفساد خطط الاسكندر في جمع الاغريق وعقد سلام بينهم. ويتهمه برشوة الاسبرطيين وفشل نفس المحاولة مع مدن إغريقية أخرى. ثم يقول له بأنه عبر الى آسيا باعتباره قائداً لحلف كل الاغريق لعقاب الفرس. ومع ذلك فالفرس هم الذين بدأوا القتال. وهزم القادة والولاة الفرس في جرانيكوس، كما هزم داريوس في إسوس. ويطلب الاسكندر من داريوس أن يأتي بشخصه ليطلب منه حرية زوجته وأمه وأولاده ولكي يعترف بأنه ملك كل آسيا. وينبهه بأن عليه من الآن أن لايخاطبه باعتباره ندا له. وإن رفض ذلك فعليه أن يدافع عن الملك الذي يدعيه.

على الساحل الفينيقى تنفيذا لسياسته بالعمل على فصل القوة البحرية الفارسية عن القوات البرية، وسرعان ماسقطت صيدا وبيبلوس وأرادوس Aradus ولكن صور قاومته سبعة شهور كاملة من الحصار المر قبل أن تسقط فى يديه. استمر الاسكندر جنوبا على الساحل فاستولى على مدينة غزة بعد شهرين من الحصار بعد أن سقط آخر المدافعين عنها.

اتجه الاسكندر بعد ذلك نحو مصر التى دخلها دون مقاومة فى أواخر عام ٣٣٢ق.م وفى ممفيس قدم القرابيين للعجل المقدس أبيس وتوجه الكهنة فرعونا على مصر. اتجه بعد ذلك عبر النيل الى مصب الفرع الكانوبى حيث أسس مدينة الاسكندرية كمركز عظيم للأعمال والتجارة (١). ومن موقع الاسكندرية سافر عبر الصحراء الى واحة سيوة لكى يصلى فى محراب زيوس أمون. وهناك أعلنه الكهنة ابنا للاله وتلقى اجابات على تساؤلاته من آمون رفض الكشف عن تفاصيلها لأى انسان ولكنه سعد بما سمع (٢)، ونمت دعاوى حول الاسكندر تقول بسموه فوق مستوى البشر، وقد شجع هذه الدعاوى ميل الاسكندر الشخصي لاعمال البطولة وميل كل

---

(١) أشهر الروايات عن إنشاء الاسكندرية ذكرها أريان وبلوتارخ وقد ذكر أريان أن الاسكندر أثناء ذهابه الى معبد آمون بسيوه بعد أن مر على قرية كانوب (أبو قير) وهناك وجد منطقة محصورة بين البحر وبحيرة مريوط توقع أن تكون مكانا رائعا لإنشاء مدينة تحمل اسمه. وتوقع للمدينة بسبب مميزات الموقع أن تعيش في تطور وازدهار. وقد أحاطت بنشأة الاسكندرية أساطير أشهرها تلك التي ذكرها أريان حول إستخدام الإسكندر للدقيق لرسم حدود أسوارها وتخطيط أحيائها وكيف فسر له المعرف Aristander ذلك بأنه مؤشر لازدهار الاسكندرية ورخائها.

(٢) Arrian II.3-1.

الناس للعبادة فى محراب النجاح.

اتجه الاسكندر بعد مغادرته لمصر فى صيف ٣٣١ق.م نحو الشمال فسار عبر سوريا الى دجلة. كان يسد طريقه نحو بابل جيش ضخم جمعه داريوس من جميع أنحاء الامبراطورية ولكن هذا الجيش كان ضعيفا فى المشاة الثقيلة العدة وذلك بعد أن انقطعت اسباب الاتصال بمصادر الحصول على المرتزقة الاغريق المشهورين فى هذا الفن. ومع ذلك فقد تحوط داريوس للأمر بزيادة عدد الخيالة باستخدامه لعربات الاسكوذيين الحربية والتى قدر أنها سوف تقضى على المشاة المقدونيين، وبالرغم من أن داريوس هو الذى اختار ميدان المعركة فقد كان الاسكندر قادرا على أن يأخذ بزمام المبادرة فيها. سعى الاسكندر الى استدراج الصف الفارسى الطويل خارج مكنه على أن يتعامل مع أية فجوات تحدث، ولكى يتحقق ذلك تقدم بميل الى اليمين واضطر الاعداء أن يتحركوا معه، وعندما ظهرت فجوة بين القلب والجناح الأيسر اندفع فيها ومعه خيالته ثقيلة العدة وشق الصف الفارسى الى نصفين وكما حدث فى اسوس، هرب داريوس قبل انتهاء المعركة وتبعته اعداد كبيرة من قواته، ثم سار الاسكندر من جاوجميلا- التى وقعت فيها المعركة الاخيرة- الى بابل، حيث قدم القرابيين فى معابد الالهة وأمر باعادة ترميم معبد مردوخ Marduk الذى سبق أن دمره الفرس، ومع حلول شهر ديسمبر كان الاسكندر قد حل فى مدينة سوسة العاصمة القديمة لعيلام Elam والمقر الصيفى لملوك الفرس.

وفى منتصف الشتاء شق الاسكندر طريقه فى الجبال فى بلاد فارس نفسها واستولى على خزائن ملوك الفرس بما تراكم فيها أموال خلال قرنين من الزمان. وقيل أنه أحرق قصر اكسيركسيس وهو مخمور، على الرغم من أن المدافعين عن الاسكندر من بعد قالوا أنه فعل ذلك أشارة الى نهاية حكم الاخمينيين الفرس وللانتقام من الهجمات الفارسية ضد بلاد الاغريق فى أوائل ذلك القرن (١).

اتجه الجيش من برسيبولس الى اكباتانا Ecbatana عاصمة مملكة ميديا القديمة اذ كان يعتقد أن داريوس قد جمع جيشا كبيرا هناك ولكن الاسكندر وجد أن داريوس قد هرب مرة أخرى وبدأت المطاردة من جديد وعندما وصل الاسكندر الى حيث يوجد داريوس وجده قد قتل بيد حارسه الخاص فى يوليو سنة ٣٣٠.

الحملة على وسط اسيا (٣٣٠-٣٢٣ ق.م)

يمكننا القول بأن حملات الاسكندر ضد الفرس قد انتهت بموت داريوس بل لقد أصبح الاسكندر هو الملك الكبير ولابد من أن قواته قد

---

(١) أحرق الاسكندر قصر برسيبولس بعد أربعة شهور من إقامته هناك. وقد ذكر أريان خبر هذا الحريق فى فقرة قصيرة ولكن ديودور أفرد لها عدة فقرات ذكر فيها ظروف حريق هذا القصر. قال فى روايته أن الاسكندر أمر باشعال النار فى القصر وهو مخمور بعد تحميس إحدى النساء الأثينيات المدعوة Thais له. والملفت للنظر حقيقة أن إحراق الاسكندر للقصر كان ضد سياسته بتقريب الفرس اليه.

Diod. XVII . 70-2 .

منت النفس بأنه عائد لامحالة الى الاقاليم الغربية من آسيا- وهى أقاليم أكثر تمدنا- لكي يدعم انتصاراته ولكن كانت للاسكندر خطط أخرى. فلكي يحتفظ بميزوبوتاميا Mesopotamia كان ضروريا أن يسيطر على الهضبة الايرانية، ولكي يملك الهضبة يتطلب الامر أن يحتل الاقاليم الواقعة الى الشمال والشرق منها وذلك لكي يمنع توغل قطاع الطرق والرعاة الى آسيا الوسطى، فضلا عن أن الاسكندر كان مصمما أن يدفع بانتصاراته الى نهاية العالم المعروف وان اعتقد خطأ أنه لايمتد أبعد من الهندوس شرقا وقد أدت هذه الاهداف الى صدام الاسكندر مع قواته زاد من حدة هذا الصدام حرص الاسكندر- بعد موت داريوس -على الظهور بملابس فارسية فى مناسبات معينة مشاركا فى الاحتفالات الفارسية، فضلا عن أن الاسكندر بدأ يعين الفرس فى مركز ذات أهمية، وقد ادى هذا كله الى نوع من التمرد والاثارة والغيرة فى صفوف المقدونيين، وهكذا نجد فيلوتاس بن بارمينيون قائد الخيالة يدان فى مؤامرة ويعدم فى نفس العام الذى مات فيه داريوس وعلى الرغم من اخلاص الاب فقد أعدم هو الآخر، رغم أن بارمينيون كان فى مركز قوة يسمح له بأن يحمى نفسه وبعد عامين وقع الاسكندر فى عراك أثناء الشراب مع صديقه القديم كليتوس Cleitus الذى عايره بأنه ابن آمون وليس ابنا لأبيه كما عزا انتصارات الاسكندر الى جهود قواد فيليب والمقدونيين وليس لمهارات الاسكندر الشخصية، وفى غضب جذب الاسكندر حربة أحد الحراس وغرسها فى صدر صديقه القديم الذى سقط

صريعا. وقد ندم الاسكندر فيما يبدو على مافعله بصديقه وبقى معتكفا فى خيمته بدون طعام لمدة ثلاثة أيام الى أن أقنعه رفاقه بالعودة الى ممارسة مهامه.

وبعد عام واجه اعتراضات أخرى ضده. عندما طلب الاسكندر من المقدونيين أن ينحنوا له احتراما مثلما يفعل الفرس، وقد قاد المعترضون فى هذة المرة كاليسثينيس Callisthenes ابن أخ ارسطو الذى رافق الحملة فى وظيفة داعية الملك (١). وبعد ذلك بقليل اكتشفت مؤامرة دبرها بعض أعوان كاليسثينيس وأعدم المدانون، ووضع كاليسثينيس تحت التحفظ على الرغم من أنه لم يعرف اذا ماكان ضالعا فى المؤامرة أم لا وفيما بعد أعدم كاليسثنيس وحول هذا الوقت تزوج الاسكندر روكسانا ابنة ملك سرديانا Sogdiana ، كما ازدادت هذة الاثارة بعد امر الاسكندر بتدريب الفرس على الطريقة المقدونية فى القتال وضم فرسانا فرسا بين صفوف فرقاته.

ومع وجود هذه المشاكل كان الاسكندر مايزال قابضا على ناصية الأمور فى الجيش وقضى السنوات من ٣٣٠ الى ٣٢٧ ق.م فى حملات صعبة فى الاقاليم البرية الشمالية الشرقية من الامبراطورية الفارسية القديمة وعندما أتم ذلك بدا الاسكندر يستعد للقيام بحملته الاخيرة الكبرى، يقصد الانتصار على الهند وكان يعتقد أن مايسمى الآن باكستان والبنجاب هى

---

(١) Arrian , IV . 10 5-12 5

كل الهند- الخطة كانت منطقية اذ يقدم له نهر الهندوس كحد طبيعي شرقي لامبراطوريته، ومهما كان الأمر فان المقاومة العنيفة التي واجهتها قواته في تلك الاقاليم كانت مخيفة. وكانت آخر حملات الاسكندر الكبرى ضد بورس Porus وهو أحد الملوك المحليين هي معركة هيداسبيس Hydaspes في عام ٣٢٦ ق.م تحرك الاسكندر تحت وطأة الأمطار الموسمية الى نهر هيداسبيس واكتشف وجود مزيد من الأرض نحو الشرق ونهر كبير آخر أراد الاسكندر الاستمرار في التقدم ولكن قواته رفضت أن تذهب أبعد من ذلك خطوة واحدة فاضطر الاسكندر الى الانسحاب (١)، وبدلا من أن يستخدم نفس الطريق الذي سبق أن سلكه عند قدومه من ميزوبرتاميا، اختار الاسكندر أن يسير جنوبا في نهر الهندوس الى المحيط الهندي ومن هناك أرسل جزءاً من قواته بالبحر عبر الخليج الى ميزوبرتاميا بقيادة نيارخوس بينما اتخذ هو على رأس باقي الجيش الطريق الغربي متتبعا ساحل جنوب الباكستان الحالية وبعد متاعب شتى يائسة وخسائر فادحة في الجيش أو على الاصح من بقي منه، وصل أخيرا الى بر الأمان وعندما عاد الاسكندر الى فارس وجد كثيرين من ولاته

---

(١) طلب الاسكندر من جنوده في عام ٣٢٦ أن يعبروا النهر ولكن القادة رفضوا وأعلن واحد منهم هذا الرفض حتى إضطر الاسكندر الى فض الاجتماع ولازم خيمته لمدة ثلاثة أيام على أمل أن يغيروا موقفهم. ولكنه وجدهم مايزالون على رفضهم عندما جمعهم ثانية. فأعلن لهم قراره بالعودة وقسمهم الى إثنتي عشرة فرقه وأمر باقامة إثني عشر مذبحا لتقديم القرابين للآلهة شكراً على النصر. Arrian , V. 28-29 . 1.

سواء الاغريق أو الفرس قد اساءوا التصرف ولكن سرعان ما أعادالاسكندر سيطرته على الامور. وقد هرب وزير مالية الاسكندر المدعو هاربالوس Harpalus ومعه كمية هائلة من المال ولجأ الى أثينا ولكنه قتل واتهم ديمستنيس بحصوله على جزء من هذا المال وأدين فى محاكمة ونفى خارج أثينا.

أهداف الاسكندر :

كان الاسكندر بعد أن أتم فتوحه يهدف الى تكوين طبقة مشتركة من نبلاء الفرس والمقدونيين، ولذلك أقام الاسكندر عديدا من المستوطنات الاغريقية فى آسيا وأشرك الفرس فى مراكز الحكومة العليا. كما أقام حفلا جماعيا بمناسبة اتخاذه وثمانين من الخيالة المرافقين له زوجات فارسيات من بنات الاسر الفارسية النبيلة (١). كما تم الاعتراف بشرعية علاقات عشرة الاف جندى مقدونى بنساء اسيويات. ولم تمنع كل هذه الجهود لادماج الشعبين انفجار اوبس فى ٣٢٤ ق.م عندما تمرد الجنود القدامى بسبب

---

(١) أقيم الاحتفال فى سوسا عام ٣٢٤ ق.م. وقد تزوج الاسكندر فيه فتاتين فارسيتين بالإضافة الى روكسانا التى كان قد سبق له الزواج بها وهماء بارسين إبنة داريوس الكبرى بالإضافة الى Parysatis الإبنة الصغرى لاوخوس. وقد زوج هيفايستون إبنة أخرى لداريوس أما كراتيروس فقد زوجه Amastrine إبنة عم بارسين زوجته. وتزوج برديكاس إبنة والى ميديا. كما زوج بطليموس حارسه الخاص ويومينيس سكرتيريه من إبنتى أرتابازوس: أرتاكاما الواحد و Artonis للآخر وقد بلغ عدد رفاقه الذين تزوجوا من فارسيات فى هذا الحفل الذى أقيم طبقا للتقاليد الفارسية ثمانين من القادة.
Arrian VII . 4 . 4 - 5 .

تسريحهم والاداد لاعادتهم للوطن . لقد رأى هؤلاء الجنود انهم كسبوا الحرب للاسكندر ولكن اسكندر وفى لحظة الانتصار أهملهم واستبدل بم نفس الأعداء الذين هزموهم. وقد رد الاسكندر على ذلك بتسريحه لكل الجيش والاعتكاف فى خيمته الى أن رجاه قواد قواته السماح والعفو، عندئذ رحب الاسكندر بعودتهم وأقام حفلا كبيرا احتفل فيه المقدونيون والفرس سويا، بينما ضرع الاسكندر للآلهة من أجل وحدة البشرية (Homonoia) (١). وفى العام التالى مع بداية شهر يونيو وبينما كان الاسكندر يعد لحملة كشفية كبيرة بهدف الطواف حول شبه الجزيرة العربية والانتصار عليها، أصابت الاسكندر حمى مات متأثرا بها بعد عشرة أيام يوم ١٢ يونيو سنة ٣٢٣ وكان عمره مازال ٣٢ سنة.

ان عظمة الاسكندر كقائد عسكرى بهرت معاصريه وحفزت أعدادا بلا عدد على تقليده خلال عصور التاريخ. وليس هناك شك فى أن قدرته تبز غيره فى ميدان البطولة وماتزال انجازته حتى اليوم لها وقع السحر على آذان سامعيها. لقد كان الاسكندر تجسيدا حيا للبطل الهوميرى القادر على نقل أفكاره وتنفيذ أعماله وكان خليطا من الشجاعة والحب لجنوده وحب الظهور والكرم والشراسة وقسوة القلب ويبدو فى ذلك الخلف المناسب لأخيليوس .

لقد كان انجاز الاسكندر الرئيس هو تدميره للارادة المسلحة للفرس

---

(١) Arrian VII . 8 - 9 & 11.

وفتح الطريق لامتداد النفوذ الاغريقي. ولكن الاسكندر نفسه لم يكن من بناة الامبراطوريات، لقد قامت وحدة الامبراطورية بل ووجودها نفسه على شخصية الاسكندر الخلابة. وسرعان ما اختفت هذه الامبراطورية بمجرد وفاته.

٢- عصر خلفاء الاسكندر وحروب الخلافة

١- مؤتمر بابل:

مات الاسكندر الاكبر فى يونيو ٣٢٣ق.م بعد مرض مفاجئ قصير، وأدى اختفاء الاسكندر المفاجئ الى احداث اضطراب خطير فى العالم القديم ككل وفى بابل عاصمته- على وجه الخصوص. لقد اصبحت امبراطورية الاسكندر فجأة بغير حاكم يسوس أمورها، ولم يدر فى خلد أكثر المتفائلين امكانية مواجهة الدولة لمثل هذه الكارثة وهى بعد بعيدة عن الاستقرار فالاسكندر مازال شابا تملؤه الحيوية لم يتوقف عن القتال أو الاستعداد للقتال منذ غادر بلاده فى حملته الاسطورية فى عام ٣٣٤، وقد أدت هذه الوضعية بالطبع الى عدم استقرار الاسكندر فى أى مكان أكثر من شهور ولم تسمح له ظروفه باكثر من فتح أغلب العالم المعروف على عصره فلم يضع دستورا للدولة ولم يكون كوادر سياسية تقود البلاد فى ظروف السلام بل ولم يعين من يخلفه.

وفى المؤتمر الذى عقد غداة موت الاسكندر كان على قادة جيشه ومرافقيه أن يحاولوا ملء هذا الفراغ السياسى خاصة والاسكندر لم يترك شخصا مؤهلا لخلافته أو من هو قادر على ذلك وكان العرف المقدونى القديم ينيط بالجيش اختيار الحاكم الجديد، وقد اعتبر المقدونيون فى

بابل انفسهم ممثلين للشعب المقدونى ومن ثم كانوا المسئولين عن اختيار خليفة للاسكندر. كان الاختيار أمامهم صعبا ومحدوداً فالذكر الوحيد البالغ والباقي من سلالة فيليب الثاني والد الاسكندر هو أرهيدايوس وكان أخا غير شقيق للاسكندر (١). بينما اقترح عليهم برديكاس الذى ترأس المؤتمر أن ينتظروا وضع روكسانا زوجة الاسكندر الباكتريانية المقدر له شهر أغسطس التالى (٢). انقسم الجيش الى فريقين الفريق الاول ضم أرستقراطية المقدونيين الذين كانوا يخدمون فى الفرسان وقد رأوا أنتظار ولادة طفل روكسانا فان كان ذكرا خلف اباه. ولكن مشاه الجيش رأوا أن ذلك أمر غير ممكن القبول فالطفل المنتظر حتى لو جاء ذكرا فهو يحمل دماء بربرية من أمه وهم لايقبلون به جنديا فى الجيش فكيف يمكنهم قبوله ملكا للبلاد؟ والمعروف أنهم كانوا قد تمردوا قبل عام واحد على محاولة الاسكندرا تزويد الجيش بجنود شرقيين.

انفجر الصراع صريحا بعد أن حسم المشاة أمرهم وأعلنوا أرهيدايوس ملكا على البلاد رغم ماعلموه من أنه غير متزن العقل وكان تمرد المشاة خطيرا. وسرعان مابدأت اتصالات بين الفرسان والجيش عن طريق يومنيس انتهت بقبول الطرفين لحل وسط فيتم اقرار اعلان أرهيدايوس ملكا باسم فيليب على أن يشاركه طفل روكسانا ان كان ذكرا

---

(١) كان أرهيدايوس إبنا لفيليب من فتاة تسالية تدعى Philine .

(٢) كان للاسكندر إبن آخر من بارسين الفارسية يدعى هيراكليس ولكن الاسكندر لم يعترف به فى حياته ولذلك فقد كانت مطالبته بالعرش لاتلقى الاستجابة الواجبة.

ويطلق عليه اسم الاسكندر وعندما تحقق ذلك أصبح فيليب الثالث والاسكندر الرابع ملكين بالاشتراك على الامبراطورية (١).

ان تعيين الملكين كان فى الواقع بداية الطريق لانهاية المصاعب فالملكان كانا مجرد رمز بغير سلطة أو ارادة. ومن ثم أطلت أطماع القادة والمرافقين للاسكندر برؤوسها وبدات مفاوضات مطولة بين أصحاب المصلحة انتهت بتعيين ثالث اكبر الرؤوس بين القادة وهو برديكاس فى أخطر المناصب: منصب الشيليارخ Chiliarch وهى تسمية فارسية يتولى صاحبها قيادة الجيش كما يصبح المستشار الاكبر للامبراطورية، أما الرأسان الاعلى مقاما وهما أنتيباتروس رفيق كل من فيليب الثانى والاسكندر الاكبر وكراتيروس الذى كان يعتبر أفضل ضباط الاسكندر فقد كانا خارج بابل وقت توزيع المناصب غداة موت الاسكندر: الاول كان نائبا للملك على مقدونيا والثانى كان فى مهمة عسكرية خاصة بامر من الاسكندر الاكبر. ومن ثم فأن المؤتمر الذى كان منعقدا برئاسة برديكاس قرر أن يستمر انتيباتروس نائبا للملك فى مقدونيا بما يعنيه ذلك من سيادته على المدن الاغريقية فى اوربا. وأن يعين كراتيروس فى منصب الوصى على فيليب

---

(١) كان يقف على رأس الخيالة برديكاس وممة ليوناتوس وبطليموس ويليهم فى الاهمية ليسياخوس وأريستونس وبيثون وسليوكس وبيومنيس من كارديا. أما قائد المشاة فقد كان ميلياجر. وبعد أن تم الاتفاق بين الطرفين، إتهم برديكاس من معارضيه بقتلهم مدعيا أن ذلك كان بامر من أرهيدايوس ثم الحق بهم ميلياجر بعد قليل.
Arrian , FGRH 157 F.1 SS 1-4.

أرهيدايوس والامين على الخزانة الملكية. وبمقتضى هذا التقسيم أصبحت السلطات التنفيذية الكبرى فى الحكومة المركزية تتركز فى يدى برديكاس بينما أصبح دور كراتيروس دوراً رقابياً فقط. قرار آخر هام أتخذه مؤتمر بابل تعلق بايقاف ارسال أية حملات جديدة بهدف توسيع حدود الامبراطورية والاستعاضة عن ذلك بتدعيم أركانها. وعلى ذلك أصبح مطروحا على الجلسة الثانية للمؤتمر ايجاد مهام للقادة والرفقاء الذين كان وجودهم فى الجيش مرتبطا بمشروعات الحرب والتوسع ومن هنا تم توزيع هؤلاء القادة حكاما على الاقاليم المختلفة بهدف ابعاد البعض عن العاصمة والتخلص من مشاكلهم أو بهدف استرضاء البعض ومكافاتهم على أدوارهم فى اقرار الاوضاع الجديدة. وقد تردد أن ذلك كان بمبادرة من برديكاس كما قيل أن بطليموس بن لاجوس لعب دورا رئيسيا فى هذا التقسيم (١).

---

(١) أقر مؤتمر تعيين بطليموس بن لاجوس لحكم مصر وليبيا وأجزاء من بلاد العرب المتاخمة لمصر. وأصبح كليومنيس الذى كان الاسكندر قد عينه على تلك الولاية مساعدا لبطليموس وعين Laomedon واليا على سوريا المتاخمة لمصر، أما فيلوتاس فقد عين واليا على كيليكيا وبيثون على ميديا، وعين يومنيس من كارديا واليا على كبادوكيا وبلافلاجونيا والمناطق الواقعة على البحر الاسود حتى حدود مدينة Trapezus . وعين انتجونس على بامفيليا وليكيا وفريجيا الكبرى أما لسندر فعين واليا على كاريا. وميناندر على ليديا. أما ليوناتوس فعين واليا على فريجيا الهليسبونت التى كان كالاس وال عليها من قبل الاسكندر والتى كان يحكمها Demarchus فى ذلك الوقت.

أما ولايات أوربا فقد عين ليسيماخوس لكى يحكم تراكيا وخيرسونيا وكل القبائل التى تجاور التراكيين حتى البحر الاسود. أما الاجزاء البعيدة من تراكيا حتى أراضى الإليريين و Triballians , Agrianians و مقدونيا نفسها وابيروس حتى جبال Ceraunia وكل الاغريق فقد كلف بها كراتيروس وأنتيباتروس ومع ذلك فقد بقيت مناطق كثيرة تحت حكم ولاة محليين منذ الاسكندر.

وبعد ستة ايام من موت الاسكندر كانت الجثة قد حنطت وتقرر نقلها الى مقدونيا لكى تدفن فى مقابر الملوك هناك.

٢ـ تمرد الاغريق فى بكتريا:

واجه برديكاس التحديات منذ الايام الاولى لتوليه السلطة والملفت للنظر حقا أن هذه التحديات المبكرة لم تأت من الشرقيين الذين فقدوا استقلالهم منذ سنوات قليلة ووقعوا تحت سيطرة المقدونيين وانما جاءت المقاومة الوحيدة للحكم المقدونى من الاغريق، وثورة الاغريق ضد الحكم المقدونى ذات أسباب تاريخية تكمن فى نظرة الاغريقى للمقدونى أنه أقل منه فى كل شئ ويكفى أن نتذكر أن الاغريق حتى وقت قريب كانوا يعتبرون المقدونيين من البرابرة ولذلك يصبح منطقيا أحساس الاغريقى بان المقدونى الذى يتولى القيادة فى كل مكان ليس لائقا بها ويكفى ظهور أى فرصة لكى يستغلها الاغريق للتعبير عن الغضب المكتوم فى النفوس.

وهكذا كانت هناك محاولة فاشلة للتمرد بين الاغريق فى بكتريا عام ٣٢٥ عندما أصيب الاسكندر وسرت اشاعة عن موته.

انتعشت آمال الاغريق هناك فى طرح السيطرة المقدونية جانبا بعد ما تأكد موت الاسكندر فى عام ٣٢٣. فجمع هؤلاء قواتهم وكان الاسكندر قد أعدهم لكى يوطنهم بصفة دائمة على تخوم أملاكه. وقرروا العودة الى الوطن كما فعل من قبل اكسنوفون وجنوده الذين كانوا يخدمون فى

الجيش الفارسى (١). ولكن علم برديكاس بتدبيرهم وأوقف تقهقرهم بأن صب كل مايمكن من القوات فى الأقاليم العليا تحت قيادة بيثون وبمساعدة الولاة المقدونيين فى المنطقة. استطاع بيثون أن يهزم الثائرين فى معركة. ثم لجأ الى التفاهم مع المهزومين دون اللجوء للعنف الذى أمر به برديكاس. ولكن أفسد خططه عدد من المقدونيين فى جيشه رأوا الاتفاق ضاراً بمصالحهم فهو يحرمهم من الاستيلاء على الغنائم. فدبروا الاعتداء على اسراهم وقتلوهم. وقد أدى هذا بالطبع الى زاد محاولة التمرد بين الاغريق فى الشرق وكان ذلك فى خريف ٣٢٣ق.م.

٢ـ الحرب اللاميـــــــة:

عرفت هذه الحرب باسم اللامية نسبة لمدينة لاميا التى شهدت أحداثا هامة فى هذة الحرب وقد وقعت نتيجة ثورة أعلنتها عدة مدن اغريقية بقيادة أثينا ضد الوجود المقدونى فى بلادهم. ورغم أن حركة الاسكندر المقدونى وفتحه للعالم القديم كان فتحا للثقافة الاغريقية ورغم أن الاغريق قد استفادوا بصورة مباشرة نتيجة لحملة الاسكندر سياسيا وحضاريا الا أن الاغريق كانوا أول الثائرين على الوجود المقدونى فى بلادهم

---

(١) قدر عدد الجنود الثائرين فى باكتريا ب ٢٢ الف جندى ومن المحتمل أن هذا العدد كان يضم عدداً من الشرقيين الذين أزروا التمرد على أمل التحرر.
M. Carly , A History of The Greek World 323 to 146 BC . , London , 1978 P. 4 .

بمجرد اختفاء الاسكندر .

لعل الاحساس الاغريقى القديم باعتبار المقدونيين برابرة لم يزايلهم، خاصة وهم لم يتحالفوا مع الاسكندر طوعا ولم يشتركوا فى حملته عن رغبة صحيح أن الطبقات الثرية فى بلاد الاغريق القارية قد نعمت بالسلام الذى حققه لها الاسكندر وكانت حريصة على استمراره، الا أن عوامل الثورة كانت تتفاعل فى داخل المجتمعات الاغريقية المختلفة تثير كوامنها تحفزها الحاميات المقدونية التى يعلن وجودها دائما عن حقيقة فقدان الاغريق لحرياتهم، عامل ثان أدت اليه عودة الاسكندر الى بابل من شرق آسيا وماتلا ذلك من تسريح لاعداد كبيرة من الجنود وقد عاد هؤلاء الى بلادهم يصنعون القلاقل بعد سنوات طويلة فى ميادين القتال البعيدة. عامل ثالث حدث فى عام ٣٢٤ عندما أصدر الاسكندر أمرا الى المدن الاغريقية بتأليهه، ورغم أن هدف هذا القرار كان سياسيا لتدعيم مكانة الاسكندر بين رعاياه الا أن تأليه الاحياء كان أمرا جديدا على الاغريق خاصة وأوامر المؤلة تصبح قدرا لامفر منه وقد أمر الاسكندر المؤلة بتعديل فى الحدود الجغرافية للمدن ففقدت كثير من المدن بعض املاكها لصالح مدن أخرى. كما أصدر قرارا بعودة المنفيين الاغريق وقدر عددهم بعشرين ألفا وقد أدى هذا القرار الى اضطراب هائل فى المدن الاغريقية فاراضى المنفيين واملاكهم كانت قد ذهبت لغيرهم واعادتها لهم كانت تعنى قلاقل لانهائية كما حملت عودة المنفيين عودة العنف السياسى الذى كان الوجود المقدونى قد منعه

الى حد كبيـــر.

هكذا كانت كوامن الثورة قائمة في نفوس الاغريق ولكنها كانت بغير أمل حتى أن أشد المعارضين للوجود المقدوني كديموستنيس وليكورجوس في اثينا كانوا لايرون يوما قريبا للخلاص. ولكن حدث المستحيل وفجاة مات الاسكندر وبدا الحلم حقيقة قريبة المنال وسرعان ما سرت الدعوة الى الثورة الاغريقية ضد المقدونيين . وجدت هذة الثورة قيادتها في أثينا، بعد أن فشلت الاقلية الثرية هناك في ايقاف تيارها وأقرت الاكليزيا قرارا بالتعبئة العامة وأصدرت اعلانا عن حقوق الاغريق وحريتهم وضرورة طرد الحاميات المقدونية في بلادهم.

كانت أوضاع أثينا المالية افضل منها غداة قيام حرب البيلوبونيز(١)، كما كانت أثينا تتوفر على أسطول قوى وكان الشباب الاثيني مدرب على القتال بسبب مساهمتها في امداد جيوش الاسكندر بالجنود منذ خروجه الى آسيا عام ٣٣٤ وهكذا قرر المجلس تجهيز ٢٤٠ سفينة حربية بالرجال فضلا عن ٥٠٠ فارس و٢٠٠٠ من المرتزقة (٢).

بدأت احداث القتال بتحرك ليوستنيس (٣) بجنوده بعد أن

---

(١) كانت مداخيل أثينا في ذلك الوقت تقدر بـ ١٢٠٠ تالنت والتالنت ١٨ الفا.

(٢) ذكر ديودورس أن الاسطول الأثيني كان يضم ٢٠٠ سفينه رباعية وأربعين ثلاثية Diod. XVIII , 10 , 2 .

(٣) مرتزق أثيني خدم في آسيا بوفاء مع تسريح الجنود ونجح في إبقاء قوة من الجنود معه ينفق عليها من مصدر غير معروف الى أن يوظفهم في حرب ضد مقدونيا وسنحت له الفرصة عند موت الاسكندر وبعد مفاوضات سرية قاد الأثينيين في الحرب.

انضمت اليه قوة ايتوليه من ٧٠٠ جندى كما آزرته فوكيس ولوكريس حيث استولى على ثيرموبولاى. ومن ناحية أخرى تحرك الاثينيون للانضمام الى القوات المتمردة ولكنهم توقفوا أمام قوة بيوتية يعضدها بعض المقدونيين واليوبيين، ولكن ليوسثنيس أرسل اليهم قوة تساعدهم على ضرب القوات المعادية وتساعدهم على التقدم. وفى نفس الوقت أرسلت أثينا مبعوثين عنها الى البلاد الاغريقية تطلب اليهم أن يتحدوا فى مواجهة المقدونيين .

أما المقدونيون بقيادة أنتيباتروس نائب الملك على مقدونيا وحاكم بلاد الاغريق فكانوا فى موقف سئ عند بدء القتال فالجيش البرى صغير العدد وسفن الاسطول لاتزيد عن مائة سفينة وعشر سفن. ومع ذلك فقد سعى انتياتروس الى نزال ليوسثنيس قرب ثيموبولاى ولكنه واجه أثناء المعركة انسحاب القوات التسالية من جيشه ولم يجد وسيلة لانقاذ باقى جيشه الا بدفعه الى داخل مدينة لاميا. اضطر انتيجونس المحاصر أن يقدم عرضا بالاتفاق مع الثائرين ولكن ليوسثنيس رفض الا التسليم غير المشروط لأنتيباتروس. وبقى انتيباتروس تحت الحصار طوال الشتاء رغم مقتل ليوسثنيس أثناء احدى المناوشات اللاحقة بين الفريقين.

أدت الانتصارات المبكرة للعصبة الهلينية الى انضمام اعضاء جدد اليها فبينما فضل البيوتيون البقاء الى جانب المقدونيين لاسباب تاريخية(١)

---

(١) أدى تدمير الاسكندر لمدينة طيبة الى تخليص البيوتيين من سيطرتها وبقرا مقدرين للمقدونيين هذا الجميل.

وبقت اسبرطة مشغولة بعداءاتها الشخصية كانت العصبة الهلينية تضم الجزء الاكبر من شبة جزيرة البيلوبونير وكل وسط شمال شبة جزيرة الاغريق تقريبا وان كان هذا التوسع لم يضف قوة لجيش الثانرين فقد تركت المدن الصغرى الأعضاء فى العصبة تركت مهمة القتال للمدن القائدة كاثينا.

ومع مقدم ربيع ٣٢٢ بدأت بشائر قوات المساعدة المقدونية تقبل من آسيا الصغرى فنجح ليوناتوس Leonnatus حاكم فرجيا فى التسلل عبر تراكيا ثم تساليا قبل أن يقود قواته لمراقبة المضايق كما نجح فى رفع الحصار عن أنتيباتروس فى لاميا، وان قتل بعد قليل فى لقاء مع خيالة التساليين الحلفاء الجدد لاثينا. أما أنتيباتروس فرغم خروجه من الحصار الا أنه لم يستطع غير الانسحاب بقواته الى مقدونيا.

ومع مدخل صيف نفس العام تغيرت أوضاع المقدونيين بوصول قوات دعم جديدة بقيادة كراتيروس كما وصل عدد السفن المقدونية فى بحر إيجه الى ٢٤٠ سفينة فى مقابل ١٧٠ سفينة بقيت للأثينين. وعندلقاء الاسطولين نجح الاسطول المقدونى بقيادة كليتوس Cleitu فى ضرب الاسطول الأثينى مرتين: واحدة قرب ابيدوس والثانية عند جزيرة أمورجوس Amorgos وقد أدى النجاح فى القضاء على الخطر البحرى الأثينى الى تخفيف الضغط عن القوات المقدونية البرية فانضم كراتيروس الى أنتيباتروس هناك ثم قامت القوات المشتركة باحتلال تساليا كما نجحا فى الضغط على قوات الحلفاء الثانرين عند Crannon وان لم يهزماهم

هزيمة كاملة ومع ذلك فان نتائج المعارك البحرية بالاضافة الى الهزيمة الجزئية في البر دفعا الاتنيين وحلفاءهم الى قبول التفاوض مع انتيباتروس ولكن هذا رفض أن يتعامل مع المتمردين كعصبة بل اشترط ضرورة التعامل مع كل دولة من دول العصبة على انفراد وعقد اتفاقية بينه وبين كل قوة على حدة فيما عدا الايترليين الذين رفضوا ذلك وعادوا الى ميدان القتال من جديد (١).

تشدد أنتيباتروس في شروط صلحه مع الاغريق بعد الحرب اللامية فنشر حامياته المقدونية هنا وهناك كما اشترط نظما من الحكم صديقه لمقدونيا فنجد في أثينا مثلا عاقب القادة المسئولين عن الحرب كما وضع حامية مقدونية على تل مونيخيا Munychia الذي يطل على بيرايوس واشترط شكلا من الحكومة عاد بالاوضاع الى دستور سولون أو من سبقه كما اشترط حدا أقصى لعدد المواطنين في المدينة هو ٩٠٠٠ يملك كل منهم ٢٠٠٠دراخمة على الاقل، واعاد نظر الجرائم الكبرى الى الاريوس باجوس بدلا من المحاكم كما الغى دفع مرتبات أو اجور لقاء الخدمات الحكومية. وبقي الايترليون انتظارا لحسم معركته عسكريا معهم بعد شتاء٢٢٢/٢٢١ ولكن تحركات برديكاس في آسيا دفعت أنتيبايروس الى التساهل معهم وعقد صلح مع العصبة بشروط ميسرة.

---

(١) Pausanias 1 . 25 - 3 - 6.

ويمكننا أن نقول أن الحرب اللامية كانت آخر الانتفاضات الاغريقية ضد المقدونيين بدافع قومى اذ أن القرون التالية شهدت تعاونا بينهما فى حكم الشرق ومع هذا يمكن القول بأن الاغريق استفادوا جدا من هزيمتهم العسكرية فى الحرب اللامية (١).

٤- سقوط برديكاس :

اختار برديكاس طريقا وعرا عندما تولى مسئولية الامبراطورية بعد الاسكندر، فلم يكن برديكاس أعظم رجال الاسكندر مكانة ولا أعلاهم مقاما ولكن وصلته السلطة العليا فى الدولة أو نجح سعيه اليها بسبب ظروف وجود أنتيبايروس وكراتيروس خارج بابل وقت موت الاسكندر.

أدى وصول برديكاس الى قمة السلطة فى الامبراطورية فى ظل وجود من هم أعلى منه مقاما كانتيباتروس وكراتيروس ومن ينكرون أفضليته عليهم كبطلميوس وأنتجونس أقول أدى هذا الى محاولة كل طرف أن يدفع الامور لصالحه. فبرديكاس كان مصمما منذ اللحظة الاولى على أن يملأ المركز السامى الذى يشغله ولذلك كان حاسما فى مقاومة أى انكار لمكانته والاخرون كانوا لايعيرون قراراته وأوامره التفاتا وقد أدى تعارض المواقف الى سلسلة من التداعيات التى انتهت بقتل برديكاس نفسه.

---

(١) M. Cary, op. Cit P. 9.

أول صور المقاومة لأوامر برديكاس حدثت من ليوناتوس حاكم فريجيا وانتيجونس حاكم الهلسبونت عندما طلب اليهما برديكاس التوجة بقواتهما ضد أرياراتيسAriarathes حاكم كابادوكيا منذ أيام الاسكندر. وكان هذا الحاكم المحلى قد أخذ يوطد سلطانه ويوسع أملاكه (١) وكان لابد من ايقاف اطماعه فوجه برديكاس أمره الى الحاكمين السابق الاشارة اليهما ولكنهما لم ينفذاه. فقد فضل ليوناتوس الاستجابة الى طلب نجده أرسل به اليه انتيباتروس الذى كان مايزال يحارب الاغريق فى الحرب اللامية. اما انتيجونس فلم يكلف نفسه مجرد البحث عن عذر لعدم تحركه واهماله أوامر برديكاس رئيس الوزراء.

لم يجد برديكاس بدأ من أن يتحرك بشخصه ضد Ariarathes حتى لايترك لحاكم كابادوكيا الفرصة للتطاول على امبراطورية الاسكندر. وبعد أن نجحت حملته على كابادوكيا وأسر أرياراتيس ومعه أربعة آلاف من جنوده، بدا يفكر فى عقاب الممتنعين عن تنفيذ أوامره فطلب الى انتجونس ضرورة المثول أمامه فى بلاط الملك فى بابل لتبرير فعلته ولكن إنتيجونس الذى كان يعلم معنى أن يذهب لبرديكاس فضل الهرب من ولايته واللجوء عند انتيباتروس فى مقدونيا.

---

(١) يبدو محتملا أن أرياراتيس قد فرض سيطرته على المستوطنة اليونانية سينوب، حيث ظهر إسمه على عملة هذه المدينة. أما إستيلائه على ترابيزوس فأمر غير مؤكد.
M. Cary , Ibid P .11 . F.N.I.

ثانى صور المقاومة لمكانة برديكاس جاءت هذه المرة من بطليموس الذى كان أحصف رجال الاسكندر واكثرهم معرفة بالنفس البشرية كان بطليموس قد فضل أن يذهب الى مصر بعيدا عن مركز الاهتمام والصراع فى بابل ومقدونيا ورأى أن الفرصة مواتية هناك لبناء حكم قوى بعيد عن صراع القمة. وكان من البداية عازفا عن الدخول فى المنافسات. رأى بطليموس أن مما يدعم مركزه ويقويه أن يستولى على جثة الاسكندر تلك الاسطورة الباهرة التى استقطبت اهتمام العالم كله وخلبت لب كل المقدونيين ومعاصريهم فى مختلف البلاد. تلك الشخصية المؤلهة التى كانت ماتزال مؤثرة فى الاحداث حتى بعد موتها. مهد بطليموس لهدفه بأن نشر وصية على لسان الاسكندر تطلب أن يدفن فى معبد أبيه آمون فى سيوة. ولكن مؤتمر بابل كان قد إتخذ قرارا بأن تدفن الجثة فى الجيانة الملكية فى Agae بمقدونيا وكلف ارهيدايوس- وهو غير الملك - بالقيام ببناء العربة واعداد موكب الملك المتوفى. وفى نهاية عام ٣٢٢ خرج الموكب من بابل عبر دمشق فى طريقه الى مقدونيا ولكن بطليموس نجح فى اقناع أرهيدايوس بصحة وصية الاسكندر وحمله وزر عدم الاستجابة لرغبة الملك الميت ولعله اغراه أو رشاه : المهم أن الموكب غير اتجاه مسيرته وبدلا من الاستمرار غربا نحو مقدونيا تحول جنوبا نحو مصر، حيث وصلت الجثة الى منفيس ودفنت هناك الى أن نقلت الى الضريح الضخم الذى اقامه بطليموس فى

الاسكندريه : صحيح أن بطلميوس نجح بذلك فى الاستحواذ على اثرذى أهمية هائلة لدى المقدونيين ولكنه فى نفس الوقت أثار غضب برديكاس الذى رأى فيما صنعه بطلميوس نوعا من التمرد على سلطته يوجب العقاب.

ثالث صور المقاومة ليرديكاس جاءت من الغرب من أنتيباتروس وكراتيروس أعظم المقدونيين مكانة فى عصرهما . صحيح أن انتيباتروس وكراتيروس أنشغلا أولا بحرب الاغريق عن الاشتراك فى اقتسام الغنيمة فى بابل. وصحيح أيضا أنهما لم يفكرا فى يوم من الايام أن يطيعا أوامر برديكاس الذى ظلا يعتبرانه أقل منهما مقاما، ولكنهما مع ذلك لم يسعيا فى البداية لمقاومته . حتى أن انتيباتروس استجاب لرغبة برديكاس بالزواج من ابنته نيكايا Nicaea وهنا بدأ الخلاف يجد طريقه الى علاقة الرجلين فقد تلقى برديكاس فى نفس الوقت عروسا أخرى أعظم نسبا وهى كليوباترة شقيقة الاسكندر الاكبر والتى أرسلتها امها اليه نكاية فى انتيباتروس وفضل برديكاس شقيقة الملك العظيم على ابنة انتيباتروس مما أوغر صدر الاخير ضده خاصة بعد جهود أنتيجونس اللاجئ فى بلاط أنتيباتروس لتشويه صورة برديكاس عنده وبيان أن القصد من هذا الزواج هو محاولة ايجاد طريق شرعى لاغتصاب الملك ونقل قاعدته الى مقدونيا. ورغم أنه لاتقوم أى أدلة قوية على صحة هذا الاتهام فالواضح أن أنتيباتروس وكراتيروس فضلا التحوط للامر والاستعداد لمواجهة التحرك المنتظر

لبرديكاس ضدهما فسحبا قواتهما من المدن اليونانية فى نهاية عام ٣٢٢ ودخل عدد من القادة المعينين بأمر مقاومة سلطة برديكاس فى مصاهرات مع أنتيباتروس، حيث تزوج كراتيروس ابنته فيلاPhila وزوجت يورديكى Eurydice لبطليموس وثيكايا لليسماخوس حاكم تراكيا.

وهكذا وجد برديكاس نفسه محاطا بجبهتين معاديتين أنتيباتروس وكراتيروس ومعهما أنتيجونس فى مقدونيا وبطليموس فى مصرَ بينما وقف ليسماخوس على الحياد.

اتجه برديكاس لضرب الجبهتين فى وقت واحد وكانت خطته تقوم على أن يقود بقايا جيش الاسكندر بنفسه ضد بطليموس وأن يرسل ضد أنتيباتروس وكراتيروس جيشا آخر يقوده يومنيس حاكم كبادوكيا الجديد. وكان يومنيس هو الاغريقى الوحيد بين القادة المتصارعين بينما كان الباقون مقدونيين . ورغم أن يومنيس لم يشغل وظيفة عسكرية أثناء حياة الاسكندر الا أنه أثبت فى ميدان القتال صلابته وقدرته على أن يكون ندا لاعظم قواد جيش الاسكندر. بدأت المعركة بعبور أنتباتروس وكراتيروس لمضيق الدردنيل دون أن يواجها باية تحركات معادية مما أقنعهما بأن يوجها نصف الجيش وعلى رأسه أنتيباتروس لمعاونة بطليموس فى حين يبقى كراتيروس لملاقاة يومنيس . وعندما التقى الجيشان عند الدردنيل فان كل الاحتمالات كانت لصالح كراتيروس- وان تساوى الجيشان فى عددهما. وذلك لان جيش يومنيسٌ لايضم الا عددا قليلا من

المقدونيين،كما كان بعض المقدونيين فى جيشه يرفضون أن يكونوا مرؤسين لاغريقى وفضل آخرون أن يتزاطئوا مع الاعداء. ومع ذلك فقد نجح يومنيس اعتماد على الخيالة الكبادوكية فى الضغط على جيش كراتيروس حتى قرر الانسحاب من المعركة والانضمام الى انتيباترس من جديد خاصة وقد سقط كراتيروس نفسه قتيلا فى الميدان، والجديز بالذكر أن موت كراتيروس كان له وقع الكارثة على جنوده.

أماعلى الجبهة المصرية فقد أراد برديكاس أن يبدأ معركته باقناع جنوده بعدالة قصده واستحقاق بطليموس للعقاب فدخل فى جدل مع بطليموس ولكنه خسر هذا الجدل، فبدأ الحملة العسكرية وتقدم فى اتجاه الدلتا ولكنه فشل فى عبور الفرع البيلوزى للنيل فقرر أن يسير بمحاذاته حتى ممفيس وهناك تعرض لكارثة عند عبور جيشه فى النيل فرغم حسن اختياره لوقت العبور فى يونيو سنة٣٢١ أى قبل حلول موعد الفيضان الا أنه أساء اختيار موقع العبور فقد أدى ثقل الأحمال الى انهيارات فى قاع النهر ومن ثم عظمت خسائر الجيش وقد أدى هذا بثلاثه من ضباط برديكاس الى اغتياله فى خيمته احتجاجا على سوء قيادة للجيش : هؤلاء الضباط هم بيثون قائد معركة بكتريا ضد الاغريق ٣٢٣) وانتجنيس وسليوكس. وضع موت برديكاس الامبراطورية أمام واقع جديد فرغم وجود ملكين لها الا أنها كانت بغير حكومة.

ادى موت برديكاس الى اختفاء ممثلى السلطة العليا فى الدولة برديكاس وكراتيروس وتبع ذلك محاولة يوريدكى زوجة فيليب أرهيدايوس للاستحواذ على الوصاية. عندئذ عقد الجيش مؤتمرا فى شمالى سوريا فى Triparadeisos عام ٣٢١ ق.م بدعوة من أنتيباتروس الذى كان قد وصل الى سوريا على رأس قواته لمحاربة برديكاس . وقرر المؤتمر تعيين انتيباتروس اكبر القواد سنا ومكانة اداريا متمتعا بكل السلطات على الدولة، قبل انتيباتروس التعيين وأعاد تنظيم الدولة، وأعيد توزيع الولايات وعين أنتيجونس قائدا على جزء من جيش برديكاس ووصيا على الملوك، وكلفه أن يتخلص من بقايا أنصار برديكاس الذين بقوا تحت سيطرة يومنيس وشقيق برديكاس المدعو Alcetas كما عين كاسندر شليارخا تحت رياسة انتيجونس (١) لقد كان هذا التنظيم قصير العمر أولا : لان انتيجونس انفرد بالسلطة دون كاسندر وأبدى ولاء قليلا للملكين، مما حدا بانتيباتروس الى نقله الملوك معه الى مقدونيا وكذلك نقل مركز

---

(١) سعى أنتيباتروس الى تهدئة الأوضاع، فإتجه لارضاء كل المشاركين من أنصاره. كما سعى الى تمكين الأقرباء من الولاة حتى يأمن شرهم. ثم وزع الولايات فأثر بعض التنظيمات السابقة وعدل البعض الآخر لمكافأة من قام بدور متميز للتخلص من برديكاس مثل أنتيجنيس Antigenes . ومن دراسة هذه التنظيمات يلاحظ عزوف أنتيباتروس عن إدعاء أى إمتدادت فى الشرق اكثر مما حققه الاسكندر حيث أقر أنتيباتروس حق بوروس على ما فى يده و Taxiles - وهو حاكم هندى آخر- على أملاكه. إنظر قائمة ولاة كانة الأقاليم حسب هذا المؤتمر.

Arrian . FGrH 156 F 9 ss 34 - 38 .

الامبراطورية الى هناك.

على كل حال أدى ذهاب أنتيباتروس الى مقدونيا الى انفراد انتيجونس بالسلطة على الشرق، والمفروض أنه كان يمارس سلطته هناك باسم الامبراطورية: ومن المؤكد أن انتيباتروس عين انتيجونس فى هذه الوظيفة الهامة اعترافا بخطورته لاحبا فيه، اذ كان المتوقع أن يبدا انتيجونس حربا جديدة للحصول على مكاسب اقليمية بمجرد عودة انتيباتروس الى مقدونيا اذا لم يكن قد عين حاكما اسمى على اسيا. ولعل نفس الاعتبار هو الذى حدى بانتيباتروس الى الاعتراف بمطالب بطليموس فى أن تطلق يده فى مصر دون رقيب، فقد كان انتيباتروس بذلك يمنع حربا يشنها بطليموس للوصول الى مطالبه.

وهكذا وضح أن وحدة الامبراطورية لم تعد اكثر من شعار اكثر منها حقيقة ، وحتى لوعاش انتيباتروس لمدة أطول لما كان فى مقدوره الابقاء على هذه الوحدة الشكلية.

بعد تنظيمات Triparadeisos نعمت بلاد الاغريق بفترة من الهدوء بعد الكوارث التى عانتها البلاد أثناء الحرب اللامية. واستمرت الحروب فى أسيا الصغرى حيث نجح انتيجونس فى التخلص من بقايا أنصار برديكاس اذ تقدم فى ربيع ٣٢٠ ق.م حيث هاجم يومنيس واضطره بعد الهزيمة والهرب الى أن يحبس نفسه فى قلعه جبلية على حافة جبال طوروس فى كبادوكيا وبات أمر استسلامه لقوات انتيجونس مسألة وقت .

ثم نجح مطاردة جيش Alcetas لمسافة تقرب من ثلاثمائة ميلا خلال أسبوع واحد نجح فى تدمير جيش Alcetas بقواده.

نهاية أسرة الاسكندر الملكية :

مات انتيباتروس بعد مؤتمر Triparadeisos بعامين (٣١٩ ق.م) وعين الجيش طبقا لرغبته Polyperchon الذى كان واحدا من تدامى ضباط الاسكندر كخليفة له. ومن المعروف أن - برليبرخون لم يكن رجلا ذو قدرات بارزة، بل كان أدنى مقدرة من أى من الولاة الرئيسيين فى امبراطورية الاسكندر فهو أدنى من انتيجونس وبطليموس وليسيماخوس وسليوكس. وعندما اقترحه انتيباتروس فانه فضله على ابنه هو (كاسندر)(١). ومما لاشك فيه أن هذا الاختيار كان انتقاءا لرجل ليس عبقرى ولكنه امين وواقعى ومخلص لقضية الملكية ويمكن الوثوق فيه واذا قدر لبوليبرخون أن ينجح فى مهمته فان هذا النجاح لن يكون بسبب

---

(١) عين أنتيباتروس إبنه كاسندر شليارخا وبذلك يكون الرجل الثانى فى الأمبراطورية من حيث السلطة، ويبدو أنه أراد بذلك أن يستبعد شبهة الربط بين القرابة والوراثة تأكيدا للولاء لاسرة الاسكندر. ولكن كاسندر لم يقتنع أن تذهب سلطه أبيه لغيره خاصة وأنه كان كفء لها. ولذلك قام باتصالات مع أصدقائه فى أنحاء البلاد دعاهم فيها الى الوقوف بجانبه ومناهم بالخير الوفير على يديه. وكان من بين من تراسل معهم بطليموس فى مصر حيث طلب منه أن يكون حليفه وأن يؤيده بأسطوله. كما راسل عددا من قادة المدن اليونانية لنفس الغرض. وفى نفس الوقت رتب لرحلة صيد لكى يبعد عن ذهن برليبرخون فكرة تمرده على السلطة.

Diod. XVIII . 48 - 49.

كفاءته وقدراته الشخصية، وانما يعتمد على المعاونة المخلصة التى توقع انتيباتروس أن يقدمها له الجيش من خلال ولاءه للبيت المالك ولكنه كان مخطئا فى توقعه اذ أن الجيش المقدونى أصبح اكثر ولاء لنفسه مستعدا لخدمة من يمكنه الوثوق به اكثر رغم أنه كان مايزال العامل الاكثر حسما فى التاريخ السياسى للعصر.

عنى موت انتيباتروس تشوب الحرب من جديد فى شرق الامبراطورية وغربها فقد واجة تعيين بوليبرخون انكارا من القادة الرئيسيين فى الاجزاء المختلفة من إمبراطورية الاسكندر، والواضح أنهم لم يكونوا ليعترفوا بأى سلطة مركزية اذا لم تكن سلطتهم هم : فنجد انتيجونس فى الشرق يبدأ سلسلة من الحملات على الولايات التى لم يخضع ولاتها له خضوعا كاملا (١). واندفع بطليموس لاحتلال سوريا . وفى الغرب فان كاسندر الذى كان رئيسا للوزراء تحت اشراف بوليبيرخون رفض أن يعمل كمرؤوس لهذا الرجل وهرب الى انتيجونس حيث قدم له فرقة جنود

---

(١) عندما وصلت أخبار موت انتيباتروس الى انتيجونس فى الشرق كان قد هزم يومنيس فى كبادوكيا والكتيلس وأتالوس فى Pisidia. فضلا عن أن انتيباتروس عينه قائداً عاما على آسيا بسلطات مطلقه. وكان قائدا لجيش كبير ضم ٦٠ ألف من المشاه وعشرة آلاف من الفرسان وثلاثون من أفيال. كل ذلك جعل إنتجونس يقرر حسم الامر لصالحه خاصة ولديه إمدادتلاحد لها من الولايات الشرقية. فجمع مجلسا من أصدقائه وأقنعهم بالولاء له. ثم بدأ بعزل الولاة الموجودين وعين بدلا منهم أصدقاءه.

Diod. XVIII . 48-50 .

مساعدة له فى حربه ضد برليبرخون وقد تلقى كاسندر كذلك دعما من بطليموس وليسيماخوس فيما بعد.

أراد برليبرخون أن يواجه موجة انكار سلطته بكسب الحلفاء والأصدقاء فاعلن باسم الملك حق الاغريق فى ممارسة حريتهم واستقلالهم الذاتى. وقد أدى هذا القرار الى اضطرابات شديدة فى بلاد الاغريق اذ أدى الى ثورات الشعب ضد الاوليجاركية المتحكمة فى السلطة منذ تنظيمات أنتيباتروس وكذلك أدى الى اندلاع حروب صغيرة بين المدن والحاميات المقدونية.

وعندما أراد برليبرخون أن يكسب اوليمبياس أم الاسكندر الأكبر الى صفه ضد كاسندر وبورديكى فتح بابا للحرب الأهلية فى مقدونيا اذ دعا أوليمبياس أن تعود الى مقدونيا (١) وصية على حفيدها الاسكندر . وكان هذا يعنى حدوث صدع عميق بين الملكين او بالتدقيق بين المرأتين اللتين كانتا تديران المسائل باسميهما خاصة والمعلوم أن أوليمبياس كانت تكره يوريديكى كراهية مميتة. فقد كانت زوجة ومرشدا لفيليب أرهيدايوس.

وفى الشرق عين برليبرخون وأوليمبياس يومنيس الذى كان قد نجح بدبلوماسية محنكة فى الخروج من قلعة نورا- كقائد عام على جيش

---

(١) كانت أوليمبياس تقيم فى ابيروس هر بامن أنتيباتروس عندما دعاها برليبرخون للعودة الى مقدونيا وصية على حفيدها.
Diod. XVIII . 48 - 49 .

الملك فى اسيا مع تعليمات بالتخلص من أنتيجوس. وتجدر الاشارة هنا الى أن يومنيس سبق أتخاذ قراره ضده فى Triparadeisos بأنه خارج على القانون يجب عقابه ولم يعدل الجيش عن هذا القرار حتى تاريخه.

كانت الحروب التى نشبت قاسية ودامية ومريرة. ففى الشرق نجح انتيجونس فى هزيمة يومنيس وأولئك الولاة الشرقيين الذى حاولوا عدم الخضوع الكامل له وقد أعدم يومنيس فى عام (٣١٦) فى معسكر أنتيجونس(١). ومع ذلك قلل من قيمة انتصارات أنتيجونس نجاح سليوكس والى بابل فى الهروب الى مصر حيث لجأ عند بطليموس وبين له أن نجاح أنتيجوس فى بلوغ مراميه يعنى تدمير بطليموس .

وفى بلاد اليونان وفى مقدونيا نجد أثينا بعد محاولة قصيرة العمر لاحياء دستورها الديموقراطى اجبرت على يد كاسندر على الخضوع وقام بها نظام الطغاة من جديد كان على رأسه ديمتريوس الفاليرى وقد حل فى عام ٣١٧ ق.م محل فوكيون الذى كان قد أعدم فى عام (٣١٨ ق.م) وفى مقدونيا نجح برليبرخون الذى كان قد طرده كاسندر نجح فى اعادة

---

(١) يومنيس كان الاغريق الوحيد بين الحلفاء المقدونيين للاسكندر وقد حارب جيش كراتيروس وهزمه لصالح برديكاس (٣٢١ق.م) وهزمه أنتيجونس بعد تنظيمات تريبارادايسوس فلجأ الى قلعة نورا. وبعد وفاة أنتيباتروس عرض عليه أنتجونس أن ينسى ما كان بينهما من صراع وأن ينضم اليه ومناه بالكثير من المكاسب ولكنه رفض. ثم استجاب لطلب أعداء أنتجونس (برليبيرخون وأوليمبياس) فتولى قيادة جيش باسمها. وهزم أنتجونس سنة٣١٦. ولكنه تعرض لخيانة من فرقة الدروع الفضية. قبض عليه أنتجونس وأعدمه.

أوليمبياس الى مقدونيا وجعلها مسئولة عن الاسكندر وروكسانا(٧ ٢) حدث هذا بينما كان كاسندر موجودا فى حملة فى شبه جزيرة البيلوبونيز. وجدت أوليمبياس التأييد فى البداية رغم معارضتها لكل من فيليب أرهيدايوس ويورييديكى. ولكن اقدامها على اعدام أرهيدايوس ودفع يورييديكى للانتحار وقتل كل من ساعدهما ادى هذا الى تحول ولاء الجيش والشعب لصالح كاسندر . وعاد كاسندر من اليونان بقوة كبيرة وحاصر أوليمبياس فى بيدنا، وفرض عليها الجوع الى أن تستسلم والاستسلام كان يعنى الموت. وأخيرا قتلت بأمر من كاسندر على أيدى أقارب ضحاياها الكثيرين عام ٢١٥ ق.م .

أصبح كاسندر سيد مقدونيا بعد مقتل أرهيدايوس ويورديكى وأوليمبياس. وسقط الاسكندر وروكسانا أسيرين لديه وهرب برليبرخون من تساليا الى ايترليا . وقد أبقى كاسندر على حياة الملك وأمه لاستخدامهما ورقة رابحة فى مستقبل الايام.

اختفت الحكومة المركزية واختفت اسرة فيليب المقدونى ولم يعد هناك من ينادى بحق هذه الاسرة فى حكم امبراطورية الاسكندر . وبعد كل هذه الاحداث أصبح السؤال المطروح عما اذا كان هناك من بين الحكام فى الولايات من يرغب ويقوى على التقدم كمرشح لخلافة الاسكندر وأن يعيد توحيد امبراطورته العالمية. كان واضحا للجميع أن هناك رجلا واحدا تنطبق عليه هذه المواصفات. هذا الرجل هو انتيجونس الاعور بمعارنة ابنه

ديمتريوس، فلقد أدعى مركز الحاكم الاعلى لاسيا بعد انتصاراته الكبيرة على يرمنيس وهدف الى ابقاء هذه الوظيفة بعد عودته الى آسيا الصغرى. رأى باقى الرلاة فى اطماع انتيجونس خطرا عليهم فتحالفوا وأرسلوا رسلهم الى انتيجونس لكى يشعروه بأنهم لاينظرون لانفسهم أبدا كرلاة من قبل حكومة مركزية وانما هم يعتبرون انفسهم شركاء نصره على يرمنيس ويطالبون بأنصبتهم فى غنائم الحرب. وهكذا دخل خلفاء الاسكندر فى حرب جديدة من أجل القضاء على محاولة احدهم خلافة الاسكندر(١).

بدأت الحرب فى عام ٣١٥ حارب انتيجونس على أكثرمن جبهة(٢): فى اليونان نجح انتيجونس فى استقطاب بوليبرخون وابنه الاسكندر للعمل لصالحه وفى آسيا نجح فى طرد بطليموس من سوريا. وبعد هذه النجاحات الاولى بنى اسطولا قويا فى فينيقيا قواه فيما بعد بتحالفه مع رودس، وبذلك أصبح سيد شرق البحر المتوسط، وفى اليونان فتح دعاية ضد كاسندر حيث اعلنه عدوا عاما بسبب سوء معاملته للاسكندر وروكسانا وأعلن نفسه وصيا ونائبا للملك فى مكان بوليبرخون الذى أصبح فى ذلك الوقت أحد اتباعه. ولكى يحصل على تأييد الاغريق أعلن منشورا حول حرية الاغريق،

---

(١) Appian , Syrian Wars . 53.

(٢) عند بداية الصراع كان انتيجونيس يملك ٥٢ ألف ثالث فضلا عن دخل سنوى يقارب ١١ ألف تالنت، وهذه الاموال كانت تمكنه من تجنيد جيش أضخم عدداً وأكثر إستعدادا من جيش أى قائد من منافسيه. M. Cary , OP . Cit . P.27.

وقد ضم بعض المدن فى آسيا الصغرى ومدن الكركلاديس فى عصبات حرة واتخذها حلفاء له(١). حاول بطلميوس ان يقاوم ذلك بالاستعانة بنفس الخدعة السياسية، ولكن حركته السياسية لم تكن مدعومة بقوة عسكرية مما جعلها ذات تأثير قليل فى بلاد اليونان . كان صراع انتيجونس فى بلاد الاغريق صراعا صعبا ومعقدا ، ولم يحرز انتيجونس هناك أى انتصار حاسم، وبقى كاسندر فى كامل قوته. وفى عام ٢١٤/٢١٣ خطط انتيجونس للوصول بالحرب فى اليونان الى نهايتها فقرر الهجوم على مقدونيا وفى نفس الوقت تهاجم قواته بقيادة برليمايوس اليونان وعندها أراد الهجوم على مقدونيا عن طريق عبور الدردنيل منعه ليسماخوس من عبور المضيق وقد أدى ذلك الى أن أصبحت انجازات برليمايوس فى بلاد اليونان عديمة القيمة تقريبا.

تعاقبت الاحداث فى الشرق بصورة أثرت تأثيرا حاسما على نتيجة الصراع ضد انتيجونس. فقد تقدم بطلميوس لاستعادة سوريا التى كان

---

(١) إستخدم أنتيجونس نفس حيلة برليبيرخون فأعلن عن حق الاغريق فى الحرية والاستقلال والتحرر من وجود حاميات أجنبية فى بلادهم. وأرسل رسائل متعددة لمختلف المدن بهذا المضمون. كما أرسل الاسكندر بن برليبيرخون والذى كان فى خدمته فى ذلك الوقت ومعه ٥٠٠ تالنت وقوات لدعم دعوته. وكان أنتيجونس يرى بأنه يستطيع بذلك أن يضمن وقوف الاغريق الى جانبه برغبتهم فى الصراع الجديد. ولم يقف بطلميوس بعيداً بل حاول القيام بنفس الدعاية السياسية وأعلن نفس الكلمات مثل المقدونيين وأنتيجونس عن حريه الاغريق . Diod . XIX . 61-62 . 2.

قد طرد منها، وكان انتيجونس قد ترك ابنه ديمتريوس فى غزة وكان بذلك يسعى الى فتح جبهة جديدة ضد انتيجونس لتخفيف الضغط عن حلفائه فى اوربا فضلا عن ابعاد خطر الغزو عن مصر على يد ديمتريوس. استطاع بطليموس ان يوقع بديمتريوس هزيمة ساحقة فى غزة (٣١٢). ولكن انتصاره كان قصير العمر اذ سرعان ماتعرض لهجوم مضاد من ديمتريوس أدى الى نجاح جزئى ثم عاد أنتيجوس نفسه الى سوريا ولم يجد بطليموس أمامه من خيار سوى الانسحاب الى داخل مصر.

أدت حملة بطليموس القصيرة على سوريا الى بعض النتائج منها نجاح سليوكس الذى كان لاجئا عند بطليموس -فى استعادة ولايته السابقة فى بابل. ثم بذل سليوكس جهودا جبارة لترسيع حدوده شرقا(١). أزعج هذا التطور الجديد أنتيجونس الذى اعتبر عودة سليوكس الى بابل عنصر هدم يمكن أن يعصف بخططه. ولذلك وجه ابنه ديمتريوس على وجه السرعة الى بابل لضرب سليوكس الذى كان مشغولا عند وصول قوات

---

(١) كان سليوكس قد عين والياً على بابل فى عام ٣٢٠ق. م ولكنه وقع فى خلاف مع أنتيجونس فهرب الى مصر محتميا ببطليموس . وقد إستطاع سليوكس أن يغذى شكوك بطليموس وباقى الحلفاء ضد أطماع أنتيجونس وتكون حلف من بطليموس وليسيماخوس وكاسندر وأسندرا أمور هذا الحلف لسليوكس. إستطاع سليوكس استغلال فرصة هزيمة بطليموس لديمتريوس فى غزة عام ٣١٢ وذهب مباشرة الى بابل لاستعادة حكمه وكانت معه قوة من ألف جندى من المشاة و٢٠٠ من الفرسان . واستطاع هذا الرجل أن يوسع امبراطوريته فى فترة قصيرة.

Appian , Syrian Wars . 53-54 .

ديمتريوس بتوسيع حدوده الشرقية. ومع ذلك لم يحقق ديمتريوس النجاح المطلوب، وفي نفس الوقت تعرض انتيجونس لخيانة أحد قواده في الغرب، أدت هذه الأحداث الى اقناع انتيجونس بارجاء العمليات العسكرية في الغرب والجنوب الى أن يعيد سلطته على الشرق بطرد سليوكس من هناك وبعدها يستأنف الصراع ضد كاسندر وليسيماخوس وبطليموس، حيث كان وجود سليوكس كمدو على حدوده الشرقيه أمر يعيق أنطلاقه غربا أو جنوبا تاركا قلب دولته تحت رحمة سليوكس، فضلا عن أن أستيلاء سليوكس على بابل والولايات الشرقية كان يحرم انتيجونس من امدادت الرجال والخيول والافيال والنقود التى كانت تأتيه من الشرق البعيد ويبدو أن رغبة انتيجونس في عقد هدنه مع اعدائه الاخرين صادفت هوى في نفوسهم ولعلهم كانوا هم الاخرين يحتاجون لفترة يلتقطون فيها الانفاس، ومن ثم حدثت اتصالات انتهت بعقد اتفاق بين انتيجونس وكاسندر وليسيماخوس وبطليموس وقد عرفنا مضمون هذا الاتفاق من خطاب ارسله انتيجونس بعد اتمامه الى مدينة Scepsis (١). ويرجح هذا التفسير أن المتعاقدين استبعدوا سليوكس من الاتفاق وتخلوا عن زميلهم عند الاتفاق، بل وأنكروا وجوده في بابل وانتصارته على الولايات الشرقية فجاء الاتفاق

---

(١) مضمون نفس الاتفاق ورد عند ديودور الذى ذكر أن كاسندر وبطليموس وليسيماخوس وضعوا جدا للحرب ضد انتيجونس خلال عام لرخونية Simonides في أثينا (٣١١/٣١٠) وعقدوا معاهدة ذكر تفاصيلها وهى لاتختلف عما جاء في خطاب انتيجونس لمدينة Scepsis. Diod. XIX . 105 . 1-4.

معترفا بكاسندر حاكما على مقدونيا الى أن يصل الاسكندر الرابع سن الرشد، اما ليسيماخوس فقد اعترفوا له بما تحت يده من اراضي وفقد بطليموس بموجب هذا الاتفاق سوريا وان استعاد قبرص أما انتيجونس فقد اعترفوا به حاكما على كل الشرق بما فيه سوريا وولايات سليوكس (١). وتم اعلان حق المدن الاغريقية فى الحرية. ويعتبر عقد هذا الاتفاق انتصارا دبلوماسيا هائلا لانتيجونس. وكما كان متوقعا استغل انتيجونس فترة الهدوء التى هيئتها الاتفاقية لكى يحاول اعادة اخضاع الولايات الشرقية لسلطته بينما استغل اعداؤه هذة الهدنة لتجديد قواهم العسكرية.

اتجة انتيجونس الى الشرق املا أن يهزم سليوكس وقضى الفترة من ٣١٠ الى ٣٠٨ فى معارك متصله ضده دون أن ينجح فى هزيمته. وقد أدى غياب انتيجونس الطويل عن الساحة فى الغرب الى استغلال اعدائه لهذا الغياب، فقد نجح كاسندر أن يتخلص من الاسكندر الرابع فى عام (٣١٠) بقتله، كما نجح فى اجتذاب بوليبرخون (الذى كان وصيا على المملكة بعد موت انتيباتروس ثم دخل فى خدمة انتيجونس) للعمل فى خدمته وترك انتيجونس.

اما بطليموس فقد استغل غياب انتيجونس فى الشرق للسيطرة

---

(١) إن عدم مشاركة سليوكس فى الاتفاق يبدو أنه تم بتدبير من أنتيجونس حيث كان يرغب فى التخلص منه بعد الاتفاق مع حلفائه السابقين . ولكن بغير شك أن قبول الحلفاء التخلى عن حليفهم كان سببا فى إضطراب علاقتهم بسليوكس فيما بعد .

على مدن كثيرة من بلاد الاغريق بحجة تحريرها ثم وضع فيها حاميات لحماية هذة الحرية وبذلك احتل مكانة انتيجونس فى بلاد الاغريق.

أدى هذا بانتيجونس الى أن يسرع الى الغرب ولكنه وجد بلاد الاغريق فى ايدى بطليموس وكاسندر والجزر تحت حماية بطليموس، ومع ذلك اضطر انتيجونس الى بدء عمليات حربية فى الغرب رغم أن حكمه فى آسيا كان مايزال عرضة للخطر نظرا لوجود سليوكس شوكة فى ظهره. حقق انتيجونس نجاحين باهرين ولكنهما لم يستمرا طويلا، فقد استعاد ديمتريوس ابنه حرية أثينا فى عام ٣٠٧ ق.م (١) وكذلك جزء كبير من بلاد الاغريق كما استطاع ديمتريوس أن يهزم اسطول بطليموس امام قبرص فى معركة كبيرة فى عام (٣٠٦) (٢) .

---

(١) وصل ديمتريوس أمام بيرايوس فى ٢٦ ثارجيليون (٣٠٧ق. م) واعتقد المدافعون أن الاسطول يخص بطليموس ولذلك لم يرفع أحد السلاح فى وجه القادمين . ووجد ديمتريوس بوابات الميناء مفتوحة فأبحر داخله. وعندما إكتشف المدافعون الحقيقة كان الوقت قد فات . طلب ديمتريوس الهدوء والسكوت . وأعلن من خلال منادى أن أباه قد أرسله لكى يحرر الأثينيين . ولكى يطرد الحامية المقدونية ولكى يعيد لهم قوانينهم السلافهم.

وقد فرح الاثينيون بهذا الاعلان كثيراً، ودعوا ديمتريوس للنزول واطلقوا عليه القاب المحرر والمنقذ . بل أنشأوا فيما بعد فى موقع نزوله مذبحا يقدمون عليه القرابين على شرفه وأنشأوا قبيلتين إضافيتين الى العشرة قبائل القائمة باسم كل من انتيجونس و ديمتريوس ، وجعلوا مجلس الخمسمائة ستمائة لكى يضموا خمسين ممثلاً لكل قبيلة.

Plutarch , Demetrius 8-10.

(٢) هناك إختلافات فى تقدير عدد سفن أسطول كل من بطليموس وديمتريوس فى معركة سلاميس (٣٠٦) وان كان المرجح أن أسطول الأول ضم حوالى ١٥٠ سفينة وأسطول الثانى اكثر من مئة بقليل. ويبدو أن هزيمة بطليموس كانت ضخمه فقد تراوحت حول أعداد سفنه الناجية من الكارثة بين ٨ و ٢٠ سفينة.

M. Cary , op. Cit Appendix NO. 4.

وقد رأى أنتيجونس أن نتيجة المعارك ضد كاسندر وبطليموس تعطيه الحق فى أن يعلن نفسه ملكا على الامبراطورية وأن يتصرف طبقا لذلك. ولكن هذا الادعاء من جانب أنتيجونس ووجه باعتراض من جانب بطليموس الذى اعلن هو الأخر نفسه ملكا على مصر (٣٠٥) لكن يعلم انتيجونس انه غير مستعد لقبول ادعائه بالملك، وقد وجه انتيجونس حملة ضد مصر لتأديب بطليموس ولكنها فشلت، شجعت خطوة بطليموس كل حكام الهلينستيين الرئيسيين على اتخاذ القاب الملك فعل ذلك ليسيماخوس وكاسندر ومن بعدهما سليوكس.

وبينما كان انتيجونس يحاول دون فائدة أن يهزم بطليموس كان عدوه الاخر كاسندر يزداد قوة. وكان يكسب أرضا فى بلاد الاغريق بانتظام وهدد حرية أثينا التى تحققت فى حماية ديمتريوس بن أنتيجونس عاد ديمتريوس باسطوله الكبير الى بلاد الاغريق وأنقذ أثينا وسيكيون وكورنثا وأغلب مدن البيلوبونيز من أيدى كاسندر، كما أعاد تكوين العصبة الهلينية تحت قيادة أبيه فى عام (٣٠٢ ق.م) عندئذ اضطر كاسندر الى عقد صلح منفرد مع أنتيجونس(١).

---

(١) خطط أنتيجونس لانشاء هذه العصبة فى عام ٣٠٧ ولكن لم تصبح الظروف مواتية لإقامتها الا بعد إنتصار ديمتريوس على كاسندر والاشارة الوحيدة خلال عامى ٣٠٤و٣٠٢ عن الموضوع فى الاعمال الادبية وردت عند بلوتارخ حيث ذكر "وعندما إجتمع الاغريق فى مؤتمر عام عند خليج كورنثا وتجمع عدد كبير منهم. تم إعلان ديمتريوس قائدا للاغريق "

أما أقوى أعداء أنتيجونس وهما ليسيماخوس وسليوكس فلم يقرلا كلمتهما في الصراع حتى ذلك الوقت. ورغم أن كاسندر خرج من الصراع الا انه نجح في اقناع ليسيماخوس ومن بعده بطليموس وسليوكس أن يبدا عمليات عسكرية عنيفة ضد انتيجونس وكان من الواضح أن قوات الحلفاء، حتى بدون اشتراك بطليموس كانت ندا لقوات انتيجونس وقد تم التغلب على مشكلة توحيد جهد الحلفاء في المعركة بفضل الكفاءة غير العادية لليسيماخوس. وكانت النتيجة هي معركة ابسوس الحاسمة التي أدت الى نهاية امبراطورية انتيجونس (٣٠١).

مات انتيجونس في ابسوس وانتهت اطماعه ولكن ابسوس فتحت شهية باقي الملوك - فيما عدا بطليموس - لتبني خطط انتيجونس في انشاء امبراطورية لكل منهم. فليسيماخوس الذي كان قد ضم الى مملكته بعد ابسوس جزءا كبيرا من اسيا الصغرى بما فيها كبادوكيا (ولكن بدون برنتس وبثينيا) كان يخطط لضم مقدونيا وبلاد اليونان ان عاجلا أو اجلا. وسليوكس كان يرجو توسيع مملكته الشرقية القوية والغنية. اما بطليموس

---

* مثلما كان الحال مع فيليب والاسكندر" وقد بقيت شذرات من ميثاق هذه العصبة؛ يبدو منها أن الهدف من وجود هذه العصبة كان ضمان بقاء تأييد الاغريق لأنتيجونس وابنه طالما بقي الصراع قائما مع خلفاء الاسكندر الآخرين. وقد أدت الوفاة غير المتوقعة (٣٠١) لأنتيجونس الى تفكك العصبة وانتهائها.

Plutarch , Drmetrius 25 . في

Staatsv . III . 446

فلم تكن له مثل هذه الخطط وانما حصر سياسته فى تقوية مملكته على أن يلحق بها بعض اقاليم اخرى لسبب مرقعها الاستراتيجى اوغناها فى المواد الاولية وهيمنتها على طرق التجارة الدولية : هذه الاقاليم مثل الساحل السورى الذى غزاه فور انتهاء الحلفاء من انتيجونس وقبرص وبعض سواحل آسيا الصغرى الجنوبية. اما كاسندر فنظرا لظروف اجهاد مملكته فى مقدونيا كان راضيا بسيطرة قلقة فى مقدونيا واليونان.

يبقى بعد ذلك ديمتريوس بن انتيجونس ورغم أن أباه سقط فى معركة ابسوس ورغم فقدانه لاغلب املاك أبيه فقد كان هناك بعض نقاط البداية فلدية اسطول ضخم يسيطر على مياه بحر ايجه ويتخذ من قبرص قاعدة له(١). وكان مايزال رئيسا للعصبة الهلينية ومسيطراً على عصبة الجزر وكان مالكا لكثير من المدن الاغريقية فى اليونان خصوصا أثينا وفى آسيا الصغرى كاريا وأيونيا وعلى الساحل الفينيقى، وبذلك كان مايزال منافسا خطيرا للمنتصرين فى ابسوس انحصرت سياسة ديمتريوس فى محاولة استعادة امبراطورية ابيه أو بعض اجزائها، ولكنه ووجه بنكران فى أثينا وانحلت العصبة الهلينية، ووجد أن فرض سيطرته بالقوة على بلاد الاغريق يعنى أن يدخل حربا طويلة ضد كاسندر مع احتمال ضئيل للنجاح. ولذلك فضل ان يبدأ محاولته لاستعادة الامبراطورية المفقودة من

---

(١) ديمتريوس بوليوركيتس (فاتح المدن) ولد حوالى ٣٣٧ ومات ٢٧٢ ق . م .

آسيا خصوصا فى ظل وجود اسطوله القوى فى قبرص، كما استغل ديمتريوس تفكك المنتصرين وتباعد مواقفهم للبحث عن حلفاء. فقد كان سليوكس وبطليموس قد دخلا مرحلة خصام بسبب استيلاء بطليموس على سوريا التى يراها سليوكس جزءا من مملكته وليسيماخوس كان قد أصبح جارا لسليوكس فى آسيا الصغرى وكان يشعر بقلق وخوف من خطط سليوكس التوسعية. وهكذا وجد ديمتريوس الفرصة فى عام٢٩٩ ق.م للتحالف مع سليوكس المعزول عن حلفائه تقريبا كما دخل فى علاقات دبلوماسية مع بطليموس، وحتى فى بلاد الاغريق ومقدونيا فان موت كاسندر فى عام ٢٩٧ قد انعش آمال ديمتريوس ونظرا الى ان موقفه فى آسيا الصغرى لم يكن مبشرا ونظرا لانه رأى أن فرص النجاح فى اليونان كبيرة حيث مصادر الرجال والسفن والمال واسعة وقدر أنه لن يصادف منافسين خطرين فى اليونان. عندئذ تخلى عن املاكه فى آسيا الصغرى لاعدائه وأبحر الى اليونان وقدر أنه اذا سيطر على بلاد اليونان، فانه قادر على هزيمة مقدونيا ثم الثأر من اعدائه. وقد فهم أعداؤه هذا وعملوا فى الحال على ضرب خططه . لم يستطع المتحالفون ضد ديمتريوس أن يوقفوا تنفيذ خططه فى اليونان فنجح فى استعادة السلطة فى أثينا بعد بعض المقاومة وذلك فى عام ٢٩٤ ومن أثينا تقدم لاستعادة باقى بلاد اليونان وأثناء حربه مع اسبرطه تصارع ابنا كاسندر على السلطة فى مقدونيا فاستعان أحدهما بديمتريوس وبيرهوس على أخيه وسبق بيرهوس الى

معارته وعندما وصل ديمتريوس الى مقدونيا وجد ان الامر قد استقر لصالحه (الاسكندر بن كاسندر) فتآمر عليه واغتاله وانتخب الجيش المقدونى ملكا عليها. وهكذا أصبح ديمتريوس منذ عام ٢٩٢ أقوى حكام العالم الهلينستى حتى أن أعداءه لم يقدروا على التصريح بعدائهم له، خصوصا وهم جميعا كانوا يعانون من مشاكل فى ممالكهم . وهكذا كانت لدى ديمتريوس الفرصة للسيطرة على باقى المدن اليونانية التى بقيت خارج سيطرته حتى ذلك الوقت وكان أعداؤه فى بلاد اليونان يضمون ابيروس وأيتوليا واسبرطه وثارت بيوتيا ضده عدة مرات. كما أن الحالة فى أثينا لم تكن مستقرة تماما، اما أضعف النقاط فى الولاء لديمتريوس كانت مقدونيا حيث كان الجيش يرفض كثيرا من تصرفات قائده اذ كان يتصرف فى مقدونيا كما كان يتصرف فى الشرق وأعتبر الجيش المقدونى هذا نوعا من الإهانة والاعتداء عليه، وبذلك كان الجيش مستعدا لان يتخلى عن قائده اذا ما لاحت له أية فرصة وقد واتته هذة الفرصة عند خرج ديمتريوس لكى يستعيد املاكه المفقودة فى اسيا (٢٨٩).

اعتبر ليسيماخوس (١) فى ظروف ديمتريوس فرصته الأخيرة لمنعه من تنفيذ خططه فقد كان على اتصال باعداء ديمتريوس فى اليونان

---

(١) ليسيماخوس ولد حوالى ٣٥٥ من أصل مقدونى صار واليا على تسالبا بعد موت الاسكندر الاكبر كما أصبح سيد غرب اسيا بعد موت انتيجونس ٣٠١ق.م قتل فى معركة ضد سليوكس فى ليديا عام ٢٨١. وقد إنتهت مملكته بموته.

(بيرهوس والايتوليين) وكان يعلم بصعوبة موقفة اذ أن المدن اليونانية كانت ترضخ له تحت وطأة القوة، كما كان يعلم أن المقدونيين غير راغبين فى استمرار قيادة ديمتريوس لهم. رأى ليسيماخوس ايضا أن نجاح ديمتريوس فى العبور الى آسيا وتحقيقه انتصارات هناك ربما يؤدى الى تقوية مركزه ويقلب حسابات اعدائه رأسا على عقـــب.

لذلك اشترك ليسيماخوس وبيرهوس (١) فى شن حملات مشتركة على مقدونيا فى ربيع عام ٢٨٨ ق.م وعند مواجهة ديمتريوس لاعدائه قرب Beroea هجره أغلب جنوده المقدونيين وذهبوا الى بيرهوس، وانهارت سلطة ديمتريوس فى مقدونيا مما اضطره الى الهروب الى كاسندريا (بوتيدايا القديمة) . ومن هناك هرع الى بلاد اليونان لكى ينقذ على الاقل املاكه هناك. وقد نجح فى هذا اذ ان بطليموس لم يكن مستعدا لحربه كما أن ليسيماخوس لم يتدخل ضده هناك. الا أن وضعه فى بلاد اليونان كان وضعا قلقا، ولذلك وضع كل الرجاء على غزو آسيا واستعادة املاكه هناك اذا مانجح فى أخذ ليسيماخوس على حين غرة (٢٨٧) ولكن خاب هذا

---

(١) بيرهوس ملك إبيروس كان أحد المتشبهين بالاسكندر الاكبر. دخل فى مغامرات وتحالفات من أجل السيطرة على مقدونيا وبلاد اليونان. وعندما لم تحقق طموحه سعى نحو الغرب حيث إستجاب لدعوة تارنتوم فى عام ٢٨٠ق.م وعبر ومعة عشرين ألفا من جنوده الى إيطاليا حيث حارب روما؛ ثم إنتقل دون حسم للمعركة معها الى صقلية حيث حارب قرطاج. ضاق به السيراكوزيين حتى ترك بلادهم ثم هزمه الرومان فى Beneventum واضطر للعودة الى بلاده دون أن يحقق شيئا من أمله. وقد مات ٢٧٢ق.م.

الرجاء عندما فشل جيشه ٢٨٦ في مواجهة جيش ليسيماخوس واضطر للتقهقر أمامه، عندئذ أراد ان يعبر طوروس وان يحاول تجربة حظه المناطق في الشرقيه البعيدة الا أن من تبقى من قواته رفض ان يتبعه في خططه. عندئذ اتصل بسليوكس لكي يحالفه على ضرب ليسيماخوس ولكن سليوكس خيب رجاءه. فصمم ديمتريوس على محاربة سليوكس نفسه ولكنه وقع مريضا واضطربت امور جيشه اثناء مرضه فاستسلم لسليوكس في عام (٢٨٥) وقع ديمتريوس اسيرا عنده، وقضى باقي عمره ضيفا غير مرغوب فيه في مدينة أباميا، ومات سكيرا.

أدى سقوط ديمتريوس من على المسرح السياسي الى تغيير كبير في الخريطة السياسية للعالم الهلينستي. وكان أكثر المستفيدين من هذا هو ليسيماخوس. اذ أن ليسيماخوس استولى على نصف مقدونيا بعد طرد ديمتريوس منها بمقتضى اتفاقه مع بيرهوس. ثم استولى على النصف الاخر في عام (٢٨٦ ق.م) بعد أن أدى تحالفهما المؤقت غرضه في التضييق على انتيجونس(جوناتاس) بن ديمتريوس الذي كان يسيطر على أثينا(١).

---

(١) عاش بين ٣٢٠و٢٣٩ق.م هو إبن ديمتريوس فاتح المدن وحفيد أنتيجونس(الأعور). هزم الجلاتيين في تراقيا واستولى على مقدونيا ٢٧٦. وقع صراع بينه وبين بيرهوس الذي غزا مقدونيا وبينه وبين بطليوس الذي حرض المدن الاغريقية. وقامت حرب خرمونيدس ولكن جوناتاس خرج من هذه الحرب سيداً لبلاد الاغريق. كما صار سيداً لجزر إيجة بعد هزيمته للبطالمة في معركة بحرية قرب كوس(٢٥٨-٢٥٦). ولكن البطالمة سرعان ما إستعادوا مافقدوه بل وألبوا عليه العصبة الاخية. كان جافا في طباعة ولكنه كان محبا للثقافة وقد إستضاف في بلاد عدداً من الشعراء والفلاسفة والمؤرخين ويعزى اليه إعادة بناء مقدونيا.
الموسوعة العربية الميسرة ط ١٩٧٥ .

وهكذا تراجع بيرهوس وسيطر ليسيماخوس على مقدونيا وأغلب بلاد اليونان بينما لم يبق لانتيجونس سوى السيطرة على عاصمته ديمترياس. ولكن اتساع املاك ليسيماخوس اشعلت جذوة الشك والغيرة فى نفوس اصدقائه القدامى بطلميوس وسليوكس.

وبطلميوس ورث جزءا ضخما من اسطول ديمتريوس وولاء أغلب جزر بحر ايجه بالرشوة وهكذا أصبح بطلميوس سيدا على كل من البحر الايجى والساحل الفينيقى، ممتلكا لاقوى القوى البحرية فى العالم الهلينستى، ومنافسا خطيرا لكل من ليسيماخوس وسليوكس.

وسليوكس ايضا لم يكن مستعدا لان يذعن للموقف الذى خلفه موت ديمتريوس فقد اعتبر سيطرة ليسيماخوس على آسيا الصغرى وسيطرة بطلميوس على معظم المناطق الاستراتيجية أشواك مغروسة فى جسده. ولكن سليوكس مع ذلك بقى ساكنا طالما بطلميوس العجوز صاحب الافضال عليه على قيد الحياة، وظالما بقى ليسيماخوس قابضا بقوة على ناصية الامور فى مملكته.

مات بطلميوس الاول فى عام ٢٨٢ وكذلك مات ديمتريوس فى نفس العام وانتقل الحكم من بعده لابنه بطلميوس الثانى الذى عرف بالمحب لأخته فيلادلفوس وقد أدى هذا الى حرمان أخيه الأكبر غير الشقيق بطلميوس

العاصفة Ceraunus من العرش(١) ، فترك مصر لاجئا عند سليوكس ثم عند ليسيماخوس ، واستطاع بطليموس العاصفة واخته غير الشقيقة أرسينوى وكانت زوجة ثالثة لليسيماخوس أن يثيرا الشكوك فى قلب الرجل ضد ابنه اجاثوكليس مما أدى الى قتل الابن ومؤيديه، وهربت زوجته وأطفاله لاجئين عند سليوكس أدى قتل اجاثوكليس الى هياج الرأى العام ضد ليسيماخوس واستغل سليوكس الموقف وسار ضده ومعه الأرملة (٢) وأولادها واستقبلتهم مدن آسيا الصغرى استقبالا ودودا الى أن التقى

---

(١) بطليموس كيرانوس إبن بطليموس الأول من بوريديكى إبنة أنتيباتروس. وقد إستطاعت زوجة أبيه (برينيكى) أن تزمن العرش لإبنها بطليموس (فيلادلفوس) حيث أشركه أبوه فى الحكم منذ عام ٢٨٥ق.م. غادر كيرانوس مصر بحثاً عن فرصته. ونجح فى إستمالة سليوكس الى صفه ولكن الرجل كان عازف من دخول صراعات مع مصر فى حياة بطليموس الأول. فذهب كيرانوس الى ليسيماخوس ولم يكن حماس الثانى له أفضل من حماس الأول؛ فقد كان حريصا على تدعيم علاقاته مع مصر، الا أن ليسيماخوس سمح لكيرانوس بالاقامة فى بلاطه. اشترك مع سليوكس فى هجومه على مقدونيا وأثناء عبور سليوكس للدردنيل قتله بيده واستولى على مقدونيا. كان المرشحون للنزاع معه ثلاثة ولكن ظروفهم جميعاً لم تسمح بمواجهة فأنطيوخس كان مشغولا فى سوريا وبيرهوس كان مشغولا بحملته على إيطاليا وجوناثاس كان أضعف من أن يواجهه. وبقيت أرملة ليسيماخوس وهى أخته غير شقيقة لكيرانوس (أرسينوى الثانية) إستطاع كيرانوس أن يزيل مخاوفها بالزواج منها مع وعد بأن يكون إبنها الأكبر وريثه على مقدونيا. ولكن الرجل نقض هذا العهد بعد قليل وقتل ولدين وهربت هى ومعها الثالث الى مصر حيث تزوجت فيلادلفوس أما كيرانوس فبعد أن قضى على أعدائه الخطرين فى العالم الهلينستى أو أمن شرهم جاءه الخطر من قبائل الجلاتيين التى هاجمت وقتلته فى معركه Allia فى عام ٢٧٩ ق.م.

(٢) لوساندرا إبنة بطليموس الأول بوريديكى ولذلك فقد كانت شقيقة كيرانوس وكانت إختا غير شقيقة لأرسينوى زوجة ليسيماخوس(٣٠٠ق.م) بطليموس كيرانوس ثم بطليموس الثانى.

جيش سليوكس بجيش ليسيماخوس فى Corupedion ليديا (٢٨١). والجدير بالذكر أن الرجلين كانا القائدين الوحيدين من قواد الاسكندر الباقيين على قيد الحياة، وفى المعركة التى قامت هناك هزم ليسيماخوس وقتل وسقطت مملكته فى يد سليوكس الذى وحد مرة أخرى تحت حكمه الجزء الأكبر من امبراطورية الاسكندر. انضم بطليموس العاصفة Ceraunus الى سليوكس، وفى اثناء عبور الاخير لمضيق الدردنيل قتل بطليموس العاصفة سليوكس وانتخبه الجيش المقدونى ملكا على مقدونيا فى عام ٢٨٠ ق.م.

ويمثل هذا العام ٢٨٠ ق.م نهاية فترة خلفاء الاسكندر وحروب الخلافة التى لم تهدأ ابدا وكانت السنوات الثلاث والاربعون التالية لموت الاسكندر سنوات حرب مستمرة تقريبا، شملت كل نقطة من امبراطورية الاسكندر، ولم يشعر خلالها أى حاكم من الحكام أيا كانت قوته بالامان خلالها على نفسه وعرشه : فكل منهم كان له منافسون واعداء يعملون على توسيع رقعة ممالكهم على حساب ممالك جيرانهم. هناك ظاهرة أخرى ميزت تلك الفترة (٣٢٣ الى ٢٨٠) وهى استمرار وجود احد القادة الذى يعتبر نفسه خليفة للاسكندر وكان هذا التطلع لخلافة الاسكندر يجر على صاحبه عداء القادة الاخرين.

وهكذا نلاحظ أن برديكاس وأنتيباتروس حاولا أن يعيدا توحيد الامبراطورية لصالح البيت المالك ولكن انتيجونس وديمتريوس وحتى

ليسيماخوس وسليوكس حاولوا اعادة توحيد الامبراطورية كل لحسابه الخاص . وكل من تصدى لهذا المهمة واجهته تحالفات بين من اعتبرهم هؤلاء ولاة عصاة لأوامرهم. ونجحت دائما هذه التحالفات فى قتل محاولة التوحيد. وكان لابد من انتظار الجيل الثانى من الاسر الحاكمة الكبرى فى العصر الهلينستى حتى تستقر فكرة وجود ممالك هلينستية متعددة ومنفصلة ومستقلة . وأن يصل العالم الى نوع من توازن القوة بين هذه الممالك لقد كان بطليموس الاول هو الذى غرس هذه الفكرة ورعاها وسار على دربها ابنه بطليموس الثانى، ثم قبلها ملك سوريا انطيوخس بن سليوكس وملك اليونان انتيجونس بن ديمتريوس.

٢ـ فترة توازن القوى في العالم الهلينستي

بقي بطلميوس Ceraunus ملكا على مقدونيا وتلقى اعتراف انطيوخس الاول به بعد موت سليوكس كما نجح في هزيمة منافسه الرئيسي في بلاد اليونان أنتيجونس جوناتاس في معركة بحرية مشهورة وبذلك أصبحت الطريق مفتوحه امامه لترسيخ أقدامه في مقدونيا وتوسيع مملكته خاصة وأن منافسه الاخير بيرهوس ملك ابيروس كان غائبا في حملته على ايطاليا وصقليه. ولكن كل هذه الاحتمالات انتهت بمقتل بطلميوس كيراونوس في معركة ضد الجلاتيين في مقدونيا وبذلك انتهى حكم البطالة في مقدونيا عام (٢٧٩).

وقد ساعد اختفاء بطلميوس كيراونس على فتح الطريق من جديد امام أنتيجونس جوناتاس، الذي نجح بمعونة الايتوليين في هزيمة الجلاتيين وكانوا قد تقدموا نحو دلفي (٢٧٩) . كما ساعد على ذلك ايضا الانسحاب غير المنتظم لهذه القبائل عبر مقدونيا وتدمير انتيجونس جوناتاس لجانب من جنودهم (٢٧٧) قرب ليزماخيا (١). كل هذا فتح الباب نحو عرش

---

(١) أدى هجوم الجلاتيين الى إشاعة الفوضى في مقدونيا وبقيت تلك البلاد بلا حكومة لمدة عامين. وإن كان هناك ملكان أحدهما يدعىMaleager وهو شقيق كيراونوس الثاني يدعى انتيباتروس إبن شقيق كاسندر. وقد أدت هذه الهجمات الجلاتية الى فصل مقدونيا على تراكيا وقطعها عن البحر الاسود . كما ادت هذه الهجمات الى قيام أسرة ملكية جديدة في مقدونيا رأسها انتيجونس جوناتاس.

مقدونيا امام انتيجونس وسرعان ما أعلنه الجيش المقدونى ملكا البلاد. سعى انتيجونس الى تدعيم مركزه فى بلاد اليونان ايضا الى ان عاد بيرهوس ونجح فى طرد انتيجونس مؤقتا من مقدونيا فى عام (٢٧٤) ولكن بيرهوس مات اثناء محاوله فاشله لضم مدن اليونان الى أملاكه الاخرى (٢٧٢) أصبح انتيجونس بلا منافس فى مقدونيا واليونان بعد موت بيرهوس، وسعى بالعمل الجاد والسياسة الماهرة الى تدعيم مركزه بقوة فى مقدونيا ومدن اليونان .

اما آسيا فقد خلف انطيوخس الاول (١) أباه واستطاع أن يحكم كل الولايات الشرقية وكل آسيا الصغرى بما فيها الجزء الشمالى ومع ذلك كان انطيوخس يواجه باطماع بطليموس الثانى فى مصر والملوك الصغار المحليين فى برنتس وبثينيا، فضلا عن انتيجونس جوناتاس قبل اتفاقه معه.

تخلص انطيوخس من عداء انتيجونس بأن اعترف له بأحقيته فى مقدونيا مقابل تنازله عن اطماعه الاسيوية. وبينما كان مشغولا بالقضاء على المتمردين المحليين فى سوريا وبحرب ضد فيلادلفوس(٢٨٠-٢٧٩) دعى الملك نيكوميديس من بثينيا ومثريداتيس من برنتس قبائل الجلاتيين ودفعا بهم الى الاملاك السلوقية فى اسيا الصغرى حيث تعرضت لنهبهم ولم يكن

---

(١) كان إبنا لسليوكس من أباما الفارسية . وقد أعلنه أبوه فى عام ٢٩٢ شريكا له فى الحكم ، ولذلك عندما مات سليوكس لم تحدث إضطرابات داخل البلاط السلوكى.

أنطيوخس قادرا على مواجهة هذا الخطر أو طرد الجلاتيين فى الحال من آسيا الصغرى. واستوطن الجلاتيون فى فريجيا ومثل وجودهم حماية لتلك الممالك الصغيرة، ولكنهم سببوا دمارا عظيما فى شبه جزيرة آسيا الصغرى الى ان هزمهم انطيوخس فى معركة الافيال الشهيرة فى عام ٢٧٥ ق.م (١).

كانت الخريطه السياسية للعالم الهلينستى فى اعقاب القضاء على الاضطراب الجلاتى كما يلى:

كانت اقوى الممالك الهلينستية هى مملكة البطالمة فى مصر، التى استطاعت اسرة البطالمة ان تثبت اقدامها فيها بقوة (٢). تليها المملكة السلوقية، التى ضمت ولايات الاسكندر فى ميزوبوتاميا وسوريا (باستثناء

---

(١) موجات الجلاتيين التى أغارت على آسيا الصغرى هى إمتداد تلك الاغارات التى تمت على مقدونيا وبلاد اليونان قبل ذلك بسنوات قليلة. وقد عادت الجلاتيون تخريبا فى كل آسيا الصغرى ونهبوا ما إستطاعوا وان كانت المدن اليونانية لم تسقط فى أيديهم بسبب جهلهم بأدوات حصار المدن. وقد حاول أنطيوخس الأول ضربهم فى عام ٢٧٦ ولكنه إضطر للعودة السريعة الى سوريا لمواجهة حرب قامت هناك. ولكنه عاد فى العام التالى ٢٧٥ حيث واجههم فى مرتفعة غير معروفة المكان ، إستطاعت أفياله فيها أن تثير الرعب فى الخيول وراكبيها وحقق النصر عليهم بفضل هذه الا فيال . وبعد هذه المعركة إستقر الجلاتيون على هضبة فريجيا وقل أثرهم المدمر.

(٢) حكم الملوك البطالمة مصر منذ وفاة الاسكندر حتى عام ٣٠ ق.م وملوك البطالمة هم:

بطليموس الأول (سوتر) ٣٢٢-٢٨٥ كحاكم و ٣٠٥-٢٨٢ ملك

بطليموس الثانى (فيلادلفوس) ٢٨٢-٢٤٦ بطليموس الخامس (إبيفانس) ٢٠٠-١٨٠

بطليموس الثالث (يورجتيس) ٢٤٦-٢٢٢ بطليموس السادس (فيلوماتر) ١٨٠-١٤٥

بطليموس الرابع (فيلوباتر) ٢٢٢-٢٠٤ بطليموس السابع (نيوس فيلوباتر) ١٤٥-١٤٤=

فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا التى كانت تابعة لمصر) وكانت معظم هذه الولايات تقع فى الشرق البعيد (١) وأجزاء كبيرة من آسيا الصغرى وكانت المملكة الثالثة هى مملكة مقدونيا، التى اعتبرت نفسها حامية لمدن الاغريق فى شبه الجزيرة وسيطرت على بعض المدن مثل خالكيس وكورنثا (٢)، وكانت هناك ممالك صغيرة فى آسيا الصغرى اهمها برتس

---

* بطليموس الثامن (يورجتيس الثانى فيسكون) ١٤٤-١١٦
بطليموس التاسع(سوتر الثانى) ١١٦-١٠٨ بطليموس العاشر(الاسكندر الاول) ١٠٨-٨٨
بطليموس الحادى عشر (الاسكندر الثانى) ٨٠
بطليموس الثانى عشر (نيوس ديونيسوس) ٨٠-٥١
كليوباترة السابعة + بطليموس الثالث عشر ٥١-٤٧
كليوباترة السابعة + بطليموس الرابع عشر ٤٧-٤٤
كليوباترة السابعة + بطليموس الرابع عشر ٤٤-٣٠

(١) حكم الدولة السليوقية كملوك خلال العصر الهلينستى هم:

سليوكس الأول(نيكاتور)	٣٠٥-٢٨١	أنطيوخس الخامس(يوباتور)	١٦٢-١٦٢
أنطيوخس الأول(سوتر)	٢٨١-٢٦١	ديمتريوس الأول(سوتر)	١٦٢-١٥٠
أنطيوخس الثانى(ثيوس)	٢٦١-٢٤٦	الاسكندر بالأس	١٥٠-١٤٥
سليوكس الثانى(كالينيكوس)	٢٤٦-٢٢٥	أنطوخس السادس(ايبفانس)	١٤٥-١٤٢
سليوكس الثالث(سوتر)	٢٢٥-٢٢٣	أنطيوخس السابع(سيديتس)	١٢٨-١٢٩
أنطيوخس الثالث(الكبير)	٢٢٣-١٨٧	ديمتريوس الثانى(نيكاتور)	١٢٩-١٢٥
سليوكس الرابع(فيلوباتر)	١٨٧-١٧٥	كليوباترة ثيا	١٢٦
أنطيوخس الرابع(ايبفانس)	١٧٥-١٦٤		

كليوباترة ثيا و أنطيوخس الثامن (جريبوس) ١٢٥-١٢١
سليوكس الخامس ١٢٥ أنطيوخس التاسع(كيزيكنوس) ١١٥-٩٥

(٢) حكم مقدونيا ملوك من سلالة أنتيجونس الأعور وقد دانت لابنه ديمتريوس خلال الفترة من ٢٩٤-٢٨٨ وفيما يلى قائمة بالملوك التاليين:-

أنتيجونس الثانى (جوناتاس) حكم مقدونيا من ٢٩٤-٢٢٩
ديمتريوس الثانى ٢٢٩-٢٢١ فيليب الخامس ٢٢١-١٧٩
أنتيجونس الثالث(دسون) ٢٢٩-٢٢١ برسيوس ١٧٩-١٦٨

وبثينيا، وكانت هناك المدن الحرة فى شمال آسيا الصغرى مثل هيراقليا وبيزنطه وتيوس وكيزكوس، فضلاعن قبائل الجلاتيين ومدن أخرى اغريقية فى آسيا الصغرى وفى الجزر خصوصا فى رودس. كما كانت هناك بعض المدن ودويلات الطغاة فى آسيا الصغرى والتى كانت مستقله بدرجات متفاوته.

كان لكل من هذه الممالك احتياجاتها الخاصة واحلامها الخاصة وخططها الخاصة التى كانت تحاول تنفيذها.

المملكة البطلمية فى مصر مثلا خرجت من اتون حروب الخلافة كأقوى وأغنى دول العصر وكذلك أكثرها تنظيما. وكانت احلام بطليموس الأول سوتر وبطليموس الثانى فيلادلفوس بعيدة عن محاولة اعادة توحيد أمبراطورية الاسكندر وانما كان الهدف الرئيسى للملكين هو تأمين الاستقلال التام لمملكتهما فى مصر وأن يزمنا لها دورا رائدا فى الحياة السياسية والاقتصادية فى العالم الهلينستى. وكانت أفضل الطرق لاتمام ذلك هو الاستيلاء على تركة ديمتريوس، ومن ثم فرض السيطرة على بحر ايجة ومن ثم السيطرة على طرق التجارة الرئيسية فى العالم الهلينستى. وقد عنى ذلك خلق امبراطورية بحرية تقارن بأمبراطورية أثينا البحرية فى العصر الكلاسيكى، والسيطرة سياسيا واقتصاديا على جزء مما يحدث فى عالم بحر ايجة. ولكى تكون السيطرة على بحر أيجة اكثر تأثيرا سعى بطلميوس الى فرض حمايته على السواحل الجنوبية والغربية لآسيا

الصغرى وفرض نفوذه على المدن التجارية الكبرى الواقعه على مضايق بحر مرمرة.

وبالتدامى فان انشاء مثل هذه الامبراطورية البحرية لايبقى آمنا اذا بقيت الموانى الفينيقية والفلسطينية بمصادرها البحرية فى أيد اجنبية اخرى، وهكذا اقام البطالمة حكمهم على فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا بمجرد ان استطاعوا وتمسكوا به ما وسعتهم قوتهم. وقد فرض عليهم وجودهم فى بحر إيجة أن يزمنوا هذا الوجود بمحالة تدعيم وجودهم فى اكثر الموانى الاغريقية اهمية وذلك لكى يمنعوا الحكام المقدونيين من منافستهم فى هذا البحر.

ان منافسة البطالمة على تبوأ مكانة عالية فى عالم بحر ايجة كانت تنطلق من حقيقة انتمائهم الى هذا العالم، ولذلك فان جهود البطالمة لم تكن تخضع للاعتبارات الاقتصادية فقط، فانهم حتى لو كانت لديهم كل عناصر قوتهم فانهم كانوا سيبقون معزولين فى مصر ولن يكونوا منافسين لسوريا أو لمقدونيا والاولى كانت تملك السيطرة على مدن اليونان فى آسيا الصغرى والثانية كانت تسيطر على مدن اليونان فى بلاد اليونان. بينما كان تحقيق سيطرة البطالمة على الطرق التجارية الايجية والسورية توفر لهم مصادر للرجال وللمال وحرية للحركة، وهكذا كانت سيطرة البطالمة التجارية وسيلة لتحقيق هدف سياسى.

ومن الواضح ان سياسة البطالمة كانت تتعارض بل تتناقض مع مصالح مقدونيا وسوريا كما كانت تعنى السيطرة على المدن والجزر فى بلاد الاغريق وفى آسيا الصغرى وبالتالى كان البطالمة فى حاجة دائمة الى قوات قوية وقادرة لفرض اهدافهم وحمايتها.

وبالنسبة للسليوقيين فلا يعقل عقلا انهم نزلوا طائعين عن سيطرتهم على فينيقيا وفلسطين وجزء من سوريا لان حدوث ذلك كان يحرمهم من وجود واجهة بحرية لهم فى المنطقة ويجعل وصولهم الى البحر المتوسط رهنا بارادة البطالمة.

ولذلك كان الصراع من اجل السيطرة على هذه المناطق ضرورة ملحة بالنسبة للسليوقيين. وما ينطبق على الساحل الفينيقى انطبق ايضا على ساحل جنوب آسيا الصغرى وكان السليوقيون لايتوقفون عن القتال والنضال من أجل أملاكهم المفقودة الا فى فترات ضعف دولتهم .

كانت دولة السليوقيين دولة مترامية الاطراف وكانت تضم سوريا وآسيا الصغرى كما كانت تضم ايضا الولايات الشرقية من امبراطورية الاسكندر وكذلك القبائل العربية فى الصحراء . وبينما لم تتسبب الأخيرة الا فى قليل من الاضطراب فان الولايات الشرقية كانت مصدرا لقوة الدولة او ضعفها حيث جيران الدولة دائمو القتال معها وبذلك اصبحت المراكز الهيلينستية المتقدمة شرقا فى حاجة دائمة للحماية ولذلك كان السليوقيون دائمو الحرب فى الشرق وكانوا مضطرين دائما الى تقسيم قواتهم العسكرية

بين الجبهة الغربية والشرقية(١).

وكذلك كان حكام مقدونيا ، انتيجونس جوناتاس وحلفاؤه ديمتريوس الثاني وانتيجونس دوسون غير مستعدين ـ مثلهم في ذلك مثل السليوقيين للاعتراف بسيادة البطالمة على بحر ايجه، وكذلك كان البطالمة يرون ان وجود مقدونيا قوية يعني احياء لامبراطورية يمتريوس ويعني بالتالي تعرض سيادتهم على بحر ايجه للخطر. ووجود مقدونيا قوية يعني ان تمر الامدادات للمدن الاغريقية من خلال ايد مقدونية أي ايدى قوة معادية محتملة ، وهكذا حاول البطالمة ان يدعموا بالمال او بوسائل أخرى المنافسين لمقدونيا والمعادين لها من المدن الاغريقية خصوصا اثينا والعصبة الآخية واسبرطة. وبالنسبة لمقدونيا فلم تكن لتدخر جهدا دون ان تحاول طرد البطالمة من بحر ايجه حيث كان وجودهم يهدد ارتباطاتها مع

---

(١) المعروف أن الحدود الشرقية لامبراطورية الاسكندر كانت تقع عند نهر الإندوس وراءه هيفاسيس (Beas). وقد حكم هذا الاقليم بعد وفاة الاسكندر ضابط يدعى سيبرتيوس Sibyrtius. أما وادى كابول والمرات الهند وكرشية فكانت تحت سيطرة أوكسيارتيس Oxyartes والد روكسانا أرملة الاسكندر. وفي البنجاب فإن الشريط المحصور بين الاندوس وهيداسبيس Hydaspes (Jhelum) كان تحت الحكم المشترك لمقدوني يدعى ايودامس Eudamus ورايا وطني يدعى تاكسيلاس. وأخيراً بقي الاقليم الواقع بين هيدلسبيس وهيفاسس في يدى حاكمه السابق الملك بورس. ويلاحظ أن هذا التقسيم للحكم في الاقاليم الشرقية بين ضابط الاسكندر والحكام الوطنيين إنما يدل على عدم توفر قوات إغريقية كافية لفرض سيطرتهم وكذلك يدل على قوة الحكام المحليين وشراسة دفاعهم عن إستقلال بلادهم. وقد دخل السليوقيين في علاقات مع الحكام المحليين واستفاد كل طرف من إمكانات الآخر ولكن لم نصل عام ٢٥٠ق.م الا وكانت المناطق الشرقية استقلت بعيداً عن دولة السليوقيين أو وقعت تحت حكم قوى أخرى غيرهم.

بلاد اليونان. وبالطبع كانت مقدونيا تتلقى الدعم السلوقى فى محاولتها ضد البطالمة وكان على ملوك مقدونيا ان يختاروا وقتا مناسبا لتفجير الصراع يكون البطالمة فية يعانون الانكسار امام السليوقيين فى سوريا. واذا كان البطالمة قد نجحوا فى فرض هيمنتهم على الجبهتين فأن ذلك كان راجعا لضعف منافسيهم.

لقد رأينا فيما سبق نقاط الضعف فى المركز السليوقى. أما بالنسبة لمقدونيا : ان اهم نقاط الضعف فيها كانت تكمن فى شكل علاقتها بجيرانها، فالمدن اليونانية لم تتقبل برضى مطلقا فرض مقدونيا لحمايتها عليها مهما كان الشكل الذى اتخذته هذة الحماية، وبالطبع كانت المدن اليونانية دائمة الترقب لأية فرصة لتأكيد حريتها الكاملة وقد قاد هذه الجهود فى البداية مدينة اسبرطه تحت حكم Areus ثم قادتها من بعد أثينا خلال الحرب الخريمونيدية Chremonidean War(١) وأخيرا قادت هذا النضال العصبة الاخية. وبالنسبة للعصبة الايترلية فقد اختلفت مواقفها تجاه مقدونيا فاتخذت مواقف صداقة منها أو مواقف عداء حسب الحالة السياسية ولكنها بصفة دائمة كانت حريصة على التوسع والسيطرة على

---

(١) جذور وأسباب الحرب الخريمونيدية غير واضحة. وقد كان أطرفها المدن الاغريقية وبطليموس الثانى ملك مصر من ناحية وأنتيجونس جوناتاس ملك مقدونيا من ناحية أخرى. وقد سميت بالخريمونية نسبة الى خريمونيدس ابن Eteocles وهو أثينى كان تلميذا لزينون واستمرت من ٢٦٨ الى ٢٦١ ق.م.

اكبر جزء من بلاد اليونان حسب امكاناتها (١). ولذلك كانت السيطرة المقدونية على بلاد اليونان تبدو قوية وفى لوقات أخرى كانت تختفى مؤشرات هذه السيطرة كما كان الحال بعد موت انتيجونس جوناس وقبل تولى دوسون للعرش. ولكن على وجه العموم كانت سنوات الهدوء فى علاقات المدن اليونانية بمقدونية قليلة فدائما هناك حروب بينها او اضطرابات فى داخل المدن اليونانية او فى علاقات هذه المدن بعضها بالبعض الاخر ولم تكن الاصابع المقدونية بعيدة عن تحريك هذه الاضطرابات.

نقطة الضعف الهامة الآخرى فى الموقف المقدونى كان فى علاقاتها بالقبائل التى تقيم فى شمال وغرب مقدونيا مثل الاليريين والتراكيين والكلت والاسكوذيين وكانت هذه القبائل تسيطر على طرق التجارة مع عالم الاغريق، ومن ثم كانوا ذوى خطر شديد على العالم المتمدين الذى كانت حدوده الشمالية تقف عند شمال مقدونيا. وكثيرا ما كانت هذة القبائل تغير على مقدونيا مما جعل الملوك المقدونيون يتابعون كل تطورات أحوال هذة القبائل بعيون يقظة وكثيرا ما تدخلوا لايقاف غاراتهم او كانوا يلجأون

---

(١) قامت العصبة الايتولية فى شمال غرب بلاد اليونان من العصر الكلاسيكى ولكنها صارت قوة لايستهان بها خلال العصر الهلينستى شاركت الايتوليون فى الحرب ضد مقدونيا فى لاميا ولكنهم نجوا من عقاب أنتيباتروس. وخلال سنوات الاضطراب فى بداية القرن الثالث نشروا سلطتهم على منطقة وسط بلاد الاغريق وسيطروا على دلفى. وقد ساعد دورهم فى رد الغارات الكلتية عن دلفى فى الحصول على مقعد دائم فى مجلس الامفكتيونى ، بل لقد مارسوا نفوذاً على البحر الايجى بتبادلهم العلاقات وحقوق المراطنة مع بعض الجزر مثل خيوس التى سجلت ذلك فى مرسوم يؤرخ من عام ٤٧ ق.م تقريباً.
Moretti II . 79

لهجمات عليهم لاجهاض غاراتهم المحتملة.

فيما سبق تابعنا وضعية الدول الهلينستية الكبرى ولكن قامت الى جانب هذه الدول الكبرى عدد من الممالك الصغيرة فى برنتس وبثينيا كما قامت مملكة صغيرة اخرى فى كبادوكيا اعتبار من عام ٢٦٠ او ٢٥٠ ق.م. وهذه الدويلات كانت تخشى بصورة دائمة خطر السليوقيين ومن ثم سعوا الى توطين مجموعة من القبائل الكلتية (الجالاتيون) كدولة حاجزة بين دولهم والدولة السلوقية، وسمحوا لهذه القبائل أن تغير على مدن غرب وجنوب آسيا الصغرى بشرط الايعاملوا حدودهم بنفس الطريقة. وبذلك يحققون هدفهم الرئيسى فى الاحتفاظ باستقلالهم ضد أى محاولات للسليوقيين للانتقاص من هذا الاستقلال (١) . وقد واجهت كل من برنتس وبيثينيا بالاضافة الى مشكلة الحفاظ على الاستقلال- مشكلة شكل العلاقات مع المدن الاغريقية المستقلة الواقعة فى داخل اقاليمهم أو فى جيرتهم.

---

(١) عندما وصل الجالاتيون الى بيزنطة نهبوا الجزء الاكبر منها، واضطروا المدينة بالحرب . فارسل اهلها مبعوثين الى حلفائهم طالبين المعونة . فقدم كل منهم مايستطيع . وقد حاول الجالاتيون العبور الى آسيا الصغرى بعد ذلك ولكنهم فشلوا فى كل مرة بسبب مقاومة البيزنطيين الى أن عقد معهم نكوميديس المطالب بعرش بثينيا معاهدة تنص على أن يكونوا خاضعين له ولحلفائه من بعده والا يعقدوا تحالفا مع أحد بدون موافقته وأن يكونوا دائما أصدقاء لاصدقائه واعداء لاعدائه . وقد إستخدمهم نكوميدس فى الوصول لعرش بثينيا. واستقر الجالاتيون فى المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم جلاتيا حيث إنقسموا الى ثلاث مجموعات هى تروجمى Trogmi واتامرا مدينة أنقرة و Tolostobogii واتامرا تابيا Tabia و Tectosages و اتامرا Pisinus.

هناك مملكة اخرى قامت من خلال الاوضاع التى ترتبت على وجود الجلاتيين فى الغرب أسيا الصغرى والاضطراب الذى احدثوه بالنسبة للوجود السليوقى فى الغرب اذ استطاع حاكم قلعة برجامم أن يقرى من شأن زعامته للمدينة خصوصا بعد نجاح Philetaeus حاكم المدينة وابنة الذى خلفه فى حكمها يومنيس Eumenes فى الدفاع بنجاح عن اقليم برجامم والمدن الاخرى فى وادى Caicus ضد الغارات الجلاتية. ولقد ادت التطورات التى تلت ذلك الى زيادة مصادر المدينة العسكرية والاقتصادية ومارس الحكام استقلالا اكبر وفى عام ٢٦٢ ق.م رأى يومنيس نفسه قويا بما يكفى لان يتحدى الملك السليوقى انطيوخس وان يدعم تحديه هذا بعمليات عسكرية ناجحة من ذلك الوقت أصبحت برجامم دولة مستقلة مثل بثينيا وبونتس وكبادوكيا مهمتها الرئيسية أن تعزل الجلاتيين فى مراعيهم فى فريجيا وبذلك تحمى اقليمها من غاراتهم وبالتبعية باقى اسيا الصغرى. ولقد ادى نجاح ملوك برجامم فى ايقاف خطر الجلاتيين الى تمتعهم بأهمية خاصة بين الاغريق فى آسيا الصغرى، وقد ادى هذا الى تزايد طموح هؤلاء الملوك فى أن يصبحوا حكاما على كل آسيا الصغرى محل السليوقيين، وقد سعوا بصبر واناة لتحقيق هذا الهدف متبعين سياسة حاذقة ساعيين للاستفادة من توازنات القوة فى عالم ذلك الزمان مؤيدين الجانب الاقوى باستمرار وان كانت عدائتهم متجهة باستمرار

للجلاتيين والسليوقيين بالطبع لتناقض مصالحهم(١).

واخيرا نلقى نظرة على احوال المدن اليونانية فى اسيا الصغرى والجزر هناك والمعروف ان بعض هذه المدن كانت تتمتع باستقلال دائم بينما كان استقلال المدن الاخرى متقطعا رغم ان المدن التى كانت تفقد استقلالها لم تتوقف لحظة عن محاولة بذل الجهد لنيل الاستقلال. كانت علاقات هذه المدن مع الدول الهلينستية علاقاتَ صداقة او ولاء ولكنها صداقة غير حقيقية وخضوع ينتظر الفرصة للاطاحة بهذا الولاء ومن المثير حقا ان نتبع تطور انتماءات بعض المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى ذات الاهمية للممالك الهلينستية مثل مدن ملطية وافسوس وسميرنا فقد تقلبت هذه المدن من ايدى البطالمة الى السليوقيين والعكس عدة مرات، وصادفت هذه المدن كثيرا من المواقف الصعبة أثناء حصار واستيلاء كل من الطرفين عليها، ومع ذلك فقد سعى اهل هذه المدن الى الاستفادة من حقيقة رغبة كل طرف فى بقائهم تحت سيطرته لكى يحصلوا على اكبر قدر من الاستقلال الذاتى والمنح والهدايا التى يقدمها الحكام لهم كل فى عهده، وبالنسبة للمدن الاغريقية فى شمال غرب ساحل اسيا الصغرى فقد حكمتها مع ملوك برجاموم علاقات مشابهة كتلك التى حكمت مدن الجنوب مع

---

(١) حكم برجامرم :

فيليتاريوس الأول	٢٦٣-٢٨٣	أتالوس الثانى	١٦٠-١٣٩
يومنيس الأول	٢٤١-٢٦٣	أتالوس الثالث	١٣٩-١٣٣
أتالوس الأول (سوتر)	١٩٧-٢٤١	يومنيس الثالث	١٣٣-١٣٩
يومنيس الثانى (سوتر)	١٦٠-١٩٧		

والمعروف أن الأول والثانى لم يتخذا لقب ملك كما أن أتالوس الثالث أورث المملكة للرومان.

البطالمة وغيرهم من الملوك الهلينستيين(١)، ولكن المدن الكبيرة الواقعة على بحر مرمرة والبسفور والدردنيل والساحل الجنوبى للبحر الاسود فقد تمتعت بوضعية افضل فى مواجهه ملوك الدويلات الصغيرة المجاورة لهم واهم هذه المدن هى cyzicus و Chalcedon و Byzantius وهيراقليا وسينوب وقد تمتعت بالاستقلال خلال الفترة التى نتحدث عنها.

وبالنسبة لجزر بحر ايجه فانها تقلبت فى ايدى البطالمة وملوك مقدونيا الانتيجونيين وكانت اقرب فى وضعها لمدن كليتوس وافسوس، وان استطاعت بعض الجزر ان تحافظ على اتحاد فيدرالى يجمعها عرف بعصبة الجزر وقد جاهدت هذة الجزر لحماية اوطانها من النهب والسرقة على ايدى جيوش المتحاربين وحلفائهم(٢).

اما الوضع فى بلاد اليونان نفسها فقد كان اكثر تعقيدا حيث لم يتوقف ابدا الصراع المسلح، جزء من هذا الصرع كان مرجها نحو مقدونيا لاسباب تاريخية موروثة والجزء الاخر كان تصادما بين مزيدى

---

(١) بالنسبة للتقديس الذى أظهرته المدن الافريقية تجاه السليوقيين إنظر:
OGIS 219.

(٢) عصبة الجزر ضمت الجزر الصغيرة فى وسط البحر الايجى أنشأ أنتيجونس الاعور فى عام ٣١٥ وسيطر عليها فيما بعد ديمتريوس إبنه قبل أن تذهب الى أيد البطالمة حوالى عام ٢٨٦ حيث بقيت تحت سيطرتهم لمدة ثلاثين عاما. وككل العصبات التى أنشئت تحت رعاية ملكية إستخدمت كاداة لغرض النفوذ الملكى.

(الايدولوجيات) السياسية التى سادت مدن الاغريق فى ذلك الوقت، تصادما بين من آمنوا بحرية كل المدن الاغريقية فى الاستقلال الكامل وبين من آمنوا بوحدة الاغريق وحتى بالنسبة لفكرة الوحدة كان هناك صراع بين نوعيات مختلفة مطروحة فى الساحة السياسية. فهناك فكرة اتحادات المدن التى كانت تقف وراءها العصبة الايتولية والعصبة الآخية وقد رغبتا فى ان تدخل كل مدن اليونان فى دولة اتحادية كبيرة وهناك اسبرطة التى سعت من اجل فرض سيطرتها القديمة على كل اليونان، واخيرا مقدونيا وقد دعت الى تشكيل اتحاد قائم على التحالف بين مختلف الاتحادات والمدن اليونانية ومقدونيا تحت رئاسة ملك مقدونيا.

وهكذا نشاهد ان الوضع السياسى فى العالم الهلينستى كان معقدا وهذا الوضع المعقد حكم توازن القوى بين دول ذلك العالم وأى اختلال فى هذا التوازن كان يؤدى الى اندلاع الصراعات العسكرية، وهكذا نلاحظ ان حروبا متصلة تقريبا قامت فى اجزاء العالم الهلينستى المختلفة وتتركز اكثر فى المناطق ذات الاهمية بالنسبة لاطراف التوازن فى بلاد اليونان الاصلية والجزر اليونانية فى بحر ايجة والاجزاء المتهيلنة فى آسيا الصغرى، ويمكننا ان نقدم هنا حصرا باهم الاحداث السياسية والعسكرية التى سادت العالم الهلينستى من موت بطليموس الاول فى مصر (٢٨٣ ق.م) واعتلاء فيليب الخامس عرش مقدونيا فى ٢٢١.

فقد قام صراع حاد بين انطيوخس الاول وبطليموس الثانى

فيلادلفوس للسيطرة على المدن الساحلية فى اسيا الصغرى وسوريا عرف هذا الصراع (بالحرب السورية الاولى) وقد بدأ فى عام ٢٨٠ ق.م ثم تجدد فى عام ٢٧٦ ق.م أو ٢٧٤ ق.م واستمر الى عام ٢٧١ ق.م(١). وفى نفس الوقت قام انطيوخس الاول بمحاولة ضرب الجلاتيين فى آسيا الصغرى (فى عام ٢٧٥) . وخلال نفس المدة سعى انتيجونس جوناتاس الى تدعيم مركزه فى مقدونيا واليونان الى يواجه تحالف أثينا واسبرطة مع بطلميوس فيلادلفوس ضده وقد تم هذا التحالف بين ٢٧٠و٢٦٧ ق.م وتمخض عن اندلاع الحرب الخريمونيديه.

وكانت حرب طويلة مدمرة استمرت الى عام ٢٦١ تقريبا وانتهت بنصر كامل لانتيجونس وهزيمة كاملة لأثينا فقدت على أثرها دورها القيادى فى السياسه اليونانية وأصبح انتيجونس نتيجة لهذا الانتصار سيدا لاينازع فى بلاد اليونان ويسيطر على كثير من النقاط الحصينة خصوصا كورنثا وأثينا وارتريا وخالكيس. وخلال هذه الحرب ايضا (الحرب الخريمونيدية) نجح انتيجونس فى الانتصار البحرى على بطلميوس عند جزيرة كوس Cos وقد أدى هذا الى تدخل انتيجونس فى بحر ايجه بعد ان كان مقصورا على النفوذ البطلمى.

---

(١) حول تقسيم الحرب السورية الأولى الى مرحلتين إنظر Apendix 5 عند Cary M . OP . Cit.

فى حوالى ذلك الوقت قامت ثورة فى برجامرم قادها يوميس فى عام ٢٦٢ ق.م بتأييد من بطليموس الثانى، وقد ادى هذا العمل الى تفجير الصراع من جديد بين السليوقيين والبطالمة فهاجم انطيوخس الثانى الذى خلف اباه فى ٢٦١ بطليموس فيلادلفوس، وربما كان انطيوخس مدعما بمساندة انتيجونس وشملت هذه الحرب معارك فى سوريا واحداثا فى آسيا الصغرى وعرفت باسم الحرب السورية الثانية واستمرت من ٢٦٠ الى ٢٥٢ تقريبا وتجب الاشارة حقا الى ان نتائج هذه الحرب السورية الثانية لم تكن لصالح بطليموس بصورة عامة وسرعان ما أنقلبت الامور الى نقيضها بالنسبة لانتيجونس جوناتاس وكذلك بالنسبة للسليوقيين. فقد واجهت انتيجونس موجة من حروب التحرير فى بلاد اليونان. فهذا الاتحاد الايتولى يسعى لتوسيع حدوده وانتيجونس غير قادر على منعه من تحقيق ذلك. وكذلك مدينة كورنثا تمردت على سلطة مقدونيا بقيادة الاسكندر بن كراتيروس وكان حاكما عليها من قبل انتيجونس ملك مقدونيا نفسه. سعى الاسكندر الى تقوية مركزه وتوسيع حدوده واعلان نفسه ملكا، ولم يستطع انتيجونس الوقوف فى وجه اطماعه، وبقيت كورنثا وما خضع لها من مدن ايوبية مستقلة عن مقدونيا الى موت الاسكندر هذا، وفى شبه جزيرة البيلوبونيز كان الوضع اكثر حرجا بالنسبة لانتيجونس فقد نجحت مدينة سيكيون بقيادة اراتوس Aratus ان تتخلص من طاغيتها الموالى لانتيجونس فى عام (٢٥١) ثم انضمت هذه المدينة الى العصبة الاخية الصغيرة وبدأ الاتحاد

الذى كان غير ذات خطر منذ عام ٢٨٠ ق.م (تاريخ انشائه) ينمو تحت قيادة مدينة سيكيون فتزايد عدد الاعضاء وتزايدت أهمية الاتحاد السياسية.

وهكذا نلاحظ ان انتيجونس قد فقد تقريبا كل سيطرة على بلاد اليونان بل انه على مايبدو فقد ايضا تلك السيطرة البحرية على جزيرة كوس Cos ومادى اليه ذلك من خروج انتيجونس من ميدان التنافس فى بحر ايجة.

ويبدو ان بطليموس فيلادلفوس قد سعى فى اواخر حياته الى استعادة سيادته على بحر ايجه ويبدو ان هذا السعى قد حقق نجاحا اذ نلاحظ ان بطليموس كان مالكا لاسطول قوى وله كلمة مسموعة فى ديلوس، ولكنه هزم مرة اخرى فى معركة بحرية عند اندروس Andrus فى عام ٢٤٧.

مات انطيوخس الثانى ملك سوريا فى عام ٢٤٧ ومات فيلادلفوس (بطليموس الثانى) فى عام ٢٤٦. وتولى العرش فى مصر ابنه بطليموس الثالث يورجيتيس. وقد حفلت سنوات حكمه الاولى بالعديد من الاحداث المثيرة. اذ تدخل بطليموس الثالث فى سوريا بعيد توليه السلطة فى مصر تدعيما لمطالب اخته برنيكى ارملة ملك سوريا المتوفى وابنها ضد لاوديكى الزوجة الاولى لانطيوخس وابنها سليوكس (الثانى). وبسبب هذه الحادثة قامت الحرب السورية الثالثة التى استمرت من ٢٤٦ الى ٢٤١ ق.م وقد

حقق بطلميوس خلال السنة الاولى للحرب انتصارات باهرة حقق خلالها الاستيلاء على كل سوريا وميزوبوتاميا ولكن بعد ذلك توقف تقدمه بسبب الاعمال المضادة التى قام بها سليوكس الثانى، واخيرا اضطر بطلميوس الثالث ان يخلى كل هذه الاملاك وان بقيت مدينة سليوقيا فى يديه(١).

يرتبط نجاح بطلميوس الثالث فى آسيا بنجاح اخر حققه فى بحر ايجة، ويبدو أن مقدونيا استغلت الاحداث السورية لكى تتقدم بقواتها فى جزر بحر ايجة.

ولكن يبدو أيضا ان بطلميوس الثالث نجح هنا ايضا فى ايقافهم، وصحيح ان المقدونيين سيطروا على جزيرة ديلوس مما يوحى بتقدم نفوذهم بعض الشئ فى بحر ايجة ولكن الصحيح أيضا أن بطلميوس الثالث

---

(١) بمقتضى المعاهدة التى أنهت الحرب السورية الثانية طلق أنطيوخس الثانى زوجته لاوديكى التى سبق أن أنجبت له ولدن وتزوج برنيكى إبنة بطلميوس الثانى فيلادلفوس وأخت بطلميوس الثالث يورجتيس حيث أنجب منها ولدا. وعند موت أنطيوخس الثانى قامت الحرب بين أولاد الزوجتين. وقد إستنجدت برنيكى بأخيها بطلميوس الثالث، وكانت هذه نقطة إنطلاق الحرب السورية الثالثة. وقد عثر على عدد من الوثائق تتحدث عن تلك الحرب منها نص ورد على البردى (FGrh 160) ونص نسخة رخامة فى القرن السادس الميلادى في مدرل Adulis فى أرتيريا على البحر الأحمر. وقد جاء فى النص الأخير بعد الديباجة "حيث أنه (بطلميوس الثالث) ورث عن أبيه ملك مصر وليبيا وسوريا وفينيقيا وقبرص وكيليكيا وكاريا وجزر الكركلاديس. فقد سار فى آسيا بقوة من المشاة والخيالة والسطول والأفيال . . . . وبعد أن أمن المنطقة (من) الفرات (الى) كيليكيا وبامفيليا وأيونيا والهلسبونت وتراكيا، (واستولى) على كل القوات فى تلك الأماكن (وكذلك) الأفيال الهندية وبعد أن أخضع كل حكام الأقاليم عبر نهر الفرات (حيث) أخضع ميزوبوتاميا وبابل وسوسيانا و Persis وميديا وكل الأقاليم حتى بكتيريا وبعد أن بحث عن كل الأشياء المقدسة التى نقلها الفرس من مصر أعادها مرة أخرى الى مصر بالاضافة الى باقى كنوز تلك الأقاليم. . . . "

كان أقوى الملوك الهلينستيين نفوذا فى ذلك البحر وسيطر على كثير من الجزر والساحل التراكى. ونحن نعلم علو مكانته فى ذلك الوقت فى جميع انحاء اليونان خصوصا فى شبه جزيرة البيلوبونيز وفى ايتوليا ومناطق نفوذ العصبة الايتولية، ويمكننا ان نلمس كلمة مسموعة لمبعوثيه وتأثيرا قويا لاموال فى كل الاحداث الهامة خلال فترة حياته.

وفى مقدونيا مات انتيجونس جوناتاس فى عام ٢٣٩ ق.م وخلفه على العرش ديمتريوس الثانى، وكانت الامور فى بلاد اليونان قد مالت لصالح العصبتين الايتولية والآخيه وتضاءل دور مقدونيا القيادى فى بلاد اليونان، بل واتحدت العصبتان لبعض الوقت ضد مقدونيا. فاضطر ديمتريوس الثانى خليفة جوناتاس على مقدونيا الى خوض حرب ضد العصبتين كادت تميل لصالحه ولكن تعرض بلاده لمقدونيا الى هجوم من قبائل الدردانيين Dardanians ادى الى توقف تقدمه فى بلاد الاغريق بل واضطره للانسحاب منها مابقى له فى الحياة وكانت النتيجة هى اختفاء الدور المقدونى كلية من كل بلاد اليونان الوسطى وشبه جزيرة البيلوبونيز.

ادى تضاءل الدور القيادى لمقدونيا فى بلاد اليونان ثم اختفائه الى تزايد قوة العصبة الايتولية التى كانت تتدعم باستمرار منذ عام ٢٠٠ ق.م (زادت هيبة هذه العصبه بعد دورها فى طرد الجلاتيين، وتدعم نفوذها فى دلفى التى اعتبرتها عاصمة ثقافية للعصبة) ولم تكتف هذه العصبة بالبر بل لجأت الى فرض نفوذها فى بحر ايجة والبحر الايونى عن طريق القرصنة،

ومدت نفوذها فيما وراء البحر بتقديم الحماية لعملائها من قراصنتها واخيرا ساعد تزايد مكانة العصبة الايترلية الدبلوماسية الماهرة التى استخدمتها، ومن ثم اصبحت هذه العصبة تعامل كقوة قوية من طرف الدول القائدة فى ذلك الزمان لبرجامم ومصر وروما).

اما العصبة الاخية نقد بدأت فى تنظيم اتحادها فى شبه جزيرة البيلوبونيز ولكن نجاح هذه العصبة لم يصل الى غايته بسبب التطورات التى حدثت فى اسبرطه وحرمت العصبة الاخية من قطف ثمار النجاح. اذ بدأت اسبرطة تحت قيادة اجيس Agis (٢٤٥-٢٤١ ق.م فى اصلاح تقاليدها الاجتماعية والاقتصادية ثم اكملت مسيرتها الاصلاحية لدستور ليكورجوس فى عام ٢٢٥ق.م تحت قيادة كليرمنيس وقد ادت هذه الاصلاحات الى تزايد القوه العسكرية الاسبرطية، واستطاع كليرمنيس باستخدامه لهذه القوة العسكرية ان يمارس دورا اكثر نشاطا واكثر تأثيرا على الحياة السياسية فى شبه جزيرة البيلوبونيز كان جهد كليرمنيس موجها ضد مقدونيا بصورة رئيسية. وقد استغل بطلميرس الثالث نشاط اسبرطة اكثر من نشاط العصبة الآخية فنقل مساعداته من الآخيرة الى الاولى وقد أدت هذه المساعدات فضلا عن الموقف الواضح لبطلميوس الثالث الى جانب اسبرطة الى انعاش الامل لديها فى ضرب العصبة الآخيه. اصبحت العصبه الآخيه فى موقف دقيق خاصة والعصبة الايترلية لم تمد لها يد العون بل كانوا يغبطون نجاحها، كما كان عدد من اعضاء العصبة الاخية نفسها راغبون فى

الاعتراف بملك اسبرطه رئيسا دائما لهم واستطاع اراتوس زعيم العصبة الاخية بتحركات سياسية ماهرة ان يمنع اسبرطه من تنفيذ خططها، ولكنه دفع ثمنا باهظا لاتمام ذلك اذ استبدل احتمال التحالف مع اسبرطه وتحت رياستها تحالفا مع مقدونيا وتحت رياسة الملك المقدونى. وكان هذا يعنى من الناحية العملية اعادة للحماية المقدونية على اليونان. بل لقد اضطرّ اراتوس أن يرافق على عودة كورنثا لمقدونيا. وهكذا عادت بلاد اليونان كما كانت على ايام فيليب الثانى والاسكندر الأكبر وديمتريوس الاول مرحدة من الناحية النظرية ولكنها كانت من الناحية العملية تحت حماية الملك المقدونى انتيجونس دوسون Antigonus خاصة بعد هزيمة اسبرطة فى معركة سيللسيا Sellasia عام ٢٢٢ق.م.

وبينما كانت بلادَ اليونان تحارب معاركها من اجل الاتحاد، كانت المملكة السليوقية فى الشرق تتمزق بسرعة ففى حوالى عام ٢٤٩-٢٤٨ ق.م بدأ يظهر الكيان السياسى لبارثيا Parthia وفقد السلوقيون فى فترة قصيرة جدا اجزاء هامة من ولاياتهم الشرقية لصالح البارثيين(١).

وفى نفس الوقت نجحت ولاية باكتريا فى الاستقلال تدريجيا تحت قيادة ديودتوس Diodotus ، ورفضت كبادوكيا وارمينيا الخضوع للامبراطورية السلوقية ولم يستطع السليوقيون ايقاف هذا التمرد بسبب ضغط الحرب السورية الثالثة ٢٤٦-٢٤١ ق.م، ثم بعد ذلك بسبب النزاع الذى

---

(١) عن نشأة مملكة البارثيين إنظر : Strabo XI 9 . 23

نشب بين امراء البيت السليوقي الذى اندلع بعد الحرب السورية الثالثة مباشرة فى عام ٢٢٥ واستمر لسنوات تاليه كثيرة. فقد قام صراع بين سليوكس الثانى واخيه انطيوخس هيراكس Hirax فى آسيا الصغرى(١)، والنتيجة الحقيقية لهذا الصراع كان نجاح اتاللوس الاول ملك برجاموم فى ترسيع مملكته بطرد الجلاتيين بعد هزيمتهم فى معركة كايكوس Caicus فى عام ٢٢٠ ق.م وبعد انتصاراته المتتالية التى حققها على الملك السليوقى سليوكس الثالث خليفة سليوكس الثانى- فى عام ٢٢٦ ق.م نجح الحاكم السليوقى فى عام ٢٢٣ لاسيا الصغرى فى استعادة جزء كبير من الاراضى التى فقدها سلفه امام ملوك برجاموم. ولكن اتاللوس وخلفاءه احتفظوا باستقلال مملكتهم ولقبهم الملكى، ولم يبذل السليوقيون اية محاوله لاستعادة الاملاك التى فقدوها فى هذا الجزء من آسيا الصغرى.

وتنتهى الفترة التى حددناها لهذا الفصل بموت سليوكس الثالث فى عام ٢٢٢ وانتيجونس دوسون وبطلميوس الثالث فى عام ٢٢١ ق.م اذ دخل العالم الهلينستى منذ ذلك الوقت فى مرحلة جديدة كان المحركون للاحداث خلالها هم فيليب الخامس ملك مقدونيا وانطيوخس الثالث ملك سوريا والرومان الذين كانوا قد تزايد دورهم فى الشرق وتدخلهم فى

---

(١) "حرب الاخوة" التى قامت بين سليوكس الثاني وانطيوخس هيراكس استمرت من ٢٤١-٢٢٩ ق . م لضعفت الامبراطورية السليوقية وتركتها مقسمة بينهما هيراكس فى آسيا الصغرى وسليوكس فى باقى الامبراطورية حتى عام ٢٢٦.

شئونه ابتداء من عام ٢٣٠.

ونلاحظ ان هذه الفترة التى درسناها فى هذا الفصل من ٢٨٣-٢٢١ كانت كفترة خلفاء الاسكندر الاكبر فترة مملؤة بالحروب المتصلة وان اختلفت عنها فى استقرار فكرة وجود دول وممالك هلينستية مستقلة.

٤- تدهور الممالك الهلينستية

أن توازن القوة الذى استقر خلال القرن الثالث لبعض الوقت بين الممالك الهلينستية شهد اختلالا كبيرا ابتداء من الربع الأخير من نفس القرن. ادى الى هذا الاختلال عدد من العوامل أولها تولى كل من فيليب الخامس لعرش مقدونيا وانطيوخس الثالث لعرش سوريا وكلا الرجلين كان طموحا يسعى الى التوسع والسيطره ومد نفوذ مملكته. ثانى هذه العوامل كان بداية التدخل الرومانى فى شئون الشرق الهلينستى، اذ تحركت روما ضد الدولة الاليرية التى قامت فى جوار مقدونيا على الساحل الشرقى للبحر الادرياتى وكانت هذه الدولة تمارس القرصنة المنظمة وتهدد علاقات ايطاليا التجارية مع العالم الاغريقى.

وقد ادى تدخل روما العسكرى ضد اليريا فى عام ٢٢٩ ق.م الى قيام سيطرة رومانية على بعض المدن الاغريقية الواقعة على الساحل اليرى من اهم هذه المدن هى: Oricus ,Aelon ,Dyrrhachium و Apollonia وكذلك سيطرت روما على الاقليم الساحلى الواقع فى ظهير هذه المدن (١).

---

(١) صارت روما مسئولة عن حماية مصالح تارنتوم بعد سقوط هذه المدينة في يديها. ومن ثم كان عليها أن تقضى على عوامل الاضطراب فى مياه البحر الادرياتى. فأرسل السناتو جيشا وأسطولا من أجل هذا الهدف فى عام ٢٢٩، كما أرسل جيشا آخر فى عام ٢١٩ لنفس الغرض. وقد أدى وجود النفوذ الرومانى فى المنطقة الى تدهور العلاقات بين الرومان ومقدونيا بمجرد إعتلاء فيليب الخامس للعرش.

وهكذا بدأ التدخل الروماني يجد طريقه الى قلب العالم الهلينستي. العامل الثالث: التدهور الذى شهده الحكم البطلمى فى مصر نتيجة لاستهتار بطليموس الرابع وضعف خلفائه، فضلا عن بعض العوامل الأخرى.

فنى مقدونيا رأى فيليب الخامس أن ماحدث من روما فى اليريا تعد على حقوق مقدونيا وخطر شديد على بلاده اذ كانت المدن الاغريقية الواقعة على الساحل اليرى تابعة فيما سبق لمقدونيا، كما أن روما اصبحت جارا لبلاده واصبح من السهل عليها التقدم نحو حدودها عبر مجموعة من أودية الانهار. فضلا عن هذا فان روما كانت قد سبقت بالدخول فى علاقات سياسية مع بعض المدن والاتحادات الاغريقية مثل ايتوليا وآخايا وأثينا (٢٢٨) دون ان تراعى الرضية الخاصة لمقدونيا تجاه هذه المدن والاتحادات(١)، وكانت كل هذه مؤشرات لتناقض مصالح روما ومقدونيا.

بدأ فيليب الخامس حكمه (٢٢٠ ق.م) بالدفاع عن مكانة مقدونيا فى بلاد الاغريق وكانت العصبة الأيتولية قد سعت الى توسيع اتحادهم على حساب العصبة الهلينية مستغلة فى ذلك شباب وعدم خبرة الملك الجديد فى مقدونيا. ولكن هذا الشاب نجح فى هزيمة الايتوليين فى معركة كبيرة اضطرهم على أثرها أن يدخلوا معه فى معاهدة سلام شروطها لصالحه

---

(١) كانت روما قد أرسلت مبعوثيها الى هذه المدن وغيرها وقد أسفرت الاتصالات الرومانية مع كورنثا الى دعوة الرومان للاشتراك فى ألعاب الخليج وقد كانت هذه الدعوة أول إعتراف من الاغريق بتحضر الرومان.

وتعرف باسم سلام ناوباكتوس Naupactus عام (٢١٧)ق.م(١) .

اتجه فيليب بعد استقرار أموره فى بلاد الاغريق لتصفية حساباته مع روما وقد بدأ هذا الجهد بعقد معاهدة صداقة وتحالف مع هانيبال القائد القرطاجى العظيم فى عام ٢١٥ ق.م، وكان هانيبال فى ايطاليا يذيق الرومان سوء العذاب(٢). وقد أدى هذا الموقف المقدونى الى تفاهم بين روما واعداء فيليب فى العالم الهلينستى مثل الأيتوليين فى بلاد اليونان(٣) والملك أتاللوس ملك برجاموم فى عام ٢١٢ ق.م. وقد نتج عن ذلك اندلاع حرب طويلة بين الأيتوليين متحالفين مع روما ضد مقدونيا . وقد أبدت روما فى البداية نشاطها فى مساعدة حلفائها ولكنها وبسبب انغماسها فى الحرب

---

(١) أهم مايلفت النظر فى شروط صلح ناوباكتوس أن الاغريق كان يعتقدون هذا الصلح وانتشارهم متجة الى المعارك الدائرة فى إيطاليا بين الرومان والقرطاجيين. وكانوا يرون أن إنتصار أى طرف من الطرفين لايعني بالضرورة السلامة للاغريق. ولذا كان الصلح للتفرغ لمتابعة الصراع الدائر على الأرض الايطالية Polyb . IV . 25-26 . 2

(٢) عقد مبعوث فيليب الخامس معاهدة باسمه مع هانيبال القائد القرطاجى العظيم (٢١٥ق.م) كانت هذه المعاهدة تقدم دعما إستراتيجياً لها فيبال فى حربه للرومان، حيث أعقبها مباشرة قيام الحرب المقدونية الأولى(٢١٥-٢٠٥ق.م) بما تعنيه من أعباء حربية إضافية على الرومان. وكانت المعاهدة تقدم زاداً عسكرياً هائلا لفيليب الثانى فى مطالبة ضد الرومان الذين إستولوا على أجزاء من اليريا. وقد نصت المعاهدة على تبادل المساعدات بين الطرفين وقت الحاجة والايدخل القرطاجيون سلاما مع الرومان دون أن يجعلوا ضمن أطرافه مقدونيا وحلفائها. " وإذا شن الرومان عليكم أو علينا حرباً فإننا سوف تقدم المساعدة كل للآخر طبقاً لحاجة اى طرف " وقد أقسم هانيبال ومجموعة من قواده على إحترام شروط المعاهدة كما أقسم إكسينوفانيس مبعوث الملك فيليب على ذلك نيابة عن الملك وكل المقدونيين وحلفائهم. إنظر نص الصلح . Polyb . VII. 9, &Livy XXIII . 33

(٣) عقدت روما إتفاقية مع العصبة الأيتولية فى عام ٢١٢ أو ٢١١ لكى تشغل فيليب الخامس عن مساعدة حليفه هانيبال فى إيطاليا. وتعتبر هذه المعاهدة أول معاهدة بين إحدى دول بلاد الاغريق وروما. وقد عرفنا خبرها من تقرير مختصر لليفيوس.
Livy . XXVI . 24 . 7-15 .

البرنيقية الثانية أصبحت ذات دور هامشي قبل ان يختفي هذا الدور كلية. وقد اضطر الايتوليون الذين أرهقتهم الحرب وأصابهم مرقف روما بالإحباط اضطروا الى عقد سلام منفصل مع فيليب ٢٠٦ ق.م سرعان ماأعقبه سلام منفصل بين فيليب وروما في عام ٢٠٥ ق.م (١) (يجب أن نربط بين احداث هذه الحرب وتطورات الحرب البرنيقية الثانية التي استمرت الى ٢٠١ ق.م.

وفي نفس الوقت تقريبا كان الملك الطموح انطيوخس الثالث ملك سوريا يسعى لاعادة مجد الامبراطورية السليوقية. ورغم أنه واجه سنوات صعبة في بداية حكمه عام ٢٢٣ ق.م وكان مايزال شابا في الثامنة عشر. كان ابن عمه اخايوس Achaeus يستأثر بآسيا الصغرى دونه، وكان واليه على الشرق مولون Molon قد بدأ ثورة ناجحة ضده في عام ٢٢١ ق.م(٢).

---

(١) يذكر ليفيوس(Livy XXIX.12.15-16) أن الصلح يطلق عليه صلحPhoenice نسبة الى مدينة في إبيروس. . . وأضاف." أوضح سمبرونيوس شروط السلام بأن تكون Eugenium وBargullum وDimallm وParthini تابعة للرومان، بينما تتبع Atintania لقدونيا". . . وعندما تمت الموافقة على هذه الشروط ضم الملك الى المعاهدة بروسياس ملك بثينيا والآخيين والبيرتيين والتساليين والاكارنانيين وأهل إبيروس، وضم الرومان إليومIlium والملك أتالوس وPleuratus و نابيس طاغية إسبرطة والإليين والمسينيين والأثينيين. . . وأعلنت هدنة لمدة شهرين حتى يصل رد روما بالموافقة على المعاهدة من عدمه. وقد وافق الرومان عليها لكي يحرروا أنفسهم من كافة الارتباطات والمدارات إستعداداً للمرحلة الاخيرة من الحرب البرنيقية الثانية التي كانت على وشك الاندلاع على الأرض الاغريقية.

(٢) كان مولون واليا على ميديا وأخوه الاسكندر واليا على فارس. وقد نجح تمرده واتخذ لقب ملك كما يظهر على قطع العملة. ولكنه هزم في عام ٢٢٠ فيما يبدو وأعدم.

كما كانت علاقات بلاده بمصر بعيدة كل البعد عن الاستقرار. لقد واجه انطيوخس هذه الظروف بمقدرة فائقة فأعاد سلطته على الولايات الشرقية، كما وصل الى تفاهم مقبول مع ابن عمه اخايوس فى آسيا الصغرى (١)، وأخيرا فرغ لمصر وحاول أن يبعد الخطر المصرى بغزو مصر. وبدأ حملته ضد مصر عام ٢١٩ حيث استولى على بعض القلاع السورية التى كانت تحت الحكم المصرى منذ عصر بطليموس الثالث كسليوقيا . ولكن حملته هذا رغم النجاحات المبكرة الا انها عند اللقاء الحاسم فى رفح ٢١٧ فشلت فشلا ذريعا أمام جنود قلب الجيش البطلمى المكون حديثا من الفلاحين المصريين. على كل حال لم تهن عزيمة انطيوخس أمام هذه الهزيمة بل لعله تابع عن قرب التطورات الداخلية فى مصر بعد النصر، وكيف ثار الجنود المصريون بعد عودتهم من رفح، عاد بطليموس الرابع الى لهوه مما جعل هذا النصر مجرد مصادفة فى طريق دولة البطالة التى لم تتوقف منذ ذلك الوقت عن التدهور(٢). ولعل انطيوخس فهم هذه الحقيقة ومن ثم استمر فى

---

(١) تولى أخايوس قيادة الجيش السليوقى فى آسيا الصغرى بعد مقتل الملك سليوكس الثالث. وحارب أعداء السليوقيين هناك فحجم برجاموم واستعاد كل الأراضى التى كان السليوقيون قد فقدوها هناك. ولكن الانتصار أنعش آماله وفضل أن يحتفظ بهذه البلاد لنفسه واتخذ لقب الملك حوالى عام ٢٢٠. ورغم إعتلاء أنطيوخس الثالث للعرش السليوقى الا أنه لم يكن قادراً على التحرك ضد أخايوس المتمرد الا بعد إنتهاء الحرب السورية الرابعة عام ٢١٧ق.م. وقد إستغرقت عملية طرد أخايوس من آسيا الصغرى الفترة من ٢١٦ الى ٢١٢. إنظر Polyb . IV . 48 .

(٢) Polyb . V . 63, 65 , 67 , 79 . & 107 . XIV . 12 3-4 .

جهوده لاعادة أمجاد الدولة السليوقية. اتجه انطيوخس الى آسيا الصغرى حيث استطاع فى حرب ضد أخايوس استمرت ثلاث سنين تحالف انطيوخس خلالها مع برجاموم أقول استطاع القضاء على نفوذ اخايوس تماما واعاد سيطرته المباشرة على الاناضول.

اتجه انطيوخس بعد ذلك نحو الشرق لكى يعيد سلطة بلاده هناك وكانت قد تدهورت نتيجة تمرد ملوك بارثيا وملوك بكتريا الاغريق وسعيهم الى توسيع حدودهم. وقد ادى نجاح هذين المتمردين الى تشجيع باقى ولاة السليوقيين فى الشرق على التمرد.

وعلى الرغم من أن حملة انطيوخس لم تؤد الى القضاء على مملكتى بارثيا وباكتيريا ولكنها ادت الى الحد من طموحهما وطمعهما فى الأملاك السليوقية كما أدت تلك الحملة الى تقوية قبضة الملك أنطيوخس على باقى الولايات. حتى اكتسب انطيوخس شهرة فى العالم الاغريق جعلت الأغريق يحاولون المقارنة بين غنائم الملك فى تلك الحملة وغنائم الاسكندر من حملته الشرقية ، بل ويعتبرونه الاسكندر (الثانى) (١).

---

(١) لم يستطع سليوكس الثانى إعادة بارثيا وغيرها الى حظيرة الدولة السليوقية، بل ولم تستطع سليوكس الثالث ذلك أيضا . ورغم أن أنطيوخس الثالث تولى الحكم فى عام ٢٢٢ الا أنه لم يكن قادرا على توجيه جهده لإستعادة أملاك وهيبة المملكة فى الشرق قبل عام ٢١٢ نعتمد فى معرفتنا بأحداث حملة أنطيوخس الثالث على بوليبوس الذى أشار فى كتابه الثامن23 . VIII أن أرمينيا أجبرت فى عام ٢١٢ على الاعتراف بسيادة السليوقيين ودفعت الضرائب للدولة وذكر فى كتابه العاشر(X.27) انه فى عام ٢١١-٢١٠ إستطاع أنطيوخس غزو ميديا وكذلك اكتسبانا حيث دمر معبد Anaitis ونهبت ثروته. وأدت حملته فى عام ٢٠١ الى تحجيم قوة الدولة (X.28-31) أما بكتريا فقد نجح ملكها الاغريقى

وهكذا نلاحظ أن نتائج تلك الصراعات المبكرة بين فيليب الخامس و روما وانجازات انطيوخس الكبرى فى الشرق أديا الى خلق واقع جديد فى العالم الهلينستى، فى وقت خرجت فيه مصر البطلمية من المنافسة على الزعامة فى ذلك العالم بل وكانت تعانى فى الداخل من استمرار التدهور بعد أن اعتلى عرش مصر بطليموس الخامس تحت الوصاية وكان طفلا، وبسبب استمرار الثورة العنيدة للوطنيين المصريين التى كان قد مضى على اندلاعها حوالى خمسة عشر عاما. سعى كل من فيليب وانطيوخس الى اقتسام النفوذ فى العالم الهلينستى، ووصلا الى اتفاقية سرية فى عام ٢٠٢ أقتسما بموجبها كل الاملاك الخارجية للبطالمة دون معرفة مصر أو إعلان الحرب عليها، وهى التى كانت صديقة لفيليب أحد طرفى الاتفاقية. كان انطيوخس يهدف من الاتفاقية الى استعادة ما تبقى خارج نفوذه من أملاك خضعت لابائه من الملوك السليوقيين فيما سبق، وكان فيليب يرغب فى تقوية موارده استعدادا لصراع مرتقب ضد روما التى كانت قد ظهرت

= Euthydermus فى الصمود للحصار ومن ثم صار الملك أنطيوخس على استعداد للتوصل لتسوية معه على أساس الاعتراف بالأمر الواقع وذلك لتوجيه جهد الملكين المشترك لمواجهة القبائل المضطربة على الحدود. وقد نال الملك أنطيوخس من حروبه وأتفاقاته غنائم هائلة أهمها أعداد من الأفيال المدربة وصلت الى ١٥٠ فيلاً كما أقام مقراً شتويا له فى Carmania (٢٠٦/٢٠٥) وقد حققت هذه الحملة مجداً عظيما لانطيوخس الثالث بين سكان آسيا وسكان أوربا أيضا.

Polyb . XI . 34 .

بوادر انتصارها فى الحرب البونيقية الثانية(١).

وقد ادت المعارك العسكريه التى تلت ابرام الاتفاق السرى بين انطيوخس وفيليب اقول ادت الى انتصارات هائلة لانطيوخس استولى على اثرها على فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا الجنوبية وضمها بصورة دائمة الى أملاك السليوقيين بعد أن كان يتبادلها البطالمة والسليوقيين طوال اكثر من قرن(٢). ولكن المعارك أدت الى كارثة بالنسبه لفيليب حيث كان أعداء فيليب اكثر قوة من خصوم انطيوخس ولذلك فبعد أن حقق النجاحات الأولية أوقفت رودس وبرجامم تقدمه ثم نجحا فى حصاره فى كاريا فى عام ٢٠١-٢٠٠ ق.م وطلبا مساعدة روما لهما فى صراعهما ضد فيليب. ورغم أن روما كانت منهكة من الحرب البونيقية الثانية التى انتهت بانتصار ساحق لها وكانت فى حاجة الى فترة هدوء تعيد فيها تنظيم أمورها ولكنها نظرا للعداء السابق بينها وبين فيليب وتحت ضغط الروديسيين أعلنت روما الحرب على فيليب، مما اضطره الى اخلاء كل املاكه خارج مقدونيا تقريبا. ومنذ ذلك الوقت بدأت سلسلة من الحروب استطاع الرومان خلالها

---

(١) هناك شك فى مصداقية وجود هذه المعاهدة السرية وبوليبوس الذى أورد خبرها لاعلم له بمحتوياتها. ويرى كثيرون من الباحثين أنها مجرد إدعاء رومانى لتبرير تدخلها فى شئون العالم الهلينستى فى شرق البحر المتوسط يقول بوليبوس" ليس غريبا أنه أثناء حياة بطليموس(الرابع) وعدم حاجته لمساعدتهما أنطيوخس الثالث وفيليب الخامس) كانا مستعدين لمساعدته، ولكن عندما مات تاركا إبنا صغيراً، وصار الحفاظ على مملكته مسئوليتهما بحكم الروابط الطبيعية، عولا على تقسيم مملكة الطفل وتدمير اليتيم. . .

Polyb . XV . 20 ,

(٢) إستولى أنطيوخس الثالث على جنوب سوريا خلال الحرب السورية الخامسة(٢٠٢ -٢٠٠).

القضاء على قوة المملكتين القائدتين فى العالم الهلينستى (مقدونيا وسوريا)والقضاء على دوريهما القائد فى العالم الهلينستى.

لقد ساعد الرومان أن جزءا كبيرا من العالم الاغريق خصوصا فى رودس وأثينا وبرجامرم كانوا الى جانبهم خوفا من أطماع فيليب أو انطيوخس.

وهكذا قامت الحرب المقدونيه الثانية بين فيليب الخامس المقدونى والرومان وقد كسبها الرومان بسهولة فى معركة كينوس كيفلاى Cynoscephalae فى عام ١٩٧ ق.م وقد ادت هذه الحرب الى علو مكانة روما فى العالم الهلينستى. أما فيليب فقد أصبح منذ تلك المعركة غير مسموح له ان يتصرف بعيدا عن موافقة روما . وقد راقب الرومان حركته ولم يسمحوا له بالتدخل فى بلاد الاغريق من جديد والميدان الوحيد الذى سمحوا له أن يتدخل فيه هو ميدان الصراع ضد القبائل الكلتية والاليرية والتراكية فى شمال بلاده. أما بلاد الاغريق فقد اعلنتها روما حرة فى عام ١٩٦ ق.م وان كانت هذه الحرية معنوية فى الواقع اذ لم يكن لها من سند مادى سوى الوجود الرومانى نفسه(١).

---

(١) نصت شروط الصلح على أن يصبح كل إغريق آسيا أحرارا وأن يطبقوا قوانينهم الخاصة. وعلى فيليب (الخامس) أن ينزل للرومان قبل الالعاب الخليجية القادمة عن كل المدن التى إستولى عليها خلال حملته من ٢٠٢ر٢٠٠. وأن يكتب فلامنيوس القائد الرومانى حول حريتCius الى بروسياس طبقا لقرار مجلس الشيوخ. وعلى فيليب أن يدفع غرامة حربية قدرها ألف تالنت نصفها فوراً والنصف الآخر على عشر سنوات.

Polyb . XVIII . 44 .

وبعد أن تخلص الرومان من خطر فيليب تفرغوا لانطيوخس ورغم أن انطيوخس تحاشى الصدام مع روما فى عام (١٩٢) الا أن الرومان كانوا يدفعون الأمور باصرار الى نقطة الصدام. وقدخسر انطيوخس الحرب بعد فشله فى جمع الاغريق حوله وانسحابه الى آسيا الصغرى بعد معركة ثيرموبولاى(١٩١ ق.م) وهناك خسر معركة مجنيزيا فى عام ١٨٩ ق.م الذى كان واحدا من اسهل الانتصارات التى حققها الرومان. أدت نتيجة معركة مجنيزيا الى عقد معاهدة أباميا Apamea فى عام ١٨٨ ق.م التى استطاعت روما بمرجبها ابعاد الدولة السليوقية عن العالم الاغريقى، كما اكتسبت تعاطف بعض المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى وان لم تصدر اعلانا بحريتهم مماثلاً لذلك الاعلان الذى صدر عن حرية اغريق أوربا بعد معركة كينوس كيفلاى واقامت سيادتها الرومانية الدائمة على أغلب آسيا الصغرى بالتدريج بما فى ذلك جلاتيا ثم فرضت نفوذها على بيثينيا وبرنتس وكابادوكيا ثم أرمينيا وقد قدر لهذه المناطق جميعا أن تسقط واحدة تلو الأخرى فى براثن الاستعمار الرومانى ان عاجلا ام اجلا(١).

---

(١) أدت هزيمة أنطيوخس الثالث فى مجنيزيا الى عقد إتفاقية أباميا(١٨٨) وقد نصت هذه الاتفاقية حسبما ذكر بوليبرس على ١٩ بنداً يلاحظ فيه أن اليد العليا لروما. وأن أنطيوخس والسليوقيين قد إستبعدوا تماما من غرب آسيا الصغرى. كما يلاحظ حرص روما أن تحقق مكاسبا لحلفائها فى الحرب .كيومنيس ملك برجاموم الذى اضافت له أراض بل وجعلت أنطيوخس يدفع له غرامة حربية على أقساط سنوية لمدة خمس سنوات. وكذلك لأهالى رودس الذين ضمنت لهم الاتفاقية ممتلكاتهم فى الأراضى الخاضعة لملك أنطيوخس الثالث وحرية تجارتهم دون جمارك. أما بالنسبة لروما نفسها فقد كبلت أنطيوخس بالقيود=

وهكذا ظهرت روما كقوة عظمى نشطة وحاسمة فى العالم الهلينستى وهو الامر الذى غير هذا العالم تغييرا كاملا.

كان تدخل روما فى شئون العالم الهلينستى وتزايد هذا التدخل إيذانا ببداية فترة جديدة من تاريخ هذا العالم، تميزت بتفتت العالم الهلينستى وتباعد اهتماماته على عكس الأمر خلال القرن الثالث، حيث سادت العالم الهلينستى حركة سياسية واحدة وتفاعل حضارى فى برتقة واحدة. نعم كانت هناك حروب دائمة ولكنها كانت حروب بسبب الاهتمامات الواحدة ولكن التدخل الرومانى وضع حدا لهذه الوحدة. نعم كانت هناك علاقات دبلوماسية بين الممالك والمدن وكانت الزيجات السياسية ماتزال تحدث أثرها على العلاقات بين الممالك، ولعل زواج برسيوس ملك مقدونيا من لاوديكى ابنة سليوكس الرابع فى عام ١٧٨ق.م لحالة مشهورة، الا ان هذه العلاقات أصبحت قليلة الاثر فى ظل المراقبة اللصيقة للرومان التى لم يكونوا ليسمحوا بقيام أى تقارب حقيقى بين القوى الهلينستية الهامة، والمعروف أن

---

* فيما يخص الأرض والأسرى والمهاربين. وفرضت عليه غرامة حربية ضخمة قدرها عشرة الاف تالنت وحددت وزن التالنت الواحد ونوع الفضة على أن تكون على أقساط سنوية متساوية لمدة عشر سنوات. كما فرضت على الملك تقديم كمية ضخمة من القمح سنويا للرومان. وفرضت عليه الوجهة السياسية التى عليه أن يتوجه اليها فحرمت عليه التدخل فى شئون الغرب فعليه الا يعبر الى هناك الا لغرض من ثلاثة دفع جزية أو تقديم رهائن أو إرسال سفراء. كما حرمت عليه أن يكون له أسطول فى المستقبل أو فرق أفيال قتال بعد أن إستولت بمقتضى الاتفاقية على كل ما لديه منهما تقريبا. ولم يفت روما أن تفرض على انطيوخس ضرورة تسليم أعدائها الذين وقعوا فى يده وعلى رأسهم هانيبال الذى كان قد هرب من قرطاج.
Polyb . XXI . 43 .

روما كانت تقوم بهذه المراقبة من خلال عملائها فى الشرق الهلينستى خاصة ملوك برجامورم.

وفى الواقع فان العالم الهلينستى كان قد انقسم فى ذلك الوقت الى ثلاثة مجموعات، لم يكن بينها اتصال مباشر. المجموعة الأولى ضمت مقدونيا واليونان والمجموعة الثانية فى آسيا الصغرى والمجموعة الثالثة كانت تضم مصر وسوريا.

وبالنسبة للمجموعة الأولى فقد أُجبرت مقدونيا على الاقلاع عن آمالها فى أن تحكم اليونان وتسيطر على البحر الايجى وأصبحت هذه الآمال مجرد أحلام غير قابلة للتحقيق. والحقيقة الوحيدة فى حياة مقدونيا السياسية كانت علاقتها بروما وكان الشاغل الأكبر للملوك المقدونيين هو ايجاد طريق للتخلص من القبضة الرومانية القوية. وبالطبع أدت محاولات مقدونيا الى اشتعال الحرب مع روما مرة ثالثة(١).

اما بلاد اليونان فقد سعدت لفترة باعلان الرومان (اعلان فلامنيوس) عن حريتهم، وقد سعت القوى الكبرى فى داخل بلاد اليونان ـ الايتوليون والآخيون واسبرطة ـ الى محاولة توسيع نطاق حلف كل منهم بهدف ضم

---

(١) تم ذلك فى عهد الملك برسيوس خليفة فيليب الخامس الذى كان قد إستمر بعد هزيمته فى الحرب المقدونية الثانية يحاول إعادة بناء رخاء مقدونيا. فإهتم بالانتاج الزراعى وخدمات المرانى وتنشيط أعمال التعدين، وربما يكون قد أدخل إصلاحات على نظام العسكرى.

انظر Livy XXXIX . 24 . 1-4 .
Morotti 11 , 114 .

أو السيطرة على كل بلاد اليونان ولكن المدن الصغرى استاءت من محاولات هذه القوى واسرعت دائما الشكوى الى روما ضد كل التجاوزات، واستجابت روما دائما للدعوة لفض النزاعات والحروب الصغيرة واستقبلت مبعوثين عن المدن المتضررة وأرسلت المبعوثين وأعطت النصائح التى كانت فى الواقع أوامر مستترة أدت فى النهاية الى تفريغ استقلال الاغريق من أى معنى حقيقى له، واصبح الاغريق خاضعين لحماية رومانية مستترة ولكنهم لم يكونوا قادرين على تغيير هذا الوضع بالقوة المسلحة.

أما آسيا الصغرى فقد ماثلت الاوضاع فيها بعد معركة مجنيزيا من بعض الوجوه أوضاع بلاد اليونان بعد معركة كينوس كيفلاى: فقد كانت تضم ممالك كبيرة وأخرى صغيرة ومدن مستقلة بدرجات متفاوتة . وكانت أقوى الممالك وأكبرها هى مملكة برجاموم، ولكن استقلال وقوة برجاموم كان رهنا بطاعة ملوكها للرومان طاعة عمياء.

وقد قابل مجلس الشيوخ الرومانى أى تصرف استقلالى أو محاولة لاتباع سياسة خاصة هناك باستياء شديد وقدتعرضت لهذه المعاملة كل الوحدات السياسية فى آسيا الصغرى بما فيها الدول القويه كبثينيا وبرنتس وكبادوكيا والدول الجلاتية القبلية. كانت هذه الدول تحس مدى ثقل اليد الرومانية القوية على حريتها ولم يكن لدى هذه الدول من طريق لتغيير هذا الوضع سوى الحرب .

اما سوريا ومصر فقد بقيتا مستقلتين بعد منجنيزيا. وكان

استقلال مصر لا يسبب قلقا لروما، اذ كان بطالمة القرن الثاني ضعافا تأكل جهودهم صراعاتهم الداخلية وملذاتهم . اما الوضع في سوريا فقد كان مختلفا، فطردت من آسيا الصغرى بمقتضى معاهدة اباميا Apamea، واصبحت اتصالاتها مع بلاد اليونان صعبة وغير منتظمة، كما لم تعد تملك قوة بحرية قوية تحمي مصالحها في البحر المتوسط وبحر ايجة. وهكذا كانت سوريا تنعزل بقوة الظروف عن العالم الهليني والمتهيلن. لقد اغضب روما محاولات برسيوس خليفة فيليب في مقدونيا التقرب من اليونان وخلق حلف بضم الاغريق جميعا ورأت انه قد جاوز المدى المسموح له فقامت الحرب المقدونية الثالثة التي إنتهت بهزيمة ساحقة للمقدونيين في بدنا Pydna (١٦٨ ق.م)، فقدت مقدونيا استقلالها على اثرها ثم تحولت بعد فترة صغيرة من الإستقلال الداخلي الى ولاية رومانية(١). كما عاقب الرومان

---

(١) أقر مجلس الشيوخ الروماني نظاماً فرضه على مقدونيا في عام ١٦٧. وقد نص على الاتي: . . . تحرير المقدونيين المقصود إعلان إنتهاء المملكة المقدونية وتبقى لهم السيادة على مدنهم واراضيهم، ويستخدمون قوانينهم، ويعينون حكامهم سنوياً، وأن يدفعوا الى الرومان نصف الضرائب التي كانوا يدفعونها للملك. ثم أن مقدونيا تقسم الى أربعة أقاليم (بعد تحديد الاقسام الأربعة وحدودها) أمر بأن تتم الادارة محليا سواء بإختيار المجالس أو الموظفين أو الشئون المالية. كما قرر منع الزواج والبيع والشراء للأرض أو للمنازل بين سكان إقليم وآخر. وأمر أيضا بإغلاق مناجم الذهب والفضة وإيقاف العمل بها ولكنه سمح باستمرار العمل في مناجم الحديد والنحاس، على أن يدفع العاملون في التعدين نصف قيمة الرسوم التي كانت تدفع للملك. وأمر بمنع إستخدام الملح المستورد. . . كما وافق للأقاليم كلها (فيما عدا الأقليم الثالث) بأن يكون لهم حراس حدود مسلحون. . . وقد أدت هذه السرية الى تقطيع أوصال مملكة مقدونيا مما سبب إضطرابات وتدخلات رومانية في مقدونيا إنتهت بعد ثورة Andriscus بتحويل البلاد الى ولاية رومانية في عام ١٤٦ ق.م.
Livy ، XLV . 29 . 3-30 ; 32 . 1-7 .

كل من اظهر من الاغريق تعاطفا مع برسيوس وقد أدى هذا الى القضاء على جمهورية رودس، وكانت صاحبة وجود بحرى فى بحر ايجه، ونتج عن اختفائها ازدياد نشاط القراصنة فى هذا البحر، كما حطمت روما قوة العصبيات الاغريقية واخضعت بلاد الاغريق بصورة نهائية، ودمرت مدينة كورنثا العتيدة فى عام ١٤٦ ق.م(١) وأصبحت مدن اليونان مجرد جزء من ولاية مقدونيا الرومانية (١٤٥ ق.م) وهكذا انتهى الوجود السياسى المستقل لمقدونيا وبلاد اليونان.

بقيت بعض الدول فى آسيا الصغرى بعد اختفاء مقدونيا من الخريطة السياسية للدول المستقلة فى العالم الهلينستى. وكان شاغل هذه الدول أمور محلية كمحاولة دولة أن تمد حدودها على حساب جارة لها أو محاولة دولة أو أخرى أن تسيطر على مدينة أو اكثر من المدن الاغريقية

---

(١) نتيجة لهزيمة الآخيين أمام الرومان ١٤٦ق.م عانت المدن الاغريقية المنضمة للعصبة أو الحليفة معها من التدمير ونهب التحف الفنية وقتل السكان الاحرار أو بيعهم وعبيدهم فى أسواق الرقيق. ولعل اكثر أحداث هذه الفترة خطورة اقدام ميسرس القائد الرومانى على احراق مدينة كورنثا" . . . وقد قتل الرومان أغلبية السكان الذين وجدوا فى المدينة، بينما باع ميسرس Mummius النساء والاطفال عبيدا، بينما باع أيضا العبيد الذين كانوا قد اعتقوا وحاربوا فى صفوف الآخيين ولم يقتلوا فى الحرب. وحمل ميسرس كل ماله قيمة عظمى من الأعمال الفنية، وأعطى الأعمال الأقل أهمية إ Philopoemen قائد القوات البرجامية المساندة للرومان. ويذكر بوزنياس أنه حتى أيامه (القرن الثانى الميلادى) كان مايزال هناك بعض ما سلب من أعمال فنية باق فى برجاموم. . . لقد كان ذلك هو الوقت الذى وصل فيه الاغريق الى أضعف فترات تاريخهم.

Pausanias VII . 16 . 7-17 . 1 .

المستقلة فى آسيا الصغرى، وغالبا ماكانت هذه الأطماع الصغيرة تؤدى الى نشوب حروب بين هذه الدول. هذه الحروب كانت عقيمة النتائج حيث أنها كانت لاتؤدى الى حل اى مشكلة حلا جذريا ، وانما الحل فى النهاية دائما تفرضه روما بما يتفق مع مصلحتها: ومصلحتها كانت تحتم عدم السماح لأى مملكة من هذة الممالك الموجودة فى آسيا الصغرى بان تتجاوز حدا معينا من القوة يسمح لها بأن تكون بغير منافس من جيرانها لأن حدوث مثل هذا التجاوز كان يعنى خطرا محتملا على النفوذ الرومانى نفسه. وكانت أهم الممالك القائمة فى آسيا الصغرى فى ذلك الوقت هى برجامرم وكانت كما نعلم قوية الى الحد الذى يسمح به الرومان فى ظل ولاء دائم من ملوكها لروما. وبثينيا التى استطاع ملكها بروسياس الاول Prusias أن يجعلها مملكة قوية ومنظمة، وبونتس التى اصبحت تحت حكم فرناكيس الاول Pharnaces واحدة من أقوى ممالك آسيا الصغرى وكبادوكيا، فضلا عن الممالك القبلية للجلاتيين .

هذه الممالك فيما عدا برجامرم كانت مثيرة للمشاكل. وقد كانت مهمة برجامرم فى السنوات القليلة التى تلت معركة مجنيزيا أن تسيطر على طموحاتهم وكانت برجامرم قادرة على اتمام هذه المهمة كعميل للرومان. فقمع يومنيس الثانى ملك برجامرم الجلاتيين من قطاع الطرق وكذلك منع بروسياس Prusias ملك بثينيا من الاستفادة من هزيمة انطيوخس الثالث فى مجنيزيا، وهو أيضا الذى استطاع بالتحالف مع قوى أخرى فى آسيا

الصغرى أن يضرب خطط فرناكيس الاول الطموحة بعد حرب استمرت أربع سنوات (١٨٢ ـ ١٧٩ ق.م. ويلاحظ أن روما تدخلت لوضع حد للصراع قبل وصوله الى نتيجة حاسمة حيث كانت روما تخشى استغلال سليركس الرابع حليفة انطيوخس الثالث لهذا الظروف في وقت كان فيليب الخامس مايزال في موقف يسمح له بالتمرد على سلطتها. ولكن دور برجامو كعصا رومانية لتأديب ملوك آسيا الصغرى سرعان ماانتهى. اذ بدأت روما تعامل حلفائها بقسوة بعد ما ظهر من تعاطفهم مع مقدونيا اثناء الحرب المقدونية الثالثة. وقد أدى هذا الى احساس يرمنيس الثاني باحباط شديد بعد جهوده الكبيرة لخدمة الرومان. ومع ذلك فقد بقيت برجامو تابعة لروما حتى أن اتالوس الثالث بن يرمنيس الثاني وكان قد خلف أخاه اتالوس الثاني على عرش برجامو أقدم على خطوة خطيرة غيرت كثيرا من الخريطة السياسية لآسيا الصغرى. اذ اوصى بمملكته عام ١٣٣ ق.م للشعب الروماني (١). وهكذا فقدت برجامو استقلالها وصارت ولاية رومانية. واتخذ

---

(١) أهم مايذكر عن حكم أتالوس الثالث ملك برجامو انه أوصى بملكه للرومان والمعروف أن اتالوس لم ينجب أولاداً يرثونه ومع ذلك تبقى دوافعه لاصدار هذه الوصية غير واضحة. فربما كان يرغب في حرمان Aristonicus من وراثة العرش. وربما كان يرى تسليم البلاد لقوة تحميها من الاضطرابات الداخلية وربما كان يريد أن يضمن عدم تعرضه للاغتيال بسبب الرغبة في الاستيلاء على العرش. وبالطبع لايجب أن نتصور أن الوصية قد حققت أهداف اتالوس فموته بعد فترة حكم قصيرة نسبيا وربما كانت أيضا ذات صلة بالوصية. على كل حال فقد أدت وصية هذا الملك للرومان بوراثة ملكه في عام ١٣٣ الى بداية الحكم الروماني المباشر في آسيا .
أنظر Strabo XVI . 1 . 38 , OGIS 338 & 435 , Syll. 3 694

مندوب مجلس الشيوخ برجامرم مقرا له ثم نقل هذا المقر فيما بعد افسوس.

ادى تواجد الحكم الرومانى فى آسيا الصغرى الى ظهور الوجه القبيح للرومان هناك فقد أهملت حركة التقدم التى كان يرعاها ملوك برجامرم وروودس وغيرهم وحل محلها رغبة رومانية مخمرمة فى الحصول على أقصى عائد مالى من هذه البلاد. وقد أدى هذا بالتالى الى ازدهار الكراهية للرومان فى داخل الكيانات السياسية الباقية فى آسيا الصغرى، مثل مدن الاغريق المستقلة وممالك بونتس وكبادوكيا وأرمينيا. ووصلت هذه الكراهية الى حد سعى بونتس التى كانت القوة المؤهلة لقيادة هذه الحركة لجمع بقية القوى حولها من أجل حرب روما.

وهكذا فان الحدث المحورى فى آسيا الصغرى الهلينستية بعد سقوط برجامرم كان حرب مثريداتيس السادس ملك بونطس (١) ضد روما وفشل مثريداتيس فى مواجهة روما لايعود فى الواقع الى قوة الرومان أو

---

(١) مثريداتس السادس ليوباتور ١٢١-٦١ق. م ملك بونطس عرف بالاكبر لقدرته وبطولته فى مواجهة روما حارب الرومان فى ثلاث حروب عرفت باسمه. إستمرت الاولى منها من ٨٨ الى ٨٤ ق. م واستولى خلالها على أغلب آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه- عدا رودس- وجانب كبير من بلاد الاغريق. هزمه سلا وأرغمه على التخلى عن كل فتوحاته ٨٤. وفى الحرب الثانية التى إستمرت من ٨٣الى ٦٢ق. م هزم القادة الرومان لوكلرس ثم بومبى وانسحب الى القرم. وهناك واجه تمرداً بقيادة إبنه فارناكس. قتله أحد أتباعه كان داهية فى التنظيم وشجاعاً عند اللقاء وكان أخطر أعداء روما فى الشرق.

لضعف شخصيته ولكنه يعود فى اغلبه الى أن الاغريق تخلوا عن تأييده بعد فترة قصيرة من بداية الصراع، كما أن كبادوكيا كانت فى البداية معادية له، ولم تؤيده سوى أرمينيا وكانت قوة نصف متمدينة. ولقد ادى فشل مثريداتيس فى هزيمة الرومان الى تحول آسيا الصغرى التدريجى الى عدد من الأقاليم والمحميات الرومانية. وكانت هذه المحميات مجموعة من الممالك التابعة لروما متهيئة بدرجة أو بأخرى وبقت مستقلة ما رغبت روما فى ذلك.

رغم الاهتمام الرومانى الواضح بالسيطرة على العالم الاغريقى فى بلاد اليونان ومقدونيا وبحر ايجة وآسيا الصغرى لكى تضمن أمنها كاملا فضلا عن مداخيل هائلة ـ نجد روما تبدو غير مهتمة بمستقبل المملكتين الهلينستيتين الشرقيتين فى السنوات التى تلت معاهدة أباميا مباشرة، ويبدو أن روما فى ذلك الوقت اكتفت بعزل كل من المملكتين عن بحر ايجة وبلاد الاغريق وفرضت عليهما الابتعاد عن تقرير سياسة البحر المتوسط ومن ثم أصبحتا غير ذات ضرر عليها. ولكن روما سرعان ماهجرت هذه السياسة واتبعت سياسة التدخل المتزايد فى شئون كل من الدولتين بما يشجع الفوضى فى العلاقات بينهما وعدم استقرار أمورهما فلقد اصبح التدخل المستمر لروما فى المسائل الداخلية لكل الدول الهلينستية نوعا من الروتين المعتاد.

وبالنسبة لسوريا تمسكت باتفاق أباميا رغم خسارتها الشديدة بسببه

وذلك لأنها عقب معركة مجنزيا كانت ضعيفة بما لايسمح لها أن تسعى للانتقام . وقد استمر تمسك سوريا السليوقية باتفاقية أبامیا خلال مابقى لانطيوخس الثالث من سنوات عمره والمعروف أنه مات فى عام ١٨٧ ق.م وحدث نفس الشئ أيام سليوكس الرابع وانطيوخس الرابع خليفتيه . ولقد كرس الملوك الثلاثة جهودهم لمحاولة استعادة قوة مملكة السليوقيين وكان الأمل دائما هو بالتوسع شرقا. ولذلك نلاحظ اهتماما قليلا بأمور الغرب لدى دولة السليوقيين فى هذه الفترة بل أن أكثر الملوك اهتماما بالغرب وهو انطيوخس الرابع كان اقصى مايتمنى الوصول اليه هو أن يبقى خارج نطاق النفوذ الرومانى.

لقد حاول انطيوخس الرابع أن يعيد قوة مملكته بما يسمح له بحرية الإرادة فسعى الى محاولة دمج الأجناس المختلفة فى مملكته من افريق مستشرقين وشرقيين متأفرقين ويهود أملا أن تقوى مملكته من خلال اندماج عناصرها ولكن هذه المحاوله فشلت فشلا ذريعا وأدت الى ظهور الحركات القومية فى داخل مملكته ويكفى أن نعلم أن اليهود بدأوا حربا ضد السلطة استمرت أكثر من قرن ونتج عنها فى النهاية استقلال مملكة يهودية (١). سعى انطيوخس الى استعادة أراضى و أقاليم فقدتها

---

(١) تمتعت يهودية بحق تسيير أمورها ذاتيا سواء خلال فترة تبعيتها لبطالة أو للسليوقيين . ولكن بدأ صراع اليهود ضد السليوقيين إبتداء من عصر أنطيوخس الرابع الذى أراد أن يفرض الأسلوب الأغريقى فى الحياة على اليهود فقاوموه.
I Maccabees راجع . 10-25 & 45-56 .

الدولة فى عصورها المختلفة ولكنه لم ينجح نجاحا كاملا وأن كان قد وصل بالاتفاق مع حاكم باكتيريا المستقل الى ايقاف زحف البارثيين وتحجيم مكانة ارمينيا. واخيرا سعى انطيوخس ايضا الى محاولة توحيد الدولتين الهلينستيتين الباقيتين فى سوريا ومصر تحت حكمه.

فى ذلك الوقت كانت روما تعد لحرب برسيوس(الحرب المقدونية الثالثة) وكانت تضع فى حسابها احتمال تحالف انطيوخس ومصر مع برسيوس فى مقدونيا وكان المسيطر على الأمر فى مصر وزيران هما Eulaeus و Lenaeus اذ كان الملك فيلومانر مايزال طفلا، وفجأة وجدنا هذين الوزيرين يسعيان لجرف سوريا وهى تلك الأراضى التى فقدتها مصر لصالح السليوقيين قبل عدة عشرات من السنين. و رغم عدم وضوح الدور الرومانى فى تحريك الأطماع البطلمية القديمة رغم سوء أحوال البلاد فى الداخل فمن الواضح أن روما كانت المستفيدة من شغل مصر بسوريا وسوريا بمصر اذ أن الملك انطيوخس استغل الموقف لمحاولة تحقيق حلمه فى ضم مصر الى مملكته، وسار الى مصر حيث وصل ممفيس فى ربيع ١٦٩ ق.م ومنها اتجه الى اسكندرية ولكنه لم يدخلها مكتفيا بقبول بطلميوس الثامن عودة أخيه الى جانبه على العرش (١) وأيا كان سبب

---

(١) بعد ضم أنطيوخس الثالث لجرف سوريا والشرية التى تمت مع بطليموس الخامس فى عام ١٩٥، بقيت الأحوال بين الملكين هادئة حتى عهد أنطيوخس الرابع. وعلى عهد هذا الاخير ثارت المشاكل بين البلدين والأعلم الأسباب الحقيقية لهذه المشاكل وان كان المعتقد

الانسحاب وسواء كان برغبة الملك السورى أو على غير رغبته . فانه عاد مرة أخرى الى مصر عام ١٦٨ ق.م أملا أن ينجح فى ضمها الى ملكه. وصلت قواته الى بيلوزيون وهناك استقبل سنرا الملك بطليموس السادس الذى شكره على مساعدته فى العام الماضى وأبلغه أنه وأخاه على وفاق وأنه ليس فى حاجه لمساعدتة ولكن انطيوخس أصر على التقدم نحو ممفيس حيث أعلن نفسه ملكا على مصر(١)، ثم اتجه الى الفيوم وأخيراً توجه نحو العاصمة الاسكندرية التى عسكر على مشارفها. وهناك استقبل سفارة رومانية يرأسها القائد الرومانى بوبيليوس لايناس Popilius Laenas الذى قدم اليه قرار مجلس الشيوخ الرومانى بضرورة عودته الى بلاده واقلاعه عن محاولة احتلال مصر ، وعندما طلب انطيوخس مهلة حتى يستشير رفاقه رسم السفير الرومانى دائرة بعصاه حول الملك على الأرض وطلب منه أن يبلغه رأية قبل أن يبرح الدائرة ولم يجد انطيوخس بدا من أن يستجيب للأمر الرومانى(٢) أما السفير الرومانى فقد عاد الى الاسكندرية حيث اعطى

= أن المبادرة للعداء إتخذها الجانب البطلى(الحرب السورية السادسة ١٧٠-١٦٨ق. م) غزا أنطيوخس مصر للمرة الأولى فى عام ١٦٩ مدافعا عن حق بطليموس السادس فيلومتر(ابن اخت أنطيوخس) ضد أخيه بطليموس الثامن.

(١) P . Tebt . III 698 .

(٢) "عندما تقدم أنطيوخس الرابع ضد بطليموس السادس لكى يسيطر على بيلوزيوم، قابله القائد الرومانى(c.)Popilius (Laenas حياه الملك بصرته من بعد ومد له يده اليسرى، ولكن بوبيليوس قدم له لوحة كانت فى يده والتى تضمت قرار مجلس الشيوخ، وطلب من انطيوخس أن يقراها أولا. وفى رأيى، لم يكن يريد أن يقدم أى علامة على الصداقة قبل أن يجد إستجابته لما جاء به، سواء كان صديقا أم عدوا. وعندما قراها الملك، قال أنه فى =

تعليماته للملكين ثم غادر مصر الى قبرص ـ وكانت تابعه لها لكى يطمئن على اخلاء انطيوخس لها بعد أن سبق الى احتلالها ـ عموما فشلت أيضا محاولة انطيوخس لضم مصر الى أملاكه ويعود ذلك فى الواقع الى أخطاء ارتكبها اثناء غزوه مصر وأيضا الى حقيقة انتهاء روما من الحرب المقدونية الثالثة والقضاء على خطر برسيوس فى فترة قصيرة وبصورة غير متوقعة، ومن ثم كانت روما قادرة على التدخل ضد أطماع انطيوخس لاحيا فى مصر ولكن حرمانا لانطيوخس من مصدر القوة الذى يمكن أن يضمنه اذ هو ضم مصر اليه .

ومع هزيمة انطيوخس فى مصر بسبب التدخل الرومانى فقد سار فى طريقه فى صراعه ضد اليهود وعلى الجبهه الشرقية حيث تدخل فى باكتريا ضد ديمتريوس ثم الحملة التى قادها ضد بارثيا ورغم النجاحات الأولية لحملته الا أن وفاة الملك انطيوخس الرابع المفاجئة ادت الى كارثة للامبراطورية السليوقية اذ كان آخر العظماء من ملوك السليوقيين. واعتلى

محاجة لاستشارة أصدقائه بالنسبة لهذة التطورات الجديدة. ولكن بوبيليوس فى إجابته صنع شيئا يبدو مهينا وفجا بالنسبة لمقام الملك. حيث رسم بفرع من كرمة كان فى يده دائرة حول أنطيوخس وطلب منه أن يجيبه على الرسالة قبل أن يخطو خارج الدائرة. فرجى الملك بهذا الفجاجة ولكنه بعد تردد للحظة قال انه سوف يفعل كل ماطلبه الرومان منه. بعد ذلك بوبيليوس ورفاقه عليه باليد وحمدوا له فضله. قرار مجلس الشيوخ طلب منه أن يضع فوراً للحرب مع بطليموس. وعليه فقى عدة أيام محدودة سحب أنطيوخس جيشه الى حزينا بسبب ما حدث ولكن متقبلاً الظروف الحالية. بوبيليوس ورفاقه أقروا الامور الاسكندرية ودعوا الملكين أن يتمارنافى الحكم البلاد) [. . .] وبهذه الطريقة أنقذ مملكة البطالمة من الانهيار.

Polyb . XXIX . 27 .

العرش من بعده عدد من الملوك الخاملين، كان أفضل ما نجحوا فيه هو ايقاف تقدم البارثيين.

لقد خلص القدر روما من انطيوخس الرابع (ابيفانس) وقدرت روما أنه كان سينجح فى محاولاته لولا سرعة انتهاء الحرب المقدونية الثالثه ومرته المناجئ ولذلك قرر الرومان أن يغرقوا مصر وسوريا فى بحر من الفوضى بما لايسمح لأى منهما أن تقف على قدميها فى المستقبل فكانوا دائما يغذون الخلافات العائلية فى الأسرتين الحاكمتين ويدعمون الحركة اليهوديه المناوئة للسليوقيين. ولذلك لم يعارضوا قيام الحروب بين مصر وسوريا من أجل امتلاك جوف سوريا، كما وضعوا العراقيل أمام كل ملك يبدو مبشرا مثل ديمتريوس الثانى الذى قبض عليه البارثيون فى عام ١٤٠ ق.م وانطيوخس السابع ١٣٩-١٣٠ ق.م . ولقد انساق ملوك سوريا فى تيار من الخلافات والمنافسات العائلية العقيمة كما فقدت المملكة السليوقية مصادر دخلها مماجعلها غير قادرة على استعادة جوف سوريا أو منع تقدم البارثيين.

لقد كان تاريخ سوريا فى تلك الفترة خليطا من الحروب الاهلية بين أفراد من البيت المالك وكذلك بعض المغامرين ومن المحاولات العقيمة المتكررة لاستعادة السلطة السليوقية على مناطق معينة كثيره التمرد مثل فلسطين التى استقلت أخيرا كمملكة تحت حكم أسرة ملكية خاضعه (Hasmonaeans) ، ومن حروب ضد مصر مرتبطة بالحروب الاسرية التى سبق الاشارة اليها، ومن الجهود اليائسة لاستعادة ميزوبوتاميا من البارثيين

وايقاف نمو المملكة الارمنية . وقد انتهت هذه المملكة السليوقية بالتسليم سلما لبومبى فى عام ٦٤ ق.م.

اما مصر فان القرن الأخير من حياة مصر البطالمة خال من الأحداث الهامة وتاريخ مصر فى تلك الفترة كان من الناحية العملية هو تاريخ صراعات أسرة البطالمة، وجرائمهم وعلاقاتهم بجيشهم وعلاقاتهم مع عامة السكندريين فى الاسكندرية وأخيرا شكاياتهم المستمرة ضد بعضهم البعض لروما الذين كانوا جميعا خدما مطيعين لها. ولسوء الحظ فاننا لانعلم غير القليل جدا عن صراع هؤلاء الملوك مع الوطنيين الذين كانوا فى ثورة دائمة تقريبا .

ولكن الامر الغريب حقا أنه نرى أكثر الممالك الهلينستية سلبية والدولة الاكثر خضوعا لمشيئة روما تفرز فى النهاية امرأة قوية قادرة وطموحة كان هدفها إعادة الحياة الى العالم الهلينستى فى صورة جديدة وأن تكون مصر مركز هذا العالم ويعتمد هذا العالم على قوات عسكرية تقدمها ايطاليا والغرب.

لقد اعتلت كليوباترة العرش البطلمى فى عام ٥١ ق.م هى وأخوها بطلميوس الثالث عشر حسب وصية ابيهما الذى جعل الرومان ضامنين لتنفيذها. ولكن دب الشقاق بين كليوباترة التى كانت تبلغ الثامنة عشرة من العمر وبين مستشارى أخيها، فسعوا حتى طردها من الاسكندرية ولجأت الى بيلوزيون حيث كونت جيشا لتعود به الى الإسكندرية . فى

ذلك الوقت وصل قيصر الى مصر فى اعقاب غريمه بومبى ودخل الاسكندرية وتقول الرويات أن كليوباترة جاءت اليه فى قصره ملفوفة فى بساط، وعرضت عليه قضيتها ونجحت فى اكتسابه الى جانبها.

أمر قيصر الأخرين بأن يسرحا جيوشهما ويقبلا تحكيمه ولكن مستشارى بطليموس ١٣ تورجسرا شرا فحركوا قواتهم شرقا فى اتجاه الاسكندرية ورغم بعض النجاحات العسكرية المبكرة فقد خسر بطليموس الحرب وفقد حياته غرقا فى النيل(١).

عندئذ أعلن قيصر كلا من كليوباترة وشقيقها بطليموس الرابع عشر ملكين بالاشتراك وذلك فى عام ٤٧ ق.م .

تركت كليوباترة مصر الى روما فى إثر قيصر حيث أقامت هناك ثلاث سنين الى جانبه تنتظر انتصاره النهائى فى معارك الصراع على السلطة واعلان نفسه حاكما مطلقا لروما. والجدير بالذكر أن كليوباترة كانت قد انجبت من قيصر ولدا أسماه الاسكندريون قيصرون وأعلنت كليوباترة ذلك على جدران المعابد حيث صور على هيئة حورس الى جوار أمه إيزيس، كما ظهرت عملة فى قبرص وقد نقشت عليها صورة كليوباترة على

---

(١) قامت حرب الاسكندرية بين قيصر تعارنه كليوباترة وبطليموس ١٣ عام ٤٨ق . م وقد إحترقت مكتبة الاسكندرية خلال تلك الحرب. وقدحاول أنطونيوس تعويض كليوباترة عن فقدها لأغلب محتويات المكتبة بإهدائها كمية كبيرة (قيل ٢٠٠ ألف كتاب) من مكتبة برجامم.

هيئة انروديتى - إيزيس وهى تقوم بارضاع قيصرون. وكانت كليوباترة فيما يبدو بذهابها الى روما قد فضلت أن تكون شريكة لقيصر فى حكم العالم الرومانى على أن تكون ملكة على مصر فقط.

ولكن مقتل يوليوس قيصر فى عام ٤٤ حطم كل مشاريعها فعادت الى مصر من جديد حاملة أحزانها . ويبدو أنها فكرت فى الانفراد بالسلطة فى مصر فهى الشئ الوحيد الباقى ، ومن ثم قتلت أخاها فى ٢٦ يوليو سنه ٤٤ وعينت ولدها من قيصر شريكا لها (وكان عمره أربع سنوات). قبعت كليوباترة فى مصر تترقب نتائج الصراع على السلطة فى روما دون أن تدلى بدلوها لصالح أنصار قيصر ، ولذلك فما أن استقرت الأمور لصالح أنصار قيصر حتى أرسل اليها انطونيوس حاكم الأقاليم الشرقية وأحد أنصار قيصر لكى تفسر له موقفها المتخاذل من قيصر وقضيته اتجهت كليوباترة الى طرسوس فى عام ٤١ ق.م ، حيث قبل انطونيوس تبريراتها بل وحضر الى مصر فى اعقابها حيث امضى معها عام ٤١-٤٠، كما قضى معها مابقى من عمره اعتبارا من عام ٣٦ ق.م .

ألقت كليوباترة بكل أوراقها لصالح انطونيوس فى الصراع على السلطة فى روما ففعل ما اعتبرته روما خيانة لها. تزوج كليوباترة وطلق أوكتافيا شقيقة أكتافيوس ، واحتفل بانتصاراته فى الاسكندرية لا فى روما وأهدى الاقاليم التى فتحها فى أرمينيا وغيرها الى أبناء كليوباترة من قيصر ومنه.

وفى روما كان أكتافيوس يثير الناس ضد أنطونيوس وأعماله ، وأكثر ما أثارهم به هو أخبار خضوعه للملكة المصرية . ثم خرج أكتافيوس لحرب كليوباترة عدوة الشعب الرومانى، ولم يشر الى حرب أنطونيوس خوفا من انقسام الأنصار فى روما، وانتهى الصراع فى اكتيوم بهزيمة الملكة وزوجها الرومانى وانسحبت الى مصر وتبعها الى هناك . ثم انتحر أنطونيوس يوم أول اغسطس عام ٣٠ ق.م ولحقت به كليوباترة فى العاشر من نفس الشهر(١).

وهكذا سقطت آخر ممالك العالم الهلينستى فى أيدى الرومان وتحولت الى ولايه فى عام ٢٩ ق.م(٢) .

وأصبح العالم الهلينستى جزءاً من الامبراطورية الرومانية.

---

(١) زكى على ، كليوباترة القاهرة.

(٢) وضعية مصر فى الامبراطورية الرومانية محل خلاف بين الباحثين إنظر فرزى مكارى ، وآخرون ، مصر تحت حكم الرومان القاهرة ، ١٩٨٧.

٥- حكومات العالم الهلينستي

١- اشكال الوحدات السياسيه التي سادت العالم الهلينستي:

عاش الاغريقي في العصر الكلاسيكي مواطنا في مدينة دولة محدودة المساحة والمكان. وتعود على الحركة في عالم من المجتمعات الصغيرة كانت أثينا واسبرطه تعتبران فية من العماليق على الرغم من أن كل منهما كانت بوجه عام تتبع النظام السياسي الذي يراه في مدينته(١). ولكن مع حلول العصر الهلينستي انتهت سيادة نظام المدينة الدولة وحل محله عديد من الأشكال السياسية. أهم هذه الاشكال وأكثرها انتشارا كان النظام الملكي. ولكن حتى هذا النظام الملكي كان يعرف اختلافات كبيرة في مملكة معينة عن أخرى بعينها . هناك مثلا الممالك الضخمة مثل مملكتي البطالمة في مصر والسليوقيين في آسيا بطابعهما الشرقي وهناك مملكة مقدونيا بتقاليدها الملكية المحافظة وتقف في المنتصف بين التقاليد الشرقية والتقاليد المقدونية مملكة برجامرم الصغيرة. شكل آخر من أشكال الوحدات السياسية في العصر الهلينستي كان شكل المدينة الدولة وكانت على هذا العصر نوعان: المدن الاغريقية القديمة وكانت دائما تسعى للاستقلال بأمورها

---

(١) للمزيد من القراءة عن عالم المدن الاغريقية في العصر الكلاسيكي.
فرزي مكاري ، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته ، الدار البضاء، ١٩٨٠م.

بل وتحارب أحيانا من أجل الفوز بهذا الاستقلال. كان هناك أيضا مئات المدن الجديدة التى قامت فى أقاليم الممالك المختلفة وكانت هذه المدن تختلف فى نشأتها وتطورها عن المدن الدول فى بلاد الاغريق، اذ كانت المدن الجديدة تمارس تسيير أمورها فى الداخل بالأسلوب الاغريقى ولكنها كانت خاضعة كلية للملوك التى تقع هذه المدن فى ممالكهم. وشهد العصر الهلينستى ازدهار شكل من أشكال الحكومات هى الاتحادات الفيدرالية التى أصبحت قوى ذات أهمية خلال القرن الثالث ق.م رغم أنها كانت قد بدأت فى الظهور منذ القرن الرابع ق.م ضمت هذه الاتحادات مدنا لها حكومات مستقلة وأقاليم ريفية. ولقد كانت هذه الاتحادات قادرة لوقت طويل على مقاومة محاولات الملوك الهلينستيين للسيطرة عليها وفى الحقيقه لقد أثبتت هذه الاتحادات الفيدرالية أنها كانت الخلف المصرى الناجح لنظام المدينة الدولة. لقد كانت هذه الاتحادات امتزاجا حقيقيا للمدن وكانت أيضا التطور الرحيد الذى شهده الميدان السياسى فى العصر الهليستى(١).

لم تكن الممالك والاتحادات الفيدرالية والمدن الدول هى كل النظم السياسية القائمة خلال العصر الهلينستى. وأنما عرف هذا العصر وجود مدن دينية كبيرة فى آسيا الصغرى وسوريا كانت تحكمها أسر قوية من

---

(١) أشهر هذه الاتحادات فى العصر الهلينستى هى العصبة الأيتولية والعصبة الآخية والعصبة الهونية.

الكهنة وقد مارست هذه المدن قدرا كبيرا من الاستقلال الى حلول العصر الروماني والمعروف أنه كانت هناك مملكة يهودية فى فلسطين تمتعت باستقلال تام من منتصف القرن الثاني وبقيت ,كذلك لحين ظهور الرومان فى المنطقة بعد مائة عام من ذلك التاريخ.

هناك أيضا الدويلات الاقطاعية الصغيرة (الفيرداليات) التى وجدت فى داخل الاقاليم السليوقية وقد تولى أمور الحكم فيها استقراطيات محلية.

وبالاضافة الى ماسبق كانت هناك عواصم ومستعمرات عسكرية ومدن ذات نظم سياسية متنوعة تنتشر فى كل مكان وعلى مواطن العالم الهلينستى أن يعيش حقيقة هذا التنوع الواسع.

٢ـ أنماط السكان :

تباينت شعوب العالم الهلينستى تباين نظم الحكم فيه وبينما كان الاغريقى يعيش خلال العصر الكلاسيكى مع سكان عالم بحر ايجه المتشابهين أصبح العالم الهلينستى يضم كل سكان الامبراطورية الفارسية القديمة بكل تنوعاتهم فلكل شعب منهم تاريخه الوطنى وشخصيته الخاصة. فمثلا كانت مصر هى أرض الفلاحين المصريين الذين يبلغ عددهم حوالى سبعة ملايين نسمة يقيم بينهم مجموعات غير معروفة العدد من الغرباء : الاغريق

والمقدونيين الذين جاءوا اليها مستعمرين ومستوطنين وكان محور التواجد الاغريقى المقدونى فى مصر يتركز فى مدينة الاسكندرية التى بلغ عدد سكانها عند ذروة ازدهارها حوالى مليونا من السكان ـ هذا اذا أحصينا جميع القاطنين بها سواء كانوا من الوطنيين أو الاغريق(١). وكان التنوع السكانى فى الامبراطورية السليوقية بغير حدود فهناك الرعاة الايرانيين الذين يتحركون للرعى فى الأقاليم شبة الصحراوية الواقعة الى الشرق من العاصمة الفارسية القديمة برسيبرلس. أما بابل وسوريا فقد ضمت بعض المجتمعات الاكثر تقدما. وقد قدر عدد سكان الامبراطورية السليوقية بحوالى ثلاثين مليونا من السكان، يضاف اليهم عدد غير معروف من الاغريق والمقدونيين عاشوا فى المدن (الاغريقية) يفصل بين الواحدة والأخرى الأف الأميال فمثلا نجد الاسكندرية البعيدة التى تقع قرب كلكتا الحالية أسفل نهر الجانج كان يفصلها عن عاصمة الدولة انطيوخ (انطاكية) ٢٢٠٠ ميل.

٢- علاقة المواطن الهلينستى بالدولة:

أن أهم مايميز العصر الهلينستى هو انفصال الحكومة عن الشعب، فبينما كنا نلاحظ فى العصر الكلاسيكى أن المدينة الدولة لم تكن لها حكومة منفصلة عن الشعب بمعنى وجود رسميين دائمين بالحكومة سواء كانوا

(١) Polyb . Xiv . 12 .

مشرعين أو قضاه أو اداريين فأن الأمر قد اختلف تماما فى العالم الجديد (الهلينستى) اذ عرف هذا العالم الحكومات الدائمة بملوكها وبلاط كل ملك وسدنة الادارة فى كل دولة، وكانت هذه الحكومات تضم متخصصين فى الحكم أو بمعنى آخر محترفين وبذلك كانوا شيئا آخر غير الناس منفصلين عنهم.

وكذلك صاحب ظاهرة احتراف السياسة والإدارة اختفاء ظاهرة هامة ميزت العصر الكلاسيكى وهى الربط بين اكتساب مواطنة مدينة معينة والحصول على حقوق بعينها. فكان الأمر يعنى الكثير عندما يكون المواطن اسبرطيا أو اثينيا أو طيبيا أو غير ذلك . إن اكتساب صفة المواطنة فى مدينة معينة فى العصر الكلاسيكى كان يعنى مشاركة فى قوة الدولة ومغانم الحرب ومكاسب الامبراطورية. ولكن هذه الظاهرة اختفت مع بداية العصر الهلينستى فان هذه المدن أصبحت بلا حول ولا طول فيما عدا تسييرها لشئونها المحلية، وهكذا صار أيضا حق المواطنة فيها فلم توجد خلال العصر الهلينستى دولة مدينة من المدن القديمة كانت تقدر على حماية مواطنيها خارج حدودها أو حتى داخل هذه الحدود فى مواجهة إرادة الملوك، كما لم تقدم أى دولة هيلنستية لمواطنها أى نوع من أنواع الامتيازات بسبب انتمائه اليها كتلك الحقوق التى كانت تقدمها روما لرعاياها. لقد كان سكان كل مملكة هلينستية رعايا للملك الحاكم الذى كان على الأقل من الناحية القانونية صاحب سلطة غير محدودة على رعاياه.

والطريف أن تحطيم قوة روابط المواطنة قد فتح الطريق لانتشار الحضارة الهلينستية. ففى ظل النظام القديم كان ضروريا على المدن أن تدقق بشده فيمن يمنح حقوق المواطنة فيها حيث أن زيادة عدد المواطنين كانت تعنى فاقدا فى القوة والعائد المادى يتناسب مع الزيادة فى عدد المواطنين . وكانت النتيجة هى بقاء الثقافة الاغريقية الى حد كبير ـ مرتبطة بالمدينة الدولة وأعيادها وصراعاتها وأشكال الحكم فيها، كما كانت الثقافة مسألة تخص أولئك الذين من حقهم أن يشاركوا فى هذه الاشياء بحكم مولدهم.

ولكن بمجرد اضمحلال الأهمية السياسية للمواطنة فى العصر الهلينستى، لم يعد من الضرورى أن يتم التدقيق أو وضع عراقيل أمام إضافة مواطنين جدد . وهكذا شهد العصر الهلينستى تبادل الحقوق السياسية بين المدن ، وهو الذى كان من المستحيل تصور حدوثه خلال القرنين الخامس والرابع ق.م.

وقد أصبح معيار التقدير فى العصر الهلينستى للمولد أو النسبة الى مدينة ما وانما الثروة والمرهبة والثقافة التى يتمتع بها المواطن.

ففى أثينا خلال العصر الكلاسيكى لم يكن فى مقدور أى مواطن أن يختار موقعه فى الدولة فالحكومة والى حد أقل الجيش كان يحدد للشخص الذى ينتمى الى فئة معينة مكانا بعينه ـ بالطبع مع وجود عدد من الاستثناءات المعروفة ـ وهكذا يمكن أن نقول أنه لم يكن للمرهبة أى

تقدير فيما عدا بعض الوظائف التى كان يتم شغلها بالانتخاب.

والمعروف أن الخدمة فى المدينة فى العصر الكلاسيكى كانت قائمة على مبدأ التطوع ولكن الأمر اختلف فى دول العصر الهلينستى الذى أصبحت السيادة فيه لمبدا الاحتراف . ولم يكن أبناء مدينة معينة يحصلون على مميزات خاصة فى المملكة التى يفدون اليها وانما كان يكفى المرء أن يكون اغريقيا أو حتى يدعى أنه اغريقى.

وحتى فى نشاطات كالتمثيل والموسيقى والرياضات كان العاملون فيها من المحترفين الذين حلوا محل هواة العصر الكلاسيكى . كان هؤلاء المحترفون يشتركون فى المناسبات العامة ويمكن أن ينتقلوا ولاءهم من مدينة الى أخرى ومن مملكة الى مملكة ثانية.

ولقد كانت الحاجة كبيرة الى المتميزين فى فنونهم فى كل العالم الهلينستى كالأطباء والتقنيين والمهندسين والعلماء وقواد الجيش وغيرهم ولذلك تنقلوا وتحركوا أينما لاحت لهم الفرص المناسبة وعلى سبيل المثال نجد عالم الرياضيات ابولونيوس من برجا Perga قد حقق أغلب نجاحاته الرائدة فى مجال المخروطات فى متحف الاسكندرية تحت رعاية البطالمة ثم انتقل الى برجامرم حيث أهدى طبعة منقحة من عمله لسيدة الجديدالملك اتالوس Attalus ملك برجامرم(١).

---

(١) عاش ابولونيوس مابين ٢٦٢-١٩٠ق. م. وقد قضى فترة طويلة من حياته فى الاسكندرية كان عالما فى الرياضيات والفلسفة أصدر عدة مؤلفات اشهرها كتاب من ثمانية أجزاء عن المخروطات لم يبق منها سوى أربعة بالاغريقية وثلاثة بالعربية.

وقد واجه العالم الجديد حاجة ملحة الى الاداريين المدربين والمحاسبين والمديرين والكتبة لكى ينظموا ويديروا الأعمال الادارية المتشعبة فى ممالك ذلك العالم . وكانت هذه الممالك تحتاج أيضا الى جنود مرتزقه لخدمة أهدافها الحربية.

ومع الفصل الواضح بين الحكومة والمجتمع والأهمية المتناقصة لقيمة المواطنة أصبح الثراء ذو أهمية أكثر من أى وقت سابق ، وهكذا نلاحظ خلال العصر الهلينستى أن التمييز بين الغنى والفقر كان دائما هو الخط الرئيسى الواضح للتمييز بين الطبقات ومع ذلك يجب أن نشير الى أن المثقفين الجدد كانوا المواطنين الجدد الوحيدين فى العالم الهلينستى ، أما الطبقات الأدنى فقد تزايد فقدانها لحرياتها وتضاءلت أهميتها بالتدريج.

٤ - مكانة الملوك فى العالم الهلينستى :

كانت الملكية هى النظام السياسى الغالب فى العالم الهلينستى وهو نظام غير اغريقى وأن كان مألوفا عند المقدونيين والبلاد الشرقية التى انتصر عليها الأسكندر الأكبر . ومن المثير حقا أن نعلم أن الاغريق قد رضخوا لمقتضيات العصر وتأقلموا على النظام الجديد بل لقد تم هذا التأقلم بسرعة مذهلة رغم التنافر التاريخى بين الاغريق وتركز السلطة فى يد فرد واحد ورغم أنهم كانوا يصفون خلال العصر الكلاسيكى رعايا الملوك بالعبيد.

أننا نجد الاثينيين كمثال على هذا التأقلم لايكتفون بقبول ديمتريوس ملكا ولكنهم يقدسونه كاله بل كما يقولون "الآلهة الأخر بعيدون عنا ولا يمكنهم سماعنا ... ولايهتمون بنا ولكننا قادرون على رؤيتك لاكتمثال من الخشب أو الحجر، وأنما (نراك) وجها لوجه ... لذلك نحن نصلي لك ..." وبما أن الاثينيين ألهوا ديمتريوس فليس غريبا أنهم خصصوا مبنى معبد البارثنون كسكن له(١).

إن هذا التحول فى نظرة الاغريق الى الملوك لم تحدث فجأة ولكنها كانت نتيجة تطور الفكر الاغريقى مما جعل نظرية تروج فى العالم الهلينستى تقول بأن الالهة كانوا فى الأصل ملوكا ثم ألهوا فيما بعد.

وقد مهدت هذه النظريات الطريق أمام تاليه الملوك خاصة وأن ملوك العالم الهلينستى كانوا من الناحية العملية مجرر الفيض الروحى للبلاد الاغريقية المختلفة ومن ثم كانوا يقدسون كمنعمين ومنقذين يمكن الاعتماد عليهم في تدعيم مواطنى المدن ضد أعدائهم فهذا ديمتريوس ينقذ أثينا من يدى كاسندر، وبطليموس المنقذ (الاول) ينقذ رودس من يدى ديمتريوس وأنطيوخس ينقذ اغريق آسيا من قبائل الكلت.

واذا كان الاغريق فى حاجة فى اقلمة أنفسهم على قبول تقديس الملوك فان هذا الامر لم يكن يمثل مشكلة فى مصر . اذ أنها تعودت منذ

---

(١) Athenans , Deinpnosophistae II . 253.

قرون سحيقة على تقديس فراعنتها، وتتابع اعلان الملوك الهلينستيين آلهة وامتدت عبادتهم الرسمية في كل مكان في ممالكهم وأن كانت عبادة هؤلاء الملوك في العصر الهلينستي قد تميزت عن عبادة الممالك القديمة للوكها بأن عبادة الملك وتقديسه في العصر الهلينستي استندت الى الانجازات الشخصية للملك سواء كانت انتصارات كبرى أو اعمال بطولية أو مكاسب أنعم بها الملك على رعاياه . ولقد رأى الاغريق هذه الانجازات مبررا للملك لتأليهه.

٥- الادارة في الممالك الهلينستية :

كان يحيط بالملوك بلاط أرستقراطي وقد عرف عليه القوم في البلاط بأنهم قرابة الملك وأصدقائه. لكن الملك كان صاحب سلطة مطلقة لا تحدها مؤسسات دستورية ، وكان له الحق في نقل كبار الموظفين في مملكته أو اعفاءهم . وكانت إرادة الملك تصدر في صورة قرارات أو مراسم لها قوة القانون . باختصار كان الملك وبلاطه هم الدولة ولايمكن النظر للمملكة التي يحكمها باعتبارها مجتمعا يتمتع افراده بحقوق المواطنة مثلما كان الحال في المدن الدول أو الاتحادات الفيدرالية أو الجمهوريات . لقد كان الناس ببساطة رعايا الملك وكان بيده تقرير حياتهم وموتهم .

وأن كانت هذه السلطة مطلقة فان ذلك كان من الناحية النظرية

فقط ولكن من الناحية العملية فلم يكن الملك قادرا أن يدير مملكته الكبيرة الا من خلال نظام ادارى مركب وبالتالى كان الملوك الضعاف أو الكسالى يقعون تحت سيطرة المهيمنين على النظام الادارى فى المملكة كما كان الملك فى حاجة لتأييد الاغريق القاطنين فى تلك البلاد سواء عاشوا فى المدن أو المستوطنات أو فى الأقاليم الريفية. لقد كان هؤلاء الاغريق - بالاضافة الى جيش المرتزقة وموظفى الادارة ـ هم السند الرئيسى للملوك على الرغم من عدم ثقتهم فى ولاء الاغريق أو تقدمهم للمرن المادى والعسكرى عند الحاجة. لذلك فضل الملك أن يفرض على الاغريق بعض الضرائب ويستخدم الحصيلة فى ترتيب أموره دون أنتظار لمساعداتهم.

وبالنسبة للمواطنين فى الريف فقد اتخذوا موقف المقاومة فى كل الممالك ففى مصر مثلا كانت الاضرابات والثورات تجبر البطالمة على تقديم امتيازات للمصريين وتعيين مصريين أكثر فى داخل الحكومة(١). وفى الامبراطورية السليوقية استطاع البارثيون واغريق اسيا أن يكسبوا استقلالهم ويدعموه على حساب الحكومة المركزية. ولقد عانى الملوك السليوقيين أكثر مماعانى البطالمة بسبب وعورة تضاريس بلادهم والمسافات الشاسعة فى تلك البلاد (٢) وكثرة المدن الاغريقية فى امبراطوريتهم فضلا عن قوة

---

(١) للقراءة عن الثورات المصرية ضد البطالمة والاضطرابات التى كانت تحدث بين الوطنيين والمهاجرين فى مصر راجع:- P. Col66,P.Tebt.5&704,OGIS 54&90,UPZ1.8

(٢) راجع Polyb.XI.34 ويتحدث فيها عن الجهود التى بذلها انطيوخس الثالث لاستعادة مكانة دولته على الأقاليم الشرقية.

الارستقراطيات المحلية والدول الدينية. أما مصر فكانت بالنسبة للبطالمة أفضل وضعا بسبب عزلتها النسبية جغرافيا وانصهار عناصرها السكانية ولكن حتى في مصر فقد واجه البطالمة اعداءا شديدى المراس بين الكهنة المصريين وجماهير الفلاحين في الريف الذين لم يكفوا يوما عن النظر اليهم كغزاة أجانب. وحتى الاسكندرية العاصمة ذات السكان غير المتجانسين والتمردين فقد عانى البطالمة صعوبات كبرى. وهكذا واجه الحكام المزهرن كلهم مشاكل انسانية شديدة التعقيد.

1- الإدارة في مقدونيا :

لقد كانت مقدونيا اقرب الممالك الهلينستية الى نظام المملكة الدستورية ولقد أحيى انتيجونس جوناتاس التقاليد التى أرساها الأسكندر الاكبر وديمتريوس. صحيح أن انتصارات فيليب والاسكندر أدت الى تغييرات دائمة في البلاد. لقد دخل عنصر جديد الى السياسة المقدونية بضم فيليب لمدينه أمفيبولس ومدن اغريقيه أخرى على ساحل البحر كما أنشأ كاسندر مدينتين جديدتين هما كاسندريا وثيسالونيكى Thessalonice كما ضعفت الاستقراطية المقدونية لأن بعضها استقر في آسيا مع الفتوح هناك والبعض اشتركوا في مواجهة غزو الجلاتيين لقد كان بلاط جوناتاس مكانا لعمل مجموعة من النبلاء ولقد عاش المقدونيون حياة عائلية خالية من المنازعات التى شهدتها الاسرتين البطلمية والسليوقية.

ولقد كان الملك المقدونى يعتلى العرش بناء على قرار الشعب المقدونى ويمثله جيشه كما لم يسع الملوك المقدونيون الى تأليه أنفسهم على الرغم من أن بعض الملوك المقدونيين قد ألهوا فى مدن يونانية هنا وهناك بينما لم يؤلهوا أبدا بواسطة المقدونيين لا فى حياتهم ولا بعد مماتهم كما أنهم نادرا ما ضربوا نقودا تحمل صورهم قبل عصر فيليب الخامس.

وبالنسبة للإدارة فى مقدونيا تحت حكم أسرة انتيجونس فاننا لانعلم الا القليل جدا. ويبدو ان أغلبها سار على النظام القديم قبل العصر الهلينستى، واذا قورنت هذه الادارة بنظام الإدارة البطلمى فانها تبدو بدائية. ولقد ساعد صغر حجم المملكة على عدم وجود نظام مركب من أقاليم ومديريات الا أنه من الممكن أن تقسيم الرومان لمقدونيا بعد استيلائهم عليها الى أربعة أقسام كان تقريرا لواقع سابق سارت عليه(١).

من الواضح ان المداخيل المقدونية كانت محدودة اذ أن مناجم الذهب فى Pangaeum التى استغلها فيليب الثانى كانت قد توقفت عن الانتاج، كما أن ضرائب الأرض كانت لاتغل أكثر من مائتى تالنت وبما أن الفلاحين كانوا يتحملون الخدمة العسكرية فلا بد أنهم لم يطالبوا بالمزيد. وكانت عوائد الموانى قليلة وحجم التجارة صغير. وحتى الأملاك الملكية لاتبدو أنها كانت متسعة.

---

(١) Livy , XLV , 29 . 3-30 , 32 . 1-7 .

٧- بـــرجـامـــوم :

كان ملوك برجامرم لايقدسون فى حياتهم وانما يؤلهون بعد وفاتهم كما قدسوا بعيدا عن برجامرم فى عدد من المدن الاغريقية التابعة لهم. ولذلك كانوا أقرب الملوك الهلينستين الى ملوك مقدونيا.

ولكن بالنسبة للادارة فإن نظام الحكومة كان أقرب الى نظام أصدقائهم البطالمه أو منافسيهم السلوقيين اكثر منه الى نظام مقدونيا. فتحت حكم يومنيس الثانى اتخذوا نظام الادارة السليوقى فى الاقاليم التى اقتطعت من المملكة السليوقية فى آسيا الصغرى. ولكن روح حكمهم كان اقرب الى نظام البطالمة الذى كان ينظر الى مملكتهم باعتبارها بقرة حلوب تدر لهم المداخيل . ولقد زادوا من ثرواتهم بزيادة الضرائب والتدخل المباشر للدولة فى الاقتصاد. ولقد أنفقوا بسخاء كالبطالمة أيضا لتحسين صورتهم فى نظر الاغريق وبينما كانوا يضيقون على أنفسهم فقد انفقوا بسخاء لجعل برجامرم رائعة الحسن ومركزا للتعليم. وليس هناك ملوك كانوا أكثر كرما من ملوك برجامرم فى هداياهم التى قدموها الى المعابد فى بلاد الاغريق الأصلية(١).

---

(١) OGIS 329 & 651 وكذلك Strabo XIII . 4 . 1-2

٨-الدولة السليوقية :

لقد كانت الدولة السليوقية بالنظر الى اتساع اقليمها وتنوع سكانها أقرب ماتكون خليفة للامبراطورية الفارسية . لقد بدأت المملكة السليوقية بأقاليم شرقية عندما نجح سليوكس في اقامة حكمة على بابل وبعض الأقاليم الواقعة الى الشرق منها قبيل معركة ابسوس وانتهت المملكة ايضا بفقدها لكل أملاك خارج أملاكها الشرقية وهكذا بدأت وانتهت مملكة شرقية. ولكن معركة ابسوس اعطت لسليوكس واجهة بحرية وجعلت منه الخليفة السياسي لأنتيجونس الاول.

لقد ابقى سليوكس نظام الادارة الفارسي ، ولكن بنى فيه طرازاً متهيلنا للدولة(١).

لقد اخذ السليوقيون عن الاخمينيين النظام المركزي في الادارة، التي كانت بالتاكيد أفضل النظم مناسبة لمملكة لها هذا الاتساع وعدم التجانس البشري. وفي الأقاليم التي كان من الصعب السيطرة عليها وفي الأراضي التي كان الشعور القومي فيها قويا سمحوا لأسر محلية بأن يمارسوا حكما ذاتيا في مقابل ضريبة سنوية. ومنذ حكم انطيوخس الثالث فان معظم الهضبة الايرانية قد ذهبت الى أيدي ملوك مستقلين، اغريق

---

(١) IGLS VII . 4028 و OGIS 221-222 & 225
Sardis , Epigraphica III و Leyden , 1970 no 36.

وشرقيين ولقد كان خلفاء انطيوخس الرابع غير قادرين على منع اسرة المكابيين من الاستقلال.

وبالنسبة للأراضى التى كانت تحت حكم السليوقيين المباشر فقد إتبعوا على العموم النظام الفارسى بتقسيمها الى حوالى عشرين اقليما كبيرا احتفظت بالاسم القديم (ستراپيات). ولقد اتبعوا للاشراف على هذه الولايات نظام الطرق الملكية. ونظام البريد الذى كان أهم أدوات السيطرة الإخمينية والذى استمر يستخدمه الأسكندر الاكبر ثم أنتيوخس الأول.

وعلى الجانب الآخر أدخل السليوقيون نظاما جديدا بأن قسموا كل اقليم الى ثلاثة أو أربعة من الاقسام الصغيرة التى تسمى Eparchies (وكان العدد الاجمالى لهذه الأقسام الصغيرة فى مملكة السليوقيين هو ٧٢ قسما) وكان كل ايبارخى ينقسم الى عدد من الهيبارخيات Hyparchies كما لم ينفذ السليوقيون نظام الاخمينيين بتجميع الأقاليم الواقعة شرق الفرات فى إقليم واحد بعاصمة اقليمية. كما اختلفوا عن النظام المالى الفارسى بسحب الاختصاصات المالية من الولاة والموظفين المحليين الآخرين وركزوها فى جهاز مركزى مستقل. ويبدو أن دخل دولتهم فاق حتى دخل البطالمة. لان السليوقيين وأن كان عطاءهم محدودا بالنسبة للفنانين والعلماء الا أنهم كانوا مضطرين للانفاق باستمرار على امور الدفاع بسبب مشاكل حماية الحدود الطويلة للمملكة ووباء النزاعات الأسرية فضلا عن تكاليف مقاومة

الحركات الوطنية. وقد أدى هذا بالسليوقيين الى ضرورة ابقاء قوات كبيرة باستمرار جاهزة للقتال مع مايعنيه هذا من تكاليف لاحدود لها. لم يلجأ السليوقيون من أجل زيادة دخل دولتهم الى نظام احتكار الانتاج الذى اعتمده البطالمة. لقد كانوا يحصلون على دخلهم من مصادر ثلاثة رئيسية : الأول نسبة من الدخل مفروضة على اراضى الملك. ومن السيطرة على المناجم التى كانت أهمها يقع فى آسيا الصغرى وجبال طوروس. فضلا عن مبالغ محدودة كانت تدفعها المدن . وقد أدى هذا النظام المالى بالسليوقيين الى عدم ضرورة وجود هيئة موظفين ضخمة لجمع دخول الملك.

لقد أدخل السليوقيون تغييرات أخرى أهم من هذه التفصيلات على الادارة. لقد كان الملوك الاخمينيين قد سمحوا بتزايد نفوذ الكهنة لدرجة أنهم أصبحوا يكونون دولا داخل الدولة. مثل مدينة أورشليم وهناك سلطات معابد أخرى فى سوريا وآسيا الصغرى مارست نفس السلطة وقد حاول السليوقيون أن يحدوا من هذه السلطات.

ولكن السمة الخاصة للسليوقيين كانت أهمية البلديات فى داخل أملاكهم. فتحت الحكم الإخمينى تركت بعض المدن الدول قائمة فى فينيقيا مثلا ولكن دون تشجيع من الدولة على وجود مثل هذه المدن. ولكن منذ عصر الاسكندر الاكبر فان المنطقة السليوقية أصبحت الميدان الرئيسى للاستيطان الأغريقى. وبالنسبة لبناء المدن فان السليوقيين أنفسهم كانوا

روادا فى هذا . لقد أنشأ سليوكس الأول مستوطنات فى شمال سوريا وعلى طول الفرات الأوسط، حيث ظهرت مدن تحمل أسماء مقدونية مثل Chalcis , Edessa.الخ كانت مستوطنات للجنود المسرحين. ولقد أكمل أنطيوخس الأول جهد الاسكندر فى الأقاليم الشرقية بأن أنشأ مجموعة من المدن الاغريقيه على شكل حدوة الحصان فى أطراف الهضبة الفارسية الخصيبة. كما قام أنطيوخس الثانى بتشديد قبضته على خطوط الاتصال فى آسيا الصغرى بأنشاء سلاسل من المستوطنات، كما أعاد أنطيوخس الرابع تنظيم كثير من المدن القديمة فى سوريا وبابل. ولكن السليوقيين لم يكونوا مجرد كبار بناة المدن بين الملوك الاغريق، فلقد كانوا أيضا أكثر الملوك إقرار بحرية هذه المدن فى تسيير شئونها بنفسها.

وبالنسبة لتأليه الملوك فلقد كان السليوقيون بعيدين فى نظريتهم عن الاتيجرتيين فى مقدونيا والاتاليين فى برجامون . ولقد كان أنطيوخس الثالث أول الملوك السليوقيين الذين يقرون نظاما لتقديس الملوك فى المملكة.

٩- مصر البطالمة: الادارة العامة:

أن تاريخ مصر فى العصر البطلمى يختلف من حيث مصادره عن تاريخ البلاد الأخرى فى العصر الهلينستى . فبينما علينا لكى نتتبع

تطورات الحياة فى تلك البلاد أن تتسقط الأخبار عند هذا الكاتب أو ذاك وقد تجد سنوات طويلة من تاريخ تلك البلاد دون أن نعثر على خبر واحد عن أحوالها . ولكن الأمر مختلف بالنسبة لمصر اذ حفظت أرضها(١) كميات هائلة من أوراق البردى أغلبها وثائق رسمية أو شبة رسمية وبالتأكيد أن هذه الوثائق البردية لاتغطى بنفس الدرجة كل الأقسام الجغرافية لمصر ولا كل الفترات الزمنية أيضا : فاغلب هذه الوثائق تعود الى عصر بطلميوس الثانى وبطلميوس الثالث أو من القرن الثانى ق.م، بينما لانجد أى اشارات واضحة فيها عن السنوات الأولى لقيام دولة البطالمة فى مصر. كما نلاحظ أيضا أن اغلب هذه الوثائق قد اكتشفت فى أقاليم مصر الريفية خصوصا الفيوم ولذلك فأنها تغطى اهتمامات موظفى تلك الأقاليم ولا تشير الى السياسة العامة للدولة قصدا. ومع ذلك فهذه الوثائق تضم عدداً من المراسيم الملكية الهامة كما أنها تبين صورة عن العمل اليومى فى جهاز الادارة وهو الشئ الذى لانملكه عن أى دولة إغريقية أخرى .

لقد كانت ظروف البطالمة فى مصر افضل من ظروف السليوقيين فى سوريا . لقد حكم البطالمة وادى سهلى يضم سكانا متجانسين غير شرسين أو محبين للقتال.

---

(١) زكى على ، البردى تراث مصرى اصيل ، القاهرة ١٩٨٥.

وبالنسبة للادارة العامة للبطالمة فقد أبقى البطالمة تقسيم مصر الى نفس الأقاليم Nomes التى عرفتها أثناء العصر الفرعونى. ويبدو أن عدد هذه الاقسام كان حوالى أربعين قسما. وكان يرأس كل اقليم Nome قائد استراتيجوس Strategos الذى كانت وظيفته الأولى حفظ النظام، لذلك وضع تحت رئاسته قوة من رجال الشرطة بما فيهم عدد من الشرطة المتخصصة لحراسة النهر والطرق الصحراوية، وبالطبع كان يستطيع أن يعتمد فى حالة الضرورة على المستوطنين العسكر فى اقليمه. وربما كان القاضى الرئيسى فى حالات الجرائم . وكان له أن يكتب الى بلاط الملك فى الحالات التى يراها. هيئة معاونى الاستراتيجوس ضمت الابستاتيس Epistates الذى كان يبدو نائب القاضى، ورئيس البوليس Epistates Phulikon ومسجل كان يحمل اللقب الفرعونى الكاتب الملكى. وكان كل اقليم ينقسم الى عدد من المراكز Topoi يحكم كل منها حاكم للمركز توبارخو Toparchus وكان يحكم كل قرية من قرى التوبوس حاكم القرية كومارخيس Komarches ولها كتبتها وبوليسها. وفى القرن الثانى كان حاكم اقليم طيبه Epistrategos كان مكلفا بالاشراف العام على أرياف مصر العليا وادارة العمليات العسكرية فى ذلك الاقليم(١).

---

(١) J. P. Mahaffy , Revenue Laws of Ptaloemy philadelphus, (OxFord , 1896).

القضاء المدنى فى الإقليم كان مكلفا به نوعان من المحاكم Laocritae , Chrematistor وكانت الاولى محكمة فرعونية الأصل قضاتها من رجال الدين، الذين كانوا يفصلون فى المشاكل بين الوطنيين. أما المحكمة الثانية فكانت محكمة متنقلة قضاتها ثلاثة أو أكثر يدورون من اقليم لاقليم وينظرون فى القضايا التى تقع بين أطراف من الاغريق أو المتأغرقين، وفى القرن الثالث كانت تنظر القضايا التى ينتمى أطرافها الى جنسيات مختلفة أمام محكمة مختلطة، ولكن بالوقت أصبح المدعى هو الذى يختار للحكمة التى يرفع قضيته أمامها فى ضوء اللغة التى يجيدها ولقد كانت تقوم مرافعات فى المحاكم العليا، ولكننا لانعرف شيئا عن تنظيم تلك المحاكم .

وفى مصر حيث يمثل النيل قيمة عظمى فى حياة الناس كان لابد أن يوجد من يتولى اموره، ولقد وجد من عصر البطالمة الميكرين موظف سام هو Architeton كان مكلفا بمتابعة نظام الرى وكان ينفذ أوامره رسميون لهم نفس لقب وظيفته فى كل اقليم.

١٠- مصر: الادارة المالية:

ان اكثر أدارات الدولة البطلمية إحكاما كانت وزارة المالية والمعروف أن مصر كانت لاتحقق الا عوائد قليلة للدولة . ولكن الزعماء الذين ثاروا على الفرس فى منتصف القرن الرابع وتوجوا فراعنة نجحوا فى الحصول

على مصادر جديدة للدخل، وكليومنيس الوزير المكلف بمالية مصر من الاسكندر الاكبر استطاع أن يحقق ثروة كبيرة، ومع ذلك فهذا الرجل لايقارن ببطلميوس الثانى. اذا اعتبر هذا الرجل أكبر رجال الأعمال فى العصور القديمة فقد زاد مداخيله كما زاد من أملاكه ليزيد أيضا من مداخيله . على كل حال لقد طبق سياسة اقتصادية بالغة القسوة لكى يحصل على نصيب من كل حبة قمح أو نقطة زيت تنتجها مصر(١) .

ولقدكان البطالمة أسعد حالا من السليوقيين إذ أن تكاليف الدفاع كانت أقل حيث كانوا اقل حاجة لوجود الجنود المستعدين للقتال. وأن كان الاسطول الذى كان أكبر الأساطيل الهلينستية وأكثرها حمولة يكلفهم أكثر، كما كانت تكاليف الادارة فى دولة البطالمة أعلى منها فى أى دوله أخرى لان اعداد العاملين فيها كانت كبيرة جدا . وأخيراً كانت دولة البطالمة أكثر الدول الهلينستية اقبالا على احتضان النشاط الأدبى والفنى وأنفقت الكثير على الدعاية فى الميدان السياسى فى بلاد الاغريق وبحر ايجة.

لقد نجح بطلميوس الثانى فى إقامه نظام ادارى نجح فى جمع ثروة هائلة، كانت فى القرن الاول وبعد سنوات طويلة من البؤس يسيل لعاب السياسيين الرومان عليها . لقد ادخل أنواعا من الضرائب التى لم تعرفها

---

(١) Austin ,M., The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest . texts 222 ff

كل الدول القديمة بل وبعض الدول الحديثة . ونعرف من اوراق البردى المصرية والأوستراكا (شقف الفخار) التى كانت تكتب عليها ايصالات السداد نعرف ٢١٨ نوعا من أنواع الضرائب بعض هذه الضرائب يعود للعصر الرومانى ولكن مع ذلك فاذا وضعنا فى الاعتبار وجود أنواع من الضرائب خلال العصر البطلمى لم نتعرف عليها. فأننا يمكن أن نقول أن أنواع الضرائب خلال العصر البطلمى كانت حوالى مائتى نوع .

إن أكبر مصدر اعتمد عليه البطالمة للحصول على الدخل كانت الأرض الزراعية . فلقد اعتبرت الأرض ملكا للملك بحق الفتح وقد أجر الملك هذه الأرض للفلاحين . وفيما عدا السماح بتخفيضات دائمة بالنسبة لبعض العسكريين وبعض الأفراد المحظوظين وبعض الاعفاءات خلال سنوات أنخفاض فيضان النيل لمن أعتبرت الاراضى التى يزرعونها، كان النظام المعتاد هو الحصول على كمية محدودة من الحبوب على كل فدان محاصيل ونصيب من أنتاج كل حديقة وكذلك من أنتاج الخمر ، ورسوما على حقوق الرعى وبالنسبة للصناعة كان يتم تحصيل الرسوم للحصول على تراخيص بممارسة عدد كبير من الصناعات والتجارة، وكانت الرسوم الجمركية تدفع عند حدود مصر وحدود كل اقليم من أقاليمها، وكانت هناك واجبات تدفع بالنسبة للعبور والتسويق وحتى الخدمات قليلة القيمة مثل تعبئة القمح المقدم كضرائب وكذلك استخدام السلال لنقله لم تكن تقدم مجانا . لقد كان الاغريق والكهنة يعفون من الضرائب فى ضوء عدم

خضوعهم للعمل بالسخرة . وربما تحمل الاسكندريون الأكثر غنى عبء تسليح السفن الحربية . إن هذه العوائد الضخمة التى كان البطالمة يحصلون عليها من مصر يجب أن يضاف اليها المداخيل التى يحصل البطالمة عليها من أملاكهم الخارجية إن تقدير دخل بطليموس الثانى السنوى بـ ١٤٫٨٠٠ تالنت من النقود فقط ليس بعيدا عن الحقيقة رغم أنه مجرد تقدير .

إن جمع هذه الايرادات البطلمية استدعت وجود جيش من الموظفين فأن أعمال الاحصاء التى تسبق تقدير أنواع الضرائب وجمع الضرائب والرسوم والايجارات كلها كانت تحتاج الى اشراف عديد من الموظفين . وكانت هذه الأعمال جميعا تتم فى كل اقليم Nome تحت اشراف اثنين من اويكونموس Oikonomos أحدهما كان مكلفا بالأموال والآخر بالضرائب العينية وكان كلاهما تحت اشراف Antigrapheos الذى كان توقيعه ضروريا على كل شئ وكان هناك اثنين من الموظفين المسئولين عن التخزين Sitologos وكانت مسئوليته محدده بتخزين الانتاج العينى بينما كان Trapezites أمين الخزينه الملكية كان يتسلم الأموال . كل هؤلاء الموظفين كان يراقبهم المراقبون Epimelitae والحاسبون Eklogistrai وكان يقف على راس هذا النظام المالى Dioeketes وزير المالية(١) .

---

(١) من واجبات Oikonomos راجع P . Tebt . 703

وفيما عدا وزير المالية فأننا لانعرف الكثير عن كبار الموظفين في الحكومة. لقد كانت الاتصالات بين الاسكندرية والمدن الكبرى في الدولة تتم عن طريق البريد وكانت تضم نوعين من الاتصالات السريعة وكانت تنقل على ظهور الخيل والبطيئة وكانت تستخدم في نقلها الابل.

لم يكن النظام في الاملاك الخارجية بهذه الدقة. فأننا نعرف شيخا يدعى توبياس Tubias تركت له الحرية في اقليم العمونيين بل وكانت له سلطة على رجال الجيش المصرى الذين عاشرا في اقليمه(١) وكانت برته لها بعض الاستقلال في تسيير أمورها تحت حاكم يدعى حاكم ليبيا Libyarch(٢) وكان اتحاد الجزر في بحر ايجه يشرف عليه نائبا عن الملك البطلمى النيزيارخ (وترجمتها الحرفية حاكم الجزيرة) وكانت سلطته سلطة مقيم ومستشار اكثر منها سلطة عسكرى(٣).

ومع ذلك فهناك جوانب سلبية في الادارة البطلمية نرى صداها في المصادر الباقية . فالبيروقراطية تضرب أطنابها في هذه الادارة. ويتضح ذلك في استخدام الموظفين القسوة ضد العمال والتى تصل الى حد وضعهم في السجون دون محاكمة فضلا عن كثرة الشكاوى المقدمة في حق الموظفين وتظهر عدم كفاءة هذه الادارة في كثرة الاجراءات المطلوبة فقد طلب من

---

(١) Josephus , Jewish Antiquities XII 168-186 .

(٢) SeglX 1 .

(٣) OGIS 43 .

شاب افريقى مطلوب للجندية ٢٥ شهادة واجراء. وتظهر أيضا فى عدم الترافق بين المحاكم التى سمحت بتأخير العدالة . ويظهر تعقيد الادارة البطلمية فى تكليف أكثر من موظف واحد بالوظيفة الواحدة. واخيرا هناك أدلة على رفض الوطنيين لمثالب الادارة فثاروا لفترات طويلة طوال القرن الثانى، واضربوا عن العمل باللجوء الى المعابد ورفض زراعة أراضيهم الى أن تحل مشاكلهم.

٦- المدن الاغريقية والاتحادات الفيدرالية

المدن الاغريقية في العالم الهليستي :

كانت المدينة هي المكان الطبيعي للحفاظ على الشخصية الاغريقية في العالم الهلينستي، باستثناء مصر التي لم تعرف من المدن الاغريقية سوى ثلاث مدن هي الاسكندرية ونقراطيس وبطوليميس، وعاش الاغريق في قرى الريف المصري تجمعهم جمعيات Politeumata اتخذت من الجيمنازيا مقارا لها.

لقد اختار الاسكندر الاكبر نظام المدينة الدولة Polis لكي يكون الدعامة الرئيسية لتحقيق سيطرته على اقاليم واسعة من الامبراطورية الفارسية التي استولى عليها حديثا. ويقال أن الاسكندر انشأ سبعين مدينة وتبعه خلفاؤه في هذا الاتجاه ، فمثلا قام سليوكس الاول بانشاء ست عشرة مدينة تحمل اسم انطاكية وتسع مدن تحمل اسم سليوكيا وست مدن تحمل اسم لوديكيا وثلاث تحمل اسم أباميا ومدينة واحدة باسم ستراتونيكايا Stratoniceia وقد راعى سليوكس الاول تسمية هذه المدن باسم أبيه واسمه الشخصي وأسماء زوجاته على التوالي.

وعلى العموم قامت للمدن الاغريقية مؤسسات ديموقراطية . وكان لهذه المدن خلال الفترة الهلينستية على الأقل من الناحية الرسمية حكومات

على النظام الاثيني. لقد كان لهذه المدن مجالها الزراعي وجمعياتها، وكان لها موظفين ينتخبهم السكان بالاضافة الى عدد من الوظائف المستحدثة. وقد استمرت المدن تحدد فترة لشغل الوظائف يتم بعدها تغيير شاغليها وأن اختلف طول هذه الفترة من مكان الى مكان- كانت الفترة لمدة عام في كنيدوس مثلا- وفيما عدا بعض الاستثناءات لم تقتصر حقوق المواطنة الاغريقية - خلال العصر الهلينستي على الاوليجاركية القديمة. ورغم أن حق المواطنة ظل يمنح لكل من يثبت نسبه الى ابوين اغريقين، فأن كثيراً من غير الاغريق مارسوا هذه الحقوق من خلال الزواج باغريق أو بطرق أخرى.

كان التميز في المكانة السياسية بين سكان المدن يقوم بصفة رئيسية على أساس الثروة، وبمرور الزمن كانت الصيغة الديموقراطية المدن تفقد قوتها تدريجيا . لقد كان المجلس يتكون من اعضاء ينتمون الى الطبقتين الوسطى والغنية، كما أنحصر تعيين الموظفين الكبار في الطبقة الغنية حيث ساهمت المبالغ التي كان يدفعها الموظفون عند الالتحاق بالخدمة في حل مشاكل المدينة المالية . وهكذا اختلف الوضع عما كان عليه اثناء العصر الكلاسيكي عندما كان المواطن يثاب من خزينة الدولة على القيام بالخدمة العامة.

ومع حلول القرن الثاني ق.م كانت الديموقراطية قد ماتت من الناحية العملية، وأصبح تشكيل المجلس يتم على النسق الروماني في

تشكيل مجلس الشيوخ، المعروف أن القناصل كانوا يختارون أعضاءه ثم أصبح هذا من واجبات الكنسور Censor منذ عام ٤٤٢ ق.م .

ومن الناحية الاقتصادية، لم تكن المدن تملك دخولا سنوية كبيرة وعلى الرغم من أن هذه الدخول كانت كافية للقيام بالخدمات الرئيسية فى المدن وهى خدمات متعددة كامدادات الطعام وكانت المدن تحصل عليها عادة من الأراضى الزراعية الخاصة بها، وكانت الصناعة محدودة فى الغالب بأنتاج البضائع الرئيسية للاستهلاك المحلى. أما الواردات فكانت تضم بضائع الترف للأغنياء وأنواعا من الطعام فى اوقات الحاجة فضلا عن المواد الخام مثل المعادن والأحجار والأخشاب وكان ثراء المواطن فى المدينة يقدر بمساحة مايملكه من أراضى رغم أن بعض التجار والمهنيين كعلماء البلاغة والاطباء والرياضيين والمعماريين كانوا يحرزون ثروات طائلة فى بعض الاحيان .

أن قدرة المدن على البقاء طويلا والانفاق على الأعياد واقامة المبانى العامة وصيانتها وامدادات الطعام والماء فضلا عما كانت تنفقه هذه المدن على التعليم والصحة ووسائل التسلية. كل هذا يدعونا الى القول بأن المدن كانت تحصل على ايرادات لابأس بها كضرائب فضلا عن مساهمات الأثرياء بفاعلية فى دعم مدنهم بتقديم الهبات واقامة الاعياد والابقاء على المبانى العامة القائمة واقامة المزيد منها... الخ .

وتبعا للظروف التى سادت العالم الهلينستى تغيرت صورة العلاقات

بين المدن الاغريقية القديمة بصورة واضحة على الرغم من أن المدن نفسها بقيت كما كانت . فنلاحظ أن الوسيلة المتبعة لحل الصراعات المحلية هي التحكيم، وكان حق اللجوء السياسي يراعى بدقه كأحد آثار عصر استقلال المدن . وحاول الملوك اكتساب الجماهير بمنح هذا الحق لمدن معينة ومعابد بعينها. ونلاحظ أيضا أثر الطرفان السياسي الذى كان يحيط بكل شئ فى العالم الهلينستى أقول نلاحظ أثر هذا الطرفان فى تضاؤل حجم الصراع بين المدن فوجدنا مدنا تراقب على تحرير مواطنى مدن أخرى سقطوا فى رقها بالحرب أو بالشراء. وظهر ازدواج المواطنة كما حدث بين مواطنى أثينا ومواطنى بيرن Priene وبين مواطنى أثينا ومواطنى رودس . وبقيت الأعياد فرصة للاتصال بين المدن بل استجدت أعياد خلال العصر الهلينستى . واتسع نطاق استخدام اللجان القضائية من بعض المدن لحل الخلافات الداخلية فى مدينة ما.

الاتحادات الفيدرالية:

كان ظهور الاتحادات الفيدرالية فى بلاد الاغريق القارية واحدا من أهم التطورات أهمية ووضوحا خلال ذلك العصر. لقد كان المناخ العام مهيئ لظهور هذه الاتحادات منذ زمن طويل قبل أن تصبح لهذه الاتحادات ذات كيان سياسى قوى فى القرن الثالث ق.م فالتجمع الدينى القديم الأمفكتيونى الذى ضم عددا من الدول ارتبطت فى اتحاد بغرض العبادة

فى معبد مشترك كان صورة مبكرة من هذه الاتحادات . كانت اشهر هذه الامفكتيونات فى دلفى وديلوس . وكان غرض هذه التجمعات التى ضمت المدن الكبرى فى بلاد اليونان هو الحفاظ على العبادات والمعابد والى حد ما ارساء قواعد معينة فى التعامل بين أعضاء الامفكتيونى، وخلال الأعياد كانت تعلن الهدنة وينظر الى المعبد نفسه كملجأ. وكان القسم الذى يؤديه أعضاء امفكتيونى دلفى يضم العبارات التالية:

"... أن لايدمر أى مدينة عضو فى الامفكتيونى، أو أن يميتها جوعا، أو أن يقطع مياهها الجارية، سواء فى الحرب أو فى السلم، واذا خالف أى عضو هذه القواعد، فأنه يقف ضده وأن يدعو المدن الأخرى لذلك، واذا سرق أى فرد ممتلكات الاله أو اذا علم بمثل هذه السرقة أو علم بأى تخطيط ضد المعبد، أن يأخذ الثأر له باليد والقدم وباللسان وكل مايملك من قوة ".

وعلى الرغم من أن هذه المنظمات قد جمعت مدنا متفرقة فى اطار دينى الا أنها لم تصل الى حد كسر استقلال أى من هذه المدن وأقامة بدور حقوق مواطنة مشتركة بينها.

وبالمثل فأن المنظمات الأخرى التى قامت خلال العصر الكلاسيكى كالأحلاف الامبراطورية فى اسبرطة واثينا لم تصنع أكثر من وحدة ظاهرية وكانت كل دولة تحرس حقوق المواطنة فيها وتدافع عنها بمنتهى اليقظة.

والطريف أن التطور الجديد فى السعى نحو أقامة اتحادات فيدرالية

حقيقية لم تظهر فى أكثر أجزاء بلاد الاغريق تقدما وانما ظهرت فى أكثر الأقاليم تطرفا حيث كان المجتمع قبليا ومتخلفا وحيث لم تكن المدينة الدولة قد أصبحت النظام الدستورى السائد.

كانت أهم هذه الاتحادات : العصبة الايتولية التى تقع فى غرب ووسط بلاد الاغريق . وقد تكونت هذه العصبة فى القرن الرابع على أنقاض منظمة قبلية مفككة . نص دستور هذه العصبة على وجود مجلس اتحادى بالتمثيل النسبى للقرى والمدن، وهناك جمعية شعبية مفتوحة لكل المواطنين، وكانت تجتمع مرتين فى العام (١).

وهناك اتحاد فيدرالى آخر قام فى شمال شبه جزيرة البيلوبونيز هو العصبه الآخية. وقد ظهرت هذه العصبة كقوة متميزة فى القرن الرابع وضمت فى أحد الاوقات مالايقل عن ستين مدينة وقرية وكما كان الحال بالنسبة للعصبة الأيتولية كانت هناك جمعية شعبية تعقد اجتماعات غير دورية ولكن يصبح الاجتماع حتما عندما يبحث شئون الحرب والسلم والتحالف . وكان التصويت يتم بالمدن التى من المحتمل أنه كان لكل منهما عدد من الأصوات ويتم داخل كل مدينة تقرير الرأى الذى على

---

(١) عن نشأة العصبة الايتولية راجع Larsen,Greek Federal States Oxford,1968 وعن دستور هذه العصبة راجع Polyb.XX.9-10 وعن علاقاتها بالاسكندر راجع: Diod XVIII . 8 وعن علاقاتها بالعصبة الآخية راجع: Polyb II 37 وعن علاقاتها بروما راجع: Livy XXVI 24 وعن علاقاتها بأنطيوخس الثالث راجع: Polyb XVIII & XX-XXI وعن علاقاتها ببرسيوس راجع: Syll.3.643

مندوبيها فى المجلس الاتحادى أن يعلنوه . وكان هناك مجلس آخر لانعرف على وجه الدقة دوره أو تشكيله(١).

على كل حال نظمت هذه الاتحادات الفيدرالية أسلوب ممارسة مواطنيها لحقوقهم السياسية داخل حدود الاتحاد، فكان لهم فى هذا الاطار أن يتحركوا فى حرية ويحرزوا ملكيات شخصية ويتزوجوا ممن يرغبون. أما المشاكل الداخلية فقد تركت لكل دولة لكى تحلها بمعرفتها ولكن العلاقات الخارجية والأمور الحربية فكانت مسئولية حكومة الاتحاد سواء من خلال الجمعية الشعبية للاتحاد أو المجلس الاتحادى . وكان ينظر الى الخدمة العسكرية فى جيش الاتحاد نفس النظرة للخدمة فى جيش كل دولة على حدة . وكانت الضرائب تدفع لكل من الحكومة الاتحادية والمدينة الأم .

ولعل أهم انجازات هذه الاتحادات أنها استطاعت أن تقاوم الملوك ومغامرو العصر الهلينستى بينما سقطت المدن الاغريقية العريقة مثل أثينا فريسة سهلة فى ايديهم . لقد حافظت هذه الاتحادات على شئ من الحكم الذاتى للمدينة مع تمتعها بميزات الحكومة الاتحادية ومع ذلك فأن اسهام هذه الاتحادات لم يكن واضحا فى غير ميادين السياسة والحرب ، وكان

---

(١) أما عن النصبة الآخية فإن ماكب بوليبوس يعتبر مصدرنا الرئيسى حيث كان من مدينة مغر فى هذه النصبة كما كان أحد رسل النصبة الى روما فى إحدى المفاوضات. ويمكننا أن نراجع عن تاريخ النصبة ودستورها وحكومتها. Ployb . II . 37 & XIII . 51 & XLII . 12 & XXIX Livy 6 ونعرف عن إنظمام أعضاء لها من فضلاً من بوليبوس. أما عن حربها ضد الرومان فراجع: Livy XXXVIII, 34 . Plutarch , Cleomenes , 16 . Pausanias III , 16

وقوع هذه الاتحادات مادة فى صراعات روما القوة الصاعدة فى الغرب وممالك الشرق الهلينستى سببا فى سقوط هذه الاتحادات قبل أن تقدم أنجازات ثقافية واسهامات حضارية متميزة، وأن كان لايجب أن ننسى أن بوليبيوس أعظم مؤرخى العصر الهلينستى كان من العصبة الأخيـــــة.

٧- الحياة الاقتصادية في العصر الهلينستي

أولا: الزراعة:

لقد زادت معلومات الاغريق عن النباتات بعد فتوح الأسكندر ، وقد ظهر أثر ذلك في اعمال Theophrastus عالم النبات(١) . ويمكننا أن نقول أن ملوك برجاموم هم أهم من احتضن جهود دراسات النباتات . ولكن الخبرة العملية كانت مصر أهم حقولها . ولقد أثبت البطالمة الأول والثاني أنهم أهم من استغل الأرض في تاريخ الاغريق . بالاضافة الى حفر الترع وتطهير القنوات فقد اهتم البطالمة باصلاح الأقاليم التي اهملت خلال حكم الفرس . ولقد كان أهم أنجازاتهم هو اصلاح الأراضي في الفيوم التي اصبحت أهم مناطق الاستيطان الاغريقي وقامت مئات من القرى التي يحمل اكثر من نصفها أسماء اغريقية . لقد اتم البطالمة الأول تجفيف نصف بحيرة موريس (قارون) تقريبا، وتشير البرديات الى مدى الجهد الذي بذل من أجل اتمام ذلك فهذا ابن كليون كبير مهندسي الري في الفيوم يرجو أباه أن يعمل ما في وسعه لقضاء أجازته معهم في الاسكندرية (برديه تعود الى عام ٢٥٥ ق.م).

---

(١) تيوفراسطوس ٣٧٢-٢٨٧ ق. م كان تلميذا لأرسطو تزعم مدرسة المشائين من بعده. وقد الف في موضوعات متعددة وان برع في النبات.

كانت الدولة تدفع بهذه الأراضى المستصلحة الى الفلاحين لكى يقوموا بزراعتها بضرائب قليلة الى أن تتحسن حالتها، كما كانت تعفى الأراضى التى تضار بزيادة أو نقصان الماء أو تتعرض لاى اضرار من الضرائب المفروضة عليها لمدة ترى أنها تتناسب مع الاضرار فضلا عن أن الدولة كانت تسمح بتملك من يقوم باصلاح أراضى لهذه الأراضى بعد أن ينجح من تحويلها من أرض بور الى أرض تزرع أفضل المحاصيل.

كانت الدولة تشجع زراعة محاصيل معينة بأن تمنحها اعفاءات ضريبية مثل الكروم والورد والخضروات والفاكهة . فضلا عن الحبوب التى كان المصريون خبراء فيها من أزمان سحيقة . كما أدخلت الدولة أنواعا من النباتات الجديدة . مثل تين خيوس وليديا ورمان بدون بذور ومشمش يثمر مرتين فى العام وعنب أسود من كيليكيا وكرنب من ردوس كما تعرف نباتات البرسيم والبسلة والحمص والترمس.

لجأت الادارة البطلمية الى السخرة فى أعمال الحصاد وأقامة الجسور وشق القنوات وحفر المصارف . وأن كان المؤكد أن هذا العمل الاجبارى فرض على ضعفاء المصريين فقط . ونعرف من إحدى الوثائق أنه كان يعفى من السخرة من كان يتمتع بهذا الاعفاء كحق قديم والعاملون بالاسطول وصيد الفيلة وبعض طوائف الشرطة والمشرفون على الدخل الملكى والجنود الاغريق وبعض العاملين بالتحنيط والشيرخ والمرضى . وقد زاد من سوء هذا النظام أن بعض الاداريين استغلوه لمصالحهم الخاصة

بتشغيل المسخرين فى أعمال خاصة بهم . وقد نهى بطليموس الثامن عن ذلك فى عام ١١٨ ق.م وهو دليل على تفشي هذا الداء.

وقد أهتم البطالمة بالمراعى لكى يوفروا العلف لخيولهم ويوفروا الصوف لمصانع النسيج . ومن ثم زادت الأراضى التى زرعت بأعشاب المرعى وتم استيراد قطعان من الأغنام من مليتوس لهذا الغرض.

أما فى الممالك السليوقية والأتالية (برجاموم) فقد بقيت الزراعة فى أيدى الوطنيين . ولكن اينما ذهب المستوطنون الاغريق اخذوا العنب معهم من أجل صناعة الخمر حتى أنها اصبحت صناعة مزدهرة فى فارس . ازدهرت زراعة الكروم والزيتون فى المراكز القديمة فى المنطقة الايجية . وهكذا ظلت خمور ثاسوس وكنيدوس وكوس ورودس بدون منافس وكذلك زيت الزيتون من الساحل الغربى لآسيا الصغرى . ولقد أدى جمال النوعية الى اختراق الحواجز الجمركية فى مصر، وقد وجدت هذه المنتجات طريقها حتى الى بلاط الممالك الهندية . أما الأنواع الأقل فكانت تباع فى أسواق البلقان(١).

ثانيا : الصناعة:

لقد سارت الصناعة فى طريقها باسلوبها القديم . وأفضل الأختراعات التى عرفت فى ذلك العصر هي لولب أخميديس (الطنبور)

---

(١) M. Cary , OP. Cit PP. 291 FF .

والتى ساعدت على رفع المياة من المناجم . لقد كان أفضل منتجات الحرف الاغريقية هى أعمال السيراميك وأن كانت تنافسها جزئيا الزجاج وأطباق الفضة . ولقد ظهر أيضا سوق كبير للنسيج من الأصناف الراقية صحيح استمر الصوف هو مادة اللبس الرئيسية، ولكن اصبح هناك عشاق للحرير، وقامت صناعة جديدة للنسيج فى كوس تعتمد على الحرير الطبيعى البرى من آسيا الصغرى . أن اتساع مجال التعليم ووعاء القراءة ادت الى زيادة انتاج البردى والكتب . كما تزايدت صناعات البناء واستغلال المحاجر مع زيادة الاستيطان الاغريقى واتساع مداه .

وبينما لم تتعرض مراد الصناعة لتغيير كبير فقد حدث تغيير كبير فى مراكز الصناعة ففى بلاد الاغريق القارية بقيت أثينا هى المركز الرئيسى لصناعات السيراميك حتى حوالى ٢٥٠، ولكن القليل سمع خلال الفترة الهليستية عن الانتاج الكورنثى فى البرونز . وبين الاغريق فى ايطاليا فقد كان أهل تارنتوم أصحاب السمعة فى أنتاج أفضل المنسوجات ، كما أنتجوا أنواع الفخار الجيد الذى كان قد توقف أنتاجه فى منطقتهم وبين المدن الاقدم ظلت ميليتوس مشهورة بالثياب الجيدة ولكن ظهرت مراكز جديدة لصناعة النسيج فى برجامم، التى اهتم ملوكها بتلك الصناعة وكذلك فى Laodicia التى تقع بالقرب من المدن الفريجية، المركز الرئيسى للمادة الخام . ولكن كانت الاسكندرية أكثر المدن الصناعية حركة وأنتاجا، حيث كانت حتى العمل قد لحقت بالناس، وبالاضافة الى صناعة الورق التى

كانت مصر بحكم الطبيعة هى المحتكر لها . فقد تطورت الصناعات المصرية القديمة كصب وقطع الزجاج وتلوين الزجاج ولقد أصبحت المركز الرئيسى لفن صناعة الفضة . بينما كانت المصنوعات الحرفية قد أنتشرت فى قرى مصر وصدرت حتى البحر الأسود. لقد كان الزجاج والفضة لهما مركز مهم آخر فى سوريا . وهكذا كانت احدى مميزات العصر الهلينستى هو امتداد صناعات اغريقية الى عواصم الهلال الخصيب.

أن أثر الانتصار المقدونى على الصناعات الشرقية يمكن دراسته بصورة جيدة فى المثل المصرى . هنا كان يوجد نظام متكامل من الصناعات الريفية والصناع المهرة والنظم الدقيقة بالاضافة الى ذلك هناك نوعيات من الصناعات، على وجه الخصوص نسيج الكتان التى كانت تتم تحت رعاية المعابد . أن الهجرة الاغريقية لم تحدث الا تغيرا طفيفا على نظريات الصناعة الوطنية. ومن الجدير بالذكر أن العمال الوطنيين الذين كانوا سادة صغارا أو عمالا أحراراً . لم يتم استبدالهم بعمالة من العبيد تحت الادارة الاغريقية. صحيح أن أبولونيوس (وزير مالية بطلميوس الثانى) افتتح مصنعا فى مفيس يعمل به عمال غير أحرار أحضروا من سوريا، ولكن فى الفيوم كان نفس الرجل يعطى صناعة الصوف الى المصريين الأحرار بالانتاج (بالقطعة) ولايمكن أن نؤكد أن تجربته فى عمالة العبيد عاشت طويلا.

أن الصناعات الوطنية فى مصر لم تتضرر بمنافسة أصحاب رءوس

الأمراك الاغريق، لقد وضعت هذه الصناعات تحت الادارة الدقيقة للدولة . وكثير من الصناعات المصرية تحولت الى احتكارات للدولة، حيث كان يجب على كل الصناع أن يحصلوا على تصريح خاص، بينما كان على البعض (عمال صناعة الصوف مثلا) كانوا مطالبيين بالحصول على اذن بدخول الصوف الى الدولة أنتاج الزيت كان ممنوعا كليا فيما عدا مصانع الحكومة حيث ربط العمال الى صناعاتهم كعبيد ووضعوا تحت نظام اشراف قاسى . نفس النظام كان منفذا فى المحاجر والمناجم، كان على العمال أن يبقوا فى مراكزهم لفترات محددة، وفى مناجم الذهب فى النوبة كان الرجال والناس من كل الاعمال يوضعون فى السلاسل معا ويظلون فى أعمالهم الى أن يموتوا . ولكن لايمكن الخروج من هذه الوضعية بأى تصور عن حالة العمال حيث كان العاملون من أسرى الحرب.

إن الخبرة البطلمية فى أقامه المصانع برأس مال حكومى تم تقليدها فى برجامون، حيث صنع الاتليون النسيج الراقى بعمال من عبيد الدولة وربما أيضا فأن صناعة (الرق) التى أقاموها لكسر الاحتكار المصرى لصناعة البردى تعتبر دليلا على التدخل . لقد قدم العالم الهلينستى ايضا عدة أمثلة عن ملكية البلديات لصناعاتها . فمدينة ميليترس مثلا كانت ورش النسيج فيها وعمالها من العبيد. رودس وكنيدوس أنتجت فى مصانع المدينة الجرار التى احتاجها تجارهم فى تجارتهم المتسعة للخمر . وحتى اسبرطه اشتركت هى الأخرى لأن القرميد الذى استخدمه الطاغية Nabis

لتقوية المدينة ثم فى مصنع عام.

ثالثا : النقـــــل :

لم تشهد المواصلات البرية تطورات كبيرة خلال العصر الهلينستى فقد ظلت الطرق المهدة فى بلاد الاغريق نادرة (١) كما كانت دائما وفى آسيا فأن السليوقيين والأتاليين استغلوا طرق الامبراطورية الفارسية القديمة(٢) وفى مصر جهز البطالمة الدروب الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر بأقامة استراحات تتوفر فيها المياة ورجال الأمن بل وشكلوا قوات خاصة لتأمين القوافل، كما كان لديهم خبراء فى النقل بالابل ومع ذلك يجب الاعتراف بأن الحركة على الطرق البرية والتسهيلات التى عرفها العصر الهلينستى لايمكن مقارنتها بما وصلت اليه على أيام الرومان .

ومن ناحية ثانية اهتمت الحكومات الهلينستية بالموانى فالاسكندرية مثلا كانت نقطة لقاء بين التجارةالنهرية والبحرية . فقام ميناء نهرى على البحيرة (مريوط) ثم حفرت قناة بين البحيرة والبحر المتوسط وأقيمت

---

(١) عن وصف البلاد الاغريق وطرقها خلال القرن الثالث ق م راجع:
Heraclides Creticus (?) Ced . F . Pfister , Die reisebilder des Heracleides (Vienna , 1951.)

(٢) . . . وبالنسبة للطرق فى أقليم (المدينة) فالطرق الرئيسية لن يقل عرضها عن ٢٠ كوبت (Cubit) لحوالى تسعة أمتار (والطرق الأخرى لن تقل عن ثمانية (أكثر من ثلاثة أمتار ونصف بقليل)، الا إذا كان بعض الناس يستخدمون المدقات للاتصال بجيرانهم. . .
Austin . , OP . Cit NO 216 LL 20-30 .

التسهيلات للاقامة على الجانبين وأقام Sostratus مهندس بطليموس الاول فنار الاسكندرية المشهور وهو برج عظيم يقال أن ضوءه كان يظهر للسفن على بعد ثلاثين ميلا وعلى الرغم من أن أسوار الاسكندرية كانت بغير منافس فى البحر المتوسط القديم، ماعدا فى أوستيا أيام الأباطرة الرومان، فانها قد قلدت بأحجام أصغر فى كثير من الموانى الاغريقية الأخرى.

شهد العصر الهلينستى أيضا زيادة حمولات سفن البضائع حتى أصبحت حمولة ١٠,٠٠٠ تالنت وزن (أى ٢٥٠ طن) للسفينة حمولة عادية . هذا بالاضافة الى توفر تقارير موثوقة بها معلومات عن الموانى كذلك التقرير الذى كتبه ثيمستكليس . وبالرغم من أن ظروف الملاحة على العصر الهلينستى صارت أفضل فقد ظل الاغريق لايبحرون فى الشتاء ولكنهم فى الصيف كانوا يقومون بمغامرات يطرقون سبلا غير معروفة من قبل .

وبانتصار الاغريق على مصر وميزوبوتاميا أصبحوا يتحكمون فى مركزين هامين للملاحة النهرية . وفى ميزوبوتاميا لم يتم السليوقيين مشروع الاسكندر بأنشاء ميناء على الفرات فى بابل لكنهم أنشأوا ميناء نهريا كبيرا فى سليوكيا على نهر دجلة وكان يصل اليها حتى الهند . وفى مصر وجد البطالمة نظاما قائما للملاحة النهرية، وقد استمرت حركة الملاحة فى النيل على ايامهم فى أيد وطنية . ولكن حركة المرور على صفحة النهر زادت . لقد جمعت أغلب انتاج مصره فضلا عما جاءت به القوافل من البحر الأحمر فى طريقها الى الاسكندرية لاعادة تصديرها . قدم الملوك

البطالمة الأساطيل التى احتاجتها زيادة حركة الملاحة النهرية وأجروا هذه السفن لمن يستغلها من الوطنيين .

وفى الغرب استمر احتكار قرطاج للتجارة البحرية. ولكن بعد عام ٢٠٠ ق.م حلت مدينة نصف ايطالية Puteoli محل تارنتوم وسيراكوز كأهم مركز للتجارة الشرقيه مع ايطاليا . وحلت ديلوس محل أثينا كأهم مركز تجارى فى المنطقة الايجية، وأصبحت المركز الهام لتجارة القمح وبقيت التجارة الاغريقية على البحر الأسود قائمة فى القرن الثالث وفيما عدا منافسة القمح المصرى، فأن القمح القادم من مناطق شمال البحر الأسود (روسيا الحالية) كان مايزال يجد أسواقا جيدة فى الأراضى الايجية الى أن أضيرت أراضى القمح بالهجمات من الداخل . أما افسوس فقد اكتسبت أهمية كنقطة النهاية للطريق البرى القادم من قارة آسيا وأصبحت رودس مركز التجارة البحرية من منطقة الهلال الخصيب فى المنطقة الايجية والبحر الأسود وصقلية.

وتعود أهمية الأسكندرية الى أنها مكان تصدر فائض انتاج مصر كما كانت نقطة اللقاء بين البحر المتوسط والتجارة الشرقية. وعلى الساحل السورى كانت صور و صيدا وعلى الرغم من أنهما كانتا هامشيتين بالنسبة للاسكندرية، لكنهما قامتا بدور بالنسبة للتجارة البرية العربية والهندية أما التطور التجارى لانطيوخ فقد توقف فى القرن الثالث بسبب سقوط ميناءها سليوكيا فى أيدى البطالمة، ولكنها أخذت دورها الطبيعى فى القرن الثانى

كنقطة النهاية فى التجارة بين ميزوبوتاميا ومنطقة بحر ايجة أما سليوقيا على نهر دجلة قد أصبحت مركز التقاء تجارة الخليج . أصبحت على أيام الرومان المحطة الرئيسية بالنسبة للطرق البرية لاتصال القارات الى الهند والصين. ولكن لعل هذه الطرق لم تكن قائمة على العصر الهلينستى . لقد أدى تدمير كورنثا فى عام ١٤٦ ق.م الى انتهاء مركز هام قديم للتجارة الاغريقية . وقد أصبحت ديلوس فى القرن الثانى مركزا للتجارة من فلسطين وحتى من بلاد العرب ونقطة تجميع تجارة العبيد لايطاليا.

٨ـ الـــديـــــن

(١) المعبـــــودات :

واجه الاغريق بعد أن انتشروا فى العالم فى أعقاب حملة الأسكندر واجهوا صعوبة شديدة بالنسبة لمعبوداتهم فقد كان من الصعب على آلهة الاغريق أن تترك بلادها الأصلية وأن تسير فى أعقاب عبادها شرقا ارتبطت هذه الآلهة منذ أزمان سحيقة بأماكن ومدن معينة فالإلهة أثينا مثلا ارتبطت بالمدينة أثينا وارتبط ابوللو بدلفى وافروديتى بكورنثا.

ولقد تعود الناس فى بلاد الاغريق على النظر الى الآلهة الاوليمية على انها معبوداتهم الشخصية الحامية لهم وتعودوا أيضا على أن الآخرين يعترفون لهم بهذا فأثينا رغم أنها كانت تعبد فى أماكن متعدده الا أنها ارتبطت بالمدينة التى استعارت اسمها ، لقد قامت هذه الالهة بأعمال خاصة لأثينا (المدينة) وخصص الأثينيون من أجلها هى فقط معبد البارثينون كما خصصوا الأعياد على شرفها(١).

لقد كانت هذه الالهة حاضرة مع الأثينيين عند نشأة المدينة وكانت معهم (خلال كل محاولتهم وانتصاراتهم ولم يكن هناك طريق لنزع مثل هذا الارتباط بأثينا فى مكان آخر).

---

(١) فرنى مكارى ، المرجع السابق.

صحيح كان الاثينيون المهاجرون اذا رغبوا فى عبادتها كان فى مقدورهم أن يقوموا بذلك ولكن لم تكن هناك فى المهاجر معابد أقيمت على شرفها هى فقط ولا احتفالات اقيمت لها على مدار السنة لكى تذكر الناس بالإهتمام، بالاضافه الى ذلك فأن المدن الجديدة فى الشرق ازدحمت بمهاجرين من مختلف العالم الهلينستى جاء كل منهم ومعه إلهه المختلف فلم يعد هناك مجتمع بسيط متجانس يعتقد كما كان الاثينيون يعتقدون بأن زيوس وأبوللو كانا من اسلافهم المقدسين وأن الإلهة أثينا كانت إلهتهم . لقد كانوا قادرين على عبادتها كما قلنا ولكن من خلال جمعيات دينية خاصة يزمن أعضائها بوجوب إقامة المعابد لها وليس لاى اله أو الهة أخرى مثل هذه الجمعيات كان الانضمام اليها اختيارى وشخصى كلية وعلى عكس الحال فى مدينة أثينا التى كانت عبادة الالهة أثينا جزءاً رئيسيا من حياة المدينة فيها والتى يربط بها كل واحد هناك.

وفى المدن الجديدة ـ ونظرا لان مثل هذه العبادة كانت أمرا قائما على الرغبة الشخصية ـ فقد اصبحت الجمعيات التى كونت للاهتمام بهذه العبادة واحدة من أهم المعالم الرئيسية للعالم الهلينستى وواحدة من أهم المتغيرات الجذرية تطرفا.

وفى العالم الجديد الواسع متعدد الخصائص المغاير تماما للنظام الذى اعتاده فى القديم الذى كان يتميز بصغره ومحدوديته . فى هذا العالم الواسع تشتت الاغريق فى مصر مثلا حيث لم يسمح البطالمة ببناء اى

مدن اغريقية غير المدن الثلاثة الكبيرة. عاش الاغريق مشتتين فى مستعمرات فى الريف وبالضرورة دخلوا فى اتصال وثيق مع الوطنيين وعلى الرغم من أن السليوقيين شجعوا بناء المدن فى ممالكهم وبالتالى مكنوا المهاجرين من التجمع فان المدن الجديدة أقيمت بكثرة بالقرب من أو على نفس الموقع الخاص بقرى ومدن شرقية قديمة فمثلا سليوكيا على نهر دجلة أقيمت بالقرب من أوبيس Opies وهى قرية وطنية قديمة كما أن مؤسسها سليوقس الاول نقل اليها عددا كبيرا من سكان مدينة بابل القديمة وانطيوخ نفسها أقيمت فوق موقع مدينة قديمة(١).

وهكذا كان هناك اختلاط قوى بين العنصرين الاغريقى والوطنى وسواء شاء الاغريق أو لم يشاءوا فقد كان من الضرورى عليهم أن يهتموا بالالهة الذى سكنوا فى ظل رعايتها.

كانت هناك عدة طرق للاغريق يجب اتباعها لتقديم واجبات الاحترام والتقديس للالهة الحقيقيه لهم فالبعض يقدمون احتراماتهم من خلال الكهنوت الرسمى القائم: على سبيل المثال أن يقدموا القرابين أو الصلوات على شرفهم أو كان يمكنهم أن يربطوا الالهة الشرقية بالاغريق كما كانوا يفعلون لقرون سابقة ثم يعبدون الإلهة الاغريقية نفسها فى صورتها الشرقية

---

(١) أسسها سليوقى الاول عام ٣١٢ ق.م . أصبحت مركزا كبيرا للتجارة بين الشرق والغرب. أبقى عليها البارثيون بعد فتحهم لبابل . تعرضت للتخريب مرتين أثناء العصر الرومان وكانت المرة الأخيرة فى عام ١٦٤ حيث دمرت تماما .

وهكذا اصبح تحوت المصرى هرميس وعشتروت السورية افروديتى Aphrodite وكل الهة العواصف والسماء ، أصبحت زيوس Zeus وفى بعض الأحيان قامت جسور بين العواصم الاغريقية والشرقية عندما نعلم أن بعض الكهنة تعلموا اللغة الاغريقية وحاولوا الاتصال مع غزاتهم المنتصرين وهكذا نرى الكاهن البابلى بيروسوس Berossus والكاهن المصرى مانيتون يقومان بترجمة وتفسير النصوص الدينية المصرية والبابلية باللغة الاغريقية كما نجد سلسلة من المدافعين عن اليهود يبدأون بديمتريوس فى القرن الثالث ق. م حتى يوسف فى القرن الأول الميلادى يحاولون أن يوضحوا العقائد اليهودية. ويدافعون عنها أمام الاغريق وفيما بعد أمام الرومان .

رغم كل هذا كان هناك شيئا مفقودا بالنسبة للاغريق فبقيت الالهة الشرقية شرقية يخدمها كهنوت أجنبى بينما كان الأغريق فى حاجة الى تغيير يدفع احساسهم بالغربة بعيدا ويسمح للاغريق بأن يعتقدوا انهم يقدسون آلهة بلادهم الجديدة. كان هذا بالرغم من تطورات كثيرة حدثت فى عبادات من أشهرها كابيل Cybele وعشتروت وأدونيس وأتس Attes الا أن أكثرهم نجاحا كان الثلاثى الجديد سيرابيس Serapes وايزيس Isis وابنها هربوقراطيس Harpocrates كان سيرابيس مزيجا من الاله المصرى أوزوريس إله العالم السفلى والخصوبة والعجل المقدس ابيس. ظهر هذا الاله إلى الوجود على يدى بطليموس الأول بمساعدة الكاهن المصرى مانيتون وديمتريوس من فاليرون Phaleron وتيموثينوس (بثينس)

Timothenos وهو احد العرافين فى معابد أسرار ـ اليوسس وقد اشترك مع سيرابيس الالهة ازيس زوجتة وهربوقراطيس ابنه وأحيانا اضيف اليهم انوبيس. هذا الخليط فشل فى اقناع المصريين الذين بقوا مشدودين الى الصور القديمة لالهتهم ولكنه حقق نجاحا هائلا بين الاغريق وفيما بعد انتشر هذا الثالوث فى كل مكان من العالم الاغريقى والرومانى .

كان ينظر لسيرابيس كاله رحيم طيب لا يعاقب عباده وكان تمثاله فى معبد سيرابيوم الذى نعرفه من خلال نسخ له وتقارير أدبية عنه تمثال لرجل كث (ذو لحيه ثقيلة) اللحية داكن اللون مزين بالفضة والذهب والاحجار الكريمة مثل الزمرد والياقوت الأزرق وعلى رأسه تاج على شكل سلة لكيل الحبوب كرمز لسيادته على الأرض.

كان سيرابيس الها غامضا مهيبا ولذلك كان له سحر خاص عند كل الاغريق والرومان .

بدأت العبادة الجديدة على مستويين، بالنسبة لاغلب الناس كان سيرابيس إلها جذابا يمكن عبادته والصلاة له فى كل مكان من خلال الجمعيات الدينية أو من خلال الهياكل الخاصة بينما كانت هذه العبادة بالنسبة لمجموعة خاصة من اصحاب الحاجة أو الرغبة فى الاستغراق الدينى(١) كانت هناك أسرار ايزيس زوجة سيرابيس وكانت الاحتفالات

---

(١) Tacitus , Histories IV . 83-84 .

والطقوس الخاصة المرتبطة بهذه الأسرار من اختصاص هذا الثالوث الاغريقى المقدونى المصرى الذى قدم بنجاح عبادة سيرابيس.

فقد كان الاغريق بالفعل متعودين على الديانات الغامضة الملينة بالاسرار مثل تلك العبادة المحبوبة جدا اليهم فى اليوسس والتى منحت الأمل فى الخلود على مبادئها لعبادها ولكن اليوسس وأسرارها كانت محدودة فى مكان واحد فى بلاد الاغريق بينما كانت أسرار ازيس مثل ايزيس عالمية ومن المؤكد ان الاحتفالات الجديدة كانت مختلفة تمام الاختلاف عن الطقوس المصرية القديمة الخاصة بأيزيس والتى كانت دراما خاصة بحزنها وبحثها على اوزوريس الميت.

فى الواقع لم تكن هناك اى مبادئ على الشكل المصرى لعبادة ازيس وانما الاسرار الجديدة كانت تحقق الخلود لعبادها اثناء حياتهم الاولى بدلا من اعتمادها كما فى حالة الاعتقاد المصرى على طقوس يقدمها الآخرين بعد موت الانسان.

ان نوع الخلاص الذى قدمته أسرار ازيس أو الأسرار الأخرى المتشابهة لم تكن مجرد التحرر من الخطيئة والاندماج فى الرب كما هو الحال فى المسيحية. ولكن هذا الخلاص كان خلاصا من القضاء والقدر ومشاركة فى قوة الالهة وكان القضاء والقدر مسيطران على عقول الناس خاصة فى الفترة التى تلت موت الأسكندر ومن ثم كان الخلاص من صيحة القدر بالاحتماء بقوة كفؤة كالالة ازيس قادرة على قهره ـ اقول كان أمرا

مرغوبا بشدة.

ان الخلود فى عقيدة الأسرار كان خلودا للروح فقط وليس خلودا للجسد الذى كان يتعرض للفناء بعد الموت ولذلك أبعد الاغريق برلس الرسول الى خارج قلعة الاريوس باجوس عندما تحدث عن بعث الجسد أمام هذا الجمع من المتشككين فى صحة ما يدعو اليه. قالوا له سوف نستمع اليه فيما بعد.

وتجدر الاشاره الى أن الأسرار كانت امتدادا محدودا ولم تكن دعوة عالمية بل كانت فى جمعيات سرية لاولئك الذين كانت تجمعهم رغبة شخصية فى التقرب من معبود بعينه وكان الانضمام لمثل هذه الجمعيات ذات اشتراكات خاصة فقد بقيت ازيس تقدم طريق الخلاص للناس حتى انتصار المسيحية وفى أيام الامبراطورية الرومانية نجد أن احد الكتاب المشهورين ليكيوس ابيليوس Lucius Oupleius نجد هذا الرجل يعلق مصيره بأرادة ازيس.

(٢) عبادة الملوك:

عبادة الأشخاص البشريين كانت معروفة فى كل أنحاء العالم فقد عرفت مصر تأليه ملوكها وكذلك ممالك آسيا كما عند الاغريق أبطالهم ومنشئو مدنهم، ولكن الاغريق لم يألهوا أحد الأحياء قبل الاسكندر الذى الهته العصبة الكورنثية ولكنها لم تكن عبادة رسمية بل كان مجرد تقدير

سياسى فقط.

وعندما تولى خلفاء الاسكندر حكم البلاد المختلفة كانوا حكاما أغراب عنها وكانوا فى حاجة الى أساس قوى يدعم وجودهم غير حق الفتح ولذلك خطا بطليموس الأول الخطوة الأولى عندما استفاد من تمرد المصريين على تأليه ملوكهم فأعلن عبادة الأسكندر الاكبر عبادة رسمية فى مصر (كان ذلك فيما يبدو بعد اعلان نفسه ملكا فى عام ٣٠٥). وقد فعل بطليموس الثانى لأبيه مافعله هذا للاسكندر فأعلنه إلها بعد موته فى عام ٢٨٠. قلد انطيوخس الأول ما فعله بطليموس الثانى فأعلن أباه سليوكس إلها باسم زيوس نيكاتور. من هذا الوقت أصبحت عبادة الملك بعد موته كإله قاعدة فى العالم الهليستى.

ولكن بطليموس الثانى قام أيضا بالتطور الأخير فى هذه العبادة عندما أعلن أخته وزوجته ارسينوى الثانية الهة رسمية قبل وفاتها باسم الالهة المحبة لاخيها. ومعها بطليموس الثانى نفسه فعبدا معا كما عبد وحده. وبعد وفاته حرص كل ملك بطلمى أن يصبح إلها حيا يتخذ مكانه فى سلسلة الالهة الملوك ويأتى الاسكندر على قمة هذه السلسلة الالهة وكان يتلو اسمه سلسلة من الملوك المؤلهين وزوجاتهم تحت أسمائهم الدينية الآلهة الاخوة Adelphoi الالهة الصالحون Eurgetae الالهة المحبين لابيهما Philo Patres وهكذا. وقد اتم بطليموس الرابع الثامنة عندما اضاف اليها

بطلميوس الاول وبرنيكى باسم الالهين المنقذين Soteres. كان للإلهات كما للالهة كهنة متخصصون بعبادتهن مثل أرسينوى الثانية وبرنيكى (زوجة بطلميوس الثالث) وارسينوى زوجة بطلميوس الرابع.

أقام السليوقيون أيضا عبادة رسمية للاسرة المالكة شملت كل امبراطوريتهم مع وجود مركز لهذه العبادة فى كل أقليم (ستراتيجى). وربما بدأت هذه العبادة مبكرة وان كان ينسب لانطيوخس الثالث أو ربما انطيوخس الثانى أمر إعادة تنظيمها. وسرعان ما ادعت كل أسرة من الأسرتين الملكيتين أصلا الاهية فالسليوقيون انحدروا من الاله أبولو أما البطالمة فقد انحدروا من هرقل من ناحية الأب وديونسيوس من ناحية الام.

وفى برجاموم كان الملوك يعبدون أثناء حياتهم ولكنهم لايؤلهون رسميا الا بعد الموت ولذلك لم يستطيعوا ادعاء القدسية كقاعدة لحكمهم.

اما مقدونيا فقد سارت فيها الأمور على أسس مختلفة لقد كانت مملكة ملوكها وطنيون ولم يكن الأنتجونيون فاتحين بل تم اختيارهم طبقا للدستور المقدونى بواسطة الجيش ولذلك لم تكن هناك مشكلة العبادة الرسمية لهؤلاء الملوك. ولم يصبح قط ملك من الأنتجونيين إلها لمقدونية على الرغم من أن بعض المدن الاغريقية قد ألهت بعض هؤلاء الملوك من منطلق تلك النظرية التى سادت عالم ذلك الزمان والتى تقول بأن الالهة كانوا فى الأصل بشرا ويكفى أن اثنين من الالهة الاغريق كانت لهما أمهات آدميات

وهما أبرلو وديونسيوس وهكذا كان الاسكندر أو بطليوس او غيرهما(١).

وقد اثر قيام هذه العبادات على شكل العلاقة بين الحاكم والمحكومين فى دول العالم الهلينستى وهو ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد.

(٢) القضاء والقدر:

قبل العصر الهلينستى كانت العلاقات بين الدول غير مستقرة ومع ذلك فقد كانت هناك دائما مرافئ (موانئ) دائمة هى مدن الدول نفسها. وان كانت المدن والحروب يكسبها طرف ويخسرها طرف آخر فالمدن قد استمرت فى الوجود قرونا متصلة دون أن تتعرض للفناء وظهر من أوقات سحيقة حرص تلك المدن على هويتها الخاصة فكان الاثينيون أثينيين والكورنثيون كورنثيين ولم يكن هناك مجال للخلط بين هوية كل منهم. هذا كان الحال قبل العصر الهلينستى ولكن الاحوال فى المدن الجديدة فى العالم الجديد خالفت ذلك فالسكان أخلاط والأغريق القادمون من أماكن متعددة يتزاحمون مع الوطنيين فى داخل تلك المدن واللغة التى يتحدثون بها لم تعد أتيكية أو دورية أو أيرتية ولكنها نوع جديد من اللغة الاغريقية عرفت باسم كوينى Koine .

---

(١) عن عبادة الملوك الاتليين راجع . G . Daux . Bch 5j (1935) , 210-30 وعن عبادة الملوك السليوقيين . L . Robert . Hellenica 7 (1949) , 5-22 وعن عبادة الملوك البطالمة . Theocritus XVII , 73-130 .

شعر الاغريق أن اللغة يتضاءل معها الاحساس بالاقليمية المتميزة كما شعروا بأنهم بعد الاسكندر قد اقتلعوا من جذورهم القديمة وأنهم اصبحوا فى عالم عجيب يتعرضون فيه للحروب الدائمة والتحالفات بين القوى الكبرى وفضلا عن ظروف الحياة العادية والأفراد كانوا يرتفعون ويهوون بسرعة مذهلة. وكان الحظ يبتسم ويتجهم للبعض خلال ليلة واحدة وكانت الدساتير القديمة والتقاليد القائمة على أساس قيم المجتمع الكلاسيكى عاجزة عن التأثير الفعال على سلوك المهاجرين المتحررين حديثا الذين خلبتهم انتصارات الأسكندر والملوك الذين تبعوه ومن ثم قلت قيمة الأفكار التقليدية القديمة كقيمة الاعتدال مثلا والالهة التى حكمت فى الماضى سواء بعدل او بغير عدل أصبحت لاشئ اذا قورنت بالحظ (تيخى Tyche وباللاتينيه (فورتونا)) الذى يلعب باقدار الرجال كالأطفال ويقلب الأشياء راسا على عقب دون توقف. والتيخى (الحظ) ماكر كما أنه غير منطقى فكان الرجال تحوهم الأحداث بدون أن يجدوا مساعدة من العقائد القديمة ولم يكن فى مقدور المدن الدول القديمة إلا أن تدعو من أجل خلاصهم ومن هذا توجه الناس بصلواتهم الى الحظ (تيخى) وجعلوا منه إلهتهم الحامية فى عديد من المدن الجديدة فى الشرق(١) .

---

(١) عن الحظ راجع: Demetrius of Phalerum , FGrH 228 F 39 . Quoted by Polyb . XXIX . 21 . 1-6

هناك ثورة أخرى أثرت فى مزاج العصر مثلما أثر فتح العالم الجديد ذلك هو علم الفلك الجديد وشكل العالم من خلال هذا العلم.

بدأ هذا العلم يظهر فى القرن الرابع ووصل ذروته النهائية خلال العصر الهلينستى وفى الشكل القديم كان شكل الأرض قرص (طبق) تحيط به المياة والسماء من فوق على شكل الطاسة (السلطانية) نصف دائرية وهناك تحت الأرض كان هاديس حيث المقر المظلم للموت وفى السموات كانت السحب فضلا عن الكواكب والنجوم ولكن لم تكن هناك معرفة بالمسافة التى تفصل كل من هؤلاء عن الأرض، حيث افترض أن الظواهر النجمية والطقسية تظهر جميعا على ارتفاع واحد. وكانت الآلهة تتحرك بحرية فى خلال هذا العالم المحدود وكانوا دائما قريبين. بعد ذلك استطاع إثنان من تلاميذ افلاطون ايدوكسيوس Eudoxius وهيركليديوس Heracleideus أن يحدثا ثورة فى هذا الميدان فايدوكسيوس برهن على أن الكواكب تخضع لقوانين عادية وتتحرك فى صورة دائرية خلال عدد من المجالات مختلفة الارتفاع واما هيراكليديوس رأى أن الارض تدور فى مجال حول محورها يوميا وأن عطارد والزهرة يدوران حول الشمس وأن الثلاثة الآخرين (الشمس وعطارد والزهرة) وسهم باقى الكواكب يدورون حول الأرض . هذه النظرية الفلكية سرعان ماترجمت الى نظريات جديدة خاصة بعلم الكون والأنثروبولوجيا (علم وصف الانسان). ووضعت هذه النظريات الأرض فى المستوى الادنى من سلسلة الكواكب. ونظرت الى روح الانسان كشهاب من

النار المقدسة محبوسة فى جسد وهكذا يمكننا القول بأن الشرق قدم إضافتين بعد الأسكندر اكملت صورة العالم الجديد أولها خاصة بالملاحظات العلمية الصحيحة عن مواقع الأجرام السماوية وثانيها عن الاعتقاد بتأثير هذه الأجرام على حياة الناس، وبعيدا عن هذا الاندماج جاء علم الفلك الزائف وهو التنجيم الذى سيطر على عقول الناس ونظرتهم للعالم والله وظلت هذه النظرية مسيطرة ما بقى التاريخ القديم وربما بعد ذلك ايضا.

إن التنجيم فى صورتة الدقيقة كفر بوجود الله أو الالهة حيث يرى أن العالم يسير نفسه بنفسه بميكانيكية تعمل طبقا لقوانين منطقية دون أى تدخل خارجى وتقوم هذه النظرية على أساس فرض رئيسى.

يقول بأننا اذا عرفنا حقيقة عمل جزء واحد من الكون مثل حركة الكواكب مثلا فان هذا كفيل بأن يتيح لنا القدرة على استنتاج المعلومات عن بقية أجزاء هذا العالم كاستنتاج قدر الإنسان مثلا ومن هنا إذا أمكننا وضع حركات النجوم والكواكب فى توافق مع الأحداث الهامة فى حياة الشخص كميلاده مثلا فسيكون ممكنا التكهن بقدره وحظه فى ظل هذا العالم الميكانيكى. كانت الكواكب فى نظرهم تنتظم فى ١٢ برجا مثل شهور العام فاذا تصادف ميلاد انسان فى برج كوكب معين فان السائل الأثيرى (الهواء) الذى ترسله صوب الأرض يؤثر فى الطفل الوليد ساعة مولده وفى مستقبل أيامه وليس هناك أى مكان لوساطة الآلهه أو للإرادة الحرة وحظ الشخص محدد مثله مثل حركة السموات نفسها.

رأى آخر أقل علمية ورغم ذلك كان الرأى السائد بين العامة هذا الرأى يقول بأن الأجرام السماوية نفسها كانت بذاتها آلهة ضمت لأسباب دينية خاصة وأن لتحركاتها الظاهرة تأثير على حركات البشر.

وهكذا كانت أمور كالغنى والفقر والحرية والعبودية والمرض والصحة لادخل للانسان فيها وفى كلا الرأيين كان لطبيعة العالم كما عرفه الناس تأثير عميق على ديانات العالم الهلينستى والدراسات الفلسفية كذلك بما أن العقيدة الاساسية كانت الحتمية وأخيرا فان الفرد تلقائيا كان يسعى للبحث عن وسيلة للهروب من قيمة قدره وكان أقصى ما يستطيع المرء هو أن يتحاشى بعض النتائج المترتبة على قيمة القدر كأن يختار موعداً معينا لعمل بعينه تكون فيه الأجرام السماوية ترسل تأثيرات طيبة مواتية الى الأرض أو أن يسعى للخلاص من الحظ وقيمة القدر بالبحث فيما وراء الطبيعة كما فعل أفلاطون معتقدا أن بالارتفاع عقليا عن الواقع المادى كان يمكنه الهروب من العبودية الى القدر. ان المعرفة كانت الحرية والاندماج فى الخالق كانت تعنى الهروب من ضعف الصورة المادية للوجود البشرى وآخرون نالوا الخلاص كما قلت عن طريق العقائد السرية. هذه هى أهم الاتجاهات الرئيسية او التغيرات التى شهدتها الديانات على العصر الهلينستى .

٩- العـــلـــوم

شهد العلم عند الاغريق عصره الذهبى فى القرون التى تلت الاسكندر الاكبر فنرى نتاج سنوات طويلة من البحث الفلسفى والرياضى فى أعمال أرسطو الذى أنشأ القاعدة العلمية التى تقول بأن الاستنتاجات يجب أن تتم بناء على نتائج الدراسة التجريبية. طبق أرسطو هذه القاعدة فى بحوثه المختلفة كما نلاحظ التزامه بهذا المبدأ فى عمله عن وظائف الاعضاء الذي يعتبر أفضل أعماله فى ميدان العلوم . والذى لم تتم تجاوز بعض ملاحظاته إلا فى العلوم الحديثة. وباستخدام هذا الاسلوب فى الاختيار التجريبى حلل أرسطو مضمون مئات من المسرحيات لكى يقدم دراسة عن المأساة كما جمع أكثر من ١٥٠ دستورا لكى يصل الى العناصر التى ساهمت فى بقاء أو أنهيار المدينة الدولة كنظام للحياة.

وعلى الرغم من أن أفلاطون سبق الى تأكيد أهمية الرياضيات وجعلها فرضا رئيسيا فى مناهجه إلا أن سعيه بالقيم المثالية كان له تأثير ضار على مستقبل التطور العلمى بتشجيع الباقين على البحث عن هذه الصيغ فيما وراء الطبيعة على عكس قاعدة أرسطو العملية التى تعتمد على الملاحظات الميدانية.

على كل حال شهد العالم لمدة تقرب من قرنين بعد الاسكندر فترة

تدفقت خلالها الدراسات العلمية من نوعية لم يتفوق العالم عليها الا فى عهد النهضة العلمية الحديثة وساعد على حدوث هذه التطور العلمى ذلك الاهتمام الكبير الذى أبداه الملوك الهلينستيين للدراسات العليا.

لقد أقام البطالمة مركز بحث عظيم فى الاسكندرية وأنشأت المكتبات فى الاسكندرية وبرجامو وأنتيرخ وروودس وسميرنا وربما فى أماكن أخرى أيضا ورغم أن الأسكندرية طغت على أثينا فى ميادين العلوم والاداب فقد بقيت الأخيرة مركزاً للعالم فى الدراسات الفلسفية ودراسات البلاغة(١).

كان المتحف فى الاسكندرية مركز الحركة العلمية وكعبة الباحثين فى كل ميدان من كل مكان فى العالم الهلينستى وقد أنشأه بطليموس الاول سوتير ربما بناء على نصيحة من ديمتريوس من فاليرون وهو التلميذ المشهور من تلاميذ أرسطو. وقد كان المتحف منفصلا عن المكتبة (٢) وأن كان كلاهما قريب من القصر الملكى رعاة وأنفق عليه البطالمة ولم يكن المتحف

---

(١) Marshall , D . N . , History of libraries , an cient and Mediaeval , Oxford , 1983 .

(٢) مكتبة الاسكندرية إنشاءا بطليموس الأول حوالي عام ٣٠٠ق. م. وقد ازدهرت أيام إبنه بطليموس الثاني وحفيده بطليموس الثالث. ضمت مجموعتها من المكتب المدونة على لفائف البردى وعلى الرقوق. وقيل انها بلغت حوالى ٤٠٠ ألف من اللفائف المنوعة ونحو ٩٠ ألف لفافة مفردة أى مصنف واحد لمؤلف واحد. وكانت مكتبة الإسكندرية في الواقع مكتبتان الكبرى وتقع بالبروكيوم من أحياء الاسكندرية، والثانية الصغرى التى كانت ملحقة بمعبد السيرابيوم والأخيرة أقامها بطليموس الثاني وبلغت مجموعتها حوالى ٤٢ ألفا من لفائف البردى. ذكر بلوتارخ أن حريق حرب الاسكندرية إلتهم حوالى ٤٠٠ ألف مجلد. ورغم تعويض الاسكندرية ، ٢٠٠ ألف مجلد من مكتبة برجامو وضعت فى معبد ولكن المعبد والمكتبة تعرضا لحريق فى عام ٢٦٦م، كما إمتد لمكتبة السيرابيوم خلال القرن الرابع فنقلت بعض كتبها الى القسطنطينية وتشتت الباقى ٢٩١.

مؤسسة مهمتها جمع تراث الماضى كما يفهم من استخدامها الحالى لكن المتحف كان المكان الذى ظهرت فيه بحوث مبتكرة فى عدد من أهم الميادين العلمية والأدبية. لقد كان المتحف مؤسسة علمية جمعت علماء اجلاء فى ميادينهم. وأن ظهر فى العصور المتأخرة على وجه الخصوص بعض مدعى العلم بينهم ولذلك فأن علماء المتحف لم يستحقوا الهجاء الذى خصهم به تيمون أرف فيلوس Timon of Philus.

"هناك فى زحام أرض مصر يوجد كثيرون يطعمون، كثيرون يشخبطون على البردى، دانموا الشجار، يعيشون فى حديقة طيور آل موسيس Muses (ربات الشعر والادب)."

(أ) العلوم الرياضيه والفلـــك

تحتل الهندسة مكانة سامية بين رياضيات العصر الهلينستى وقد فاقت فى تقدمها سائر فروع العلم الأخرى وقد كانت الهندسة أساس كل الرياضيات عند الاغريق لعدم درايتهم بالصفر وما بلغته الهندسة من الاتقان كان سببا فى عدم تفكير الاغريق فى أختراع هذا الصفر ولاسيما أن الهندسه كانت تشمل الكثير مما يعتبر اليوم من علم الجبر ولايمكن أن ننسى دور اقليدس (١) فى الرياضيات ويكفى أن كتابه " العناصر " كان

(١) إقليدس يونانى عاش فى الاسكندرية على عهد بطليوس الاول. قام بتنظيم علم الرياضيات فى عصره ومزاوجة الأصول يحترى على ثلاث عشرة مقالة ظلت حتى العصر "

الكتاب الوحيد فيما عدا الكتب السماوية الذى عمر الآف السنين. فقد استمر تلاميذ الهندسة فى كل أنحاء العالم يستخدمونه منذ العصر الهلينستى حتى عهد قريب جدا. وكان على العالم أن ينتظر حتى القرن ١٩ الميلادى حتى يعرف ما يسمى الآن بالهندسة غير الإقليدية وقد وضع إقليدس كتبا أخرى لم تقتصر على الهندسة بل شملت فروع الرياضيات الأخرى عندئذ.

ويتصل بعلم الهندسة علم الفلك اتصالا وثيقا ويدين أغريق العهد الهلينستى بقدر من الفضل لعلماء بابل فى هذا السبيل. وكان من ابرز علماء الفلك فى هذا الوقت أرسترخوس من ساموس(١)وكان أول من اكتشف أن الارض لاتدور حول نفسها فقط وأنما تدور أيضا مثل الكواكب الأخرى حول الشمس. أما اعظم علماء الفلك فى الاسكندرية والعالم القديم قاطبة فيدعى هيبارخوس (١٩٠ق.م-١٢٦ق.م) وقد استطاع أن يحسب بدقة طول الشهر القمرى وقال أنه ٢٩ يوم و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة٣ ثانية وهذا الحساب أقل بثانية واحدة عن الطول الحقيقى للشهر القمرى، ويذكر أنه

---

* الحديث أساس دراسة مبادئ الهندسة . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية فى القرن الخامس الميلادى والى العربية فى القرن الثامن ثم نقل من الأخيرة الى اللغات الأوربية خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر وطبع لأول مرة فى عام ١٤٨٢. وإقليدس له مؤلفات أخرى كالظاهرة والتقويم والبصريات والقسمة.

(١) كان عالمابمدرسة الاسكندرية (فى القرن الثالث الميلادى) قال بحركة الأرض حول الشمس ودورانها حول محور مائل على مستوى دائرة البروج مما يسبب فصول السنة والليل والنهار. لم يبق من مؤلفاته سوى أحجام وأبعاد الشمس والقمر. وقد وصلت بعض نظرياته من خلال أرخميدس وكوبرنيكوس.

اكتشف بداية الاعتداليين. الربيعي والخريفي.

وهناك من علماء هذا العصر أيضا نذكر أرخميدس (أرشيميدس) (عاش ٢٨٧ -٢١٢ ق.م) الذي اكتسب شهرته لدفاعه الطويل عن سيراكيوز ضد الرومان واكتشافه لطرق الجاذبية بينما كان يأخذ حماما؛ واختراع حساب التكامل فضلا عن اختراعاته الكثيرة التي شملت اللولب اللانهائي (الطنبور) الذي يستخدم لنزح المياه من مناجم أسبانيا وري الحقول في مصر(١١).

وهناك أيضا ابوللونيوس أوف بيرجا Apollonous of Perga. وكان أقل أهميه من أرخميدس ومع ذلك فقد كان ثالث أكبر الرياضيين وتعتبر نظريته عن القطاع المخروطي عملا متمما في هذا الموضوع وقد أثر ذلك على الرياضيين حتى عصر نيوتن. هناك بعض الاشخاص بجانب أرخميدس حاولوا في المجالات التطبيقية العلمية مثل كستيبيوس Cstepius في سنة ٢٦٠ ق.م اختراع المنجنيق الذي يعمل بالهواء المضغوط وهيرو من الاسكندريه في القرن الاول ق.م وقد كانت اختراعاته في مجال الرافعات كما اخترع آله بخارية بسيطة، وأكثر الانجازات

---

(١١) أرخميدس عاش بين ٢٨٧ و ٢١٢ ق. م اغريقي إشتهر ببحوثه في الرياضيات والفيزياء، فضلا عن إختراعاته. ولشهر أعماله (الدائرة والأسطوانه والقطع المكافئ). لاحظ إختلاف الكثافة بين المواد. ووضع قاعدة أرخميدس للأجسام المغمورة. وقد إخترع آلة لرفع المياة (الطنبور) وهي بريمة بداخل أسطوانه وقد إستخدمت هذه النشرة لرفع المياة وكذلك المواد الحبيبة كالحبوب والرمل والرمد.

التى تستحق المشاهدة بالنسبه لمعارف العصر الهلينستى والقدرة الهندسية فيه يمكن أن نراها فى الالة المعقدة المعروفة باسم انتيكى ثيرا ميكانيزوم Antiky Thera Mechanisum(١).

وقد عثر على احدها ضمن بقايا سفينة قديمة غارقة قرب كريت ولم تدرس بصورة دقيقة الا فى عام ١٩٧٢ وهذه الالة عبارة عن الة تسجل العلاقة بين الشهور القمرية والشمسية مقرونة بحركة الكواكب والشمس وكانت هذه الالة تضم عدداً من التروس المتداخلة مختلفة الأحجام بذراع لنقل الحركة.

(٢) الطـــــب :

حقق الطب مع الرياضيات والفلك قفزات هائلة فى العصر الهلينستى ولم يمكن تجاوزها الا أيام العالم هيرفى Herney فى القرن ١٧ م. لقد كانت الاسكندرية مركزا لأغلب هذه التطورات وهنا أتم أعظم اثنين من الباحثين

---

(١) هيرو الاسكندرى عالم رياضيات مخترع عاش فى الاسكندرية فيما بين القرن ٢ ق. م والقرن الثالث الميلادي أصله غير معروف بالرغم من أنه كان يكتب مؤلفاته باليونانية كتب عن قياس الأشكال الهندسية وينسب اليه قانون تعيين مساحة المثلث. واشتهر أيضا بدراساته فى الميكانيكا والخصائص الميكانيكية للغازات. وقد إخترع عدة آلات تعمل بالماء أو بالبخار أو ضغط الهواء، ومن بينها نافورة وعربة أطفاء حريق وآلة تعمل بالبخار لادارة كرة أو عجلة.

فى هذا المجال هما هيروفيليوس Herophilius (من خليقدونية)(١) وإراسيستراتوس Erasistratus (٢). (من كيوس) أعمالهما . الأول كان عالما فى التشريح وقد شملت اكتشافاته أعصاب الاحساس وصلتها بالنخاع وميز بين المخ (مقدمة الدماغ) والمخيخ (مؤخرة الدماغ) . وقد اعتقد أن المخ هو مركز الأعصاب كما أنه مركز الادراك والذكاء وأن الشرايين هى التى تحمل الدم أما اراسيستراتوس فقد ذكر أن القلب آلة تدفع الدم الى كل أجزاء الجسم ولكنه أساء التقدير فاعتقد خطأ أن الشرايين كانت تحمل هواء. ولكن اكتشافه الأكثر أهمية كان تمييزه بين أعصاب الاحساس وأعصاب الحركة. وهو مالم يعرفه هيروفيليوس. ولقد كان اكثر اهتماما بعلم وظائف الأعضاء أكثر من التشريح وناقش دور الغذاء وعملية الغذاء فى بناء نسيج الجسم.

تقدم البحث النظرى فى ميدان الطب قليلا بعد هذان العالمان وسيطرت الدراسات التجريبية أيام فيلينيوس Philinius الذى خلف

---

(١) عالم بالطب عاش فى الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق. م. وظلت مدرسته مزدهرة حتى نهاية القرن الأول ق. م. كان يعلق أهمية كبيرة على تجارب الطبيب وعلى النبض. وكان يستخدم المقاعير اكثر من هيبوقراط ومدرسته أهم أبحاثه كانت فى التشريح وقيل أنه لم يجرها على المرتى فقط، بل على الأحياء أيضا. وكانت تدور حول المخ والأعصاب والرئتين وأعضاء التناسل وتدل نتائجه على أنه قام كذلك بتشريح الحيوان.

(٢) إراسيستراتوس عاش فى القرن الثالث ق. م. إحتفظت مؤلفاته بمكانتها حتى القرن الرابع الميلادى قال بنظرية الاستروح حيث كان يعتقد أن الهواء يذهب من الرئتين الى القلب حيث يستحيل (روحاً حيوية) توزعها الشرايين. ودرس تلافيف المخ ويعزى اليه تسمية القصبة الهوائية واستخدام القسطر (الماصة).

هيروفيليرس في المتحف. كان هذا الرجل رأسا لمدرسة سيطر على نشاطها ممارسة العلاج الطبي أكثر من التشريح النظري أو علم وظائف الأعضاء. أن هذه المدرسة رأت أن الطب ليس مختصا إلا بعلاج الامراض دون الوقوف على أسبابها ولذلك فقد كان واجب الطبيب في نظرهم هو أن يعطي العلاج الذي يشفي الأمراض الى أن يهتدي الى ذلك بملاحظة الشخصية والتعليم المشافهه وكان أشهر هؤلاء هيراقليدس تارنترم Tarantum.

وقد ركز على الأدوية وعلم السموم فضلا عن التغذية وتاريخ الدواء. وعالم آخر يدعى اسكلبياديس Asclepiades وقد اتخذ طريقا معاكسا لهيراقليدس فعالج الأمراض برجيم غذائي وبالتدريب بالمساج وحمامات باردة ولم يعول كثيرا على العقاقير وجادل في حجة امكانية استعادة الصحة باستعادة تناسق الاخلاط التي يتكون منها الجسم. وقد ألف كالكيوس Calcius في نهاية القرن الأول الميلادي رسالة عن التقدم الذي تم احرازه في ميدان الدواء منذ زمن هبرقراطيس (ابو قراط)(١) ومنذ البداية تصارع

---

(١) يعرف بأبي الطب اليوناني عاش بين ٤٦٠ و ٣٧٠ ق. م. ولد بجزيرة كوس وتعلم في أثينا واستكمل خبرته من خلال أسفاره. له فضل فصل الطب عن الخرافة نقلت كتبه الى العربية وأضاف اليها علماء العرب شروحا وتفاسير ولشهر هؤلاء حنين بن إسحاق وعيسى بن يحيى وثابت بن قره وعبد الرحمن بن علي .

الطب العملى مع السحر والدين وقد كانت قدرة إله اسكليبيوس ابيداورس وسيرابيس فى الاسكندرية فى ميدان العلاج لهما نفس شعبية الأطباء الرسميين فى مصر.

(٢) علمـــاء الحيـــوان والنبـــات

كان على رأس المشتغلين بدراسة علم الحيوان والنبات فى العصر الهلينستى عالمان بارزان كان أحدهما تلميذا نابها لأرسطو - يدعى ثيوفراستوس وقد فشل بطليموس الأول فى استمالته واحضاره الى اسكندرية (١) والآخر يدعى استراتون وكان معلما لبطليموس الثانى. وأهم ما اصابته دراسة الحيوان فى هذا الوقت أن العالم الاغريقى أصبح يألف عدداً كبيراً من الحيوانات ولاشك أنه قد ساعد على ذلك حديقة الحيوان التى انشأها بطليموس الثانى وكانت تضم عددا كبيرا من مختلف أنواع الحيوان والطيور والزواحف.

أما علم النبات فقد كان أكثر توفيقا بفضل أبحاث ثيوفراستوس

---

(١) ثيوفراستوس عاش بين ٣٧٢ و ٢٨٧ ق. م. فيلسوف يونانى خلف استاذه أرسطو فى تزعم مدرسة الشائين وازدهرت الشائية على يديه. كان صديقاً لفيليب الثانى وبطليموس الأول. كتب فى موضوعات أخصها النبات وله كتاب الشخصيات رسم فيه عدة شخصيات من أنماط مختلفة مر بها معاصريه.

التى رفعت دراسة النبات الى مستوى العلم البحت وتمخضت عن معلومات تثير الدهشة فى كثير من الأحيان فى ظل ظروف أقلها عدم معرفة الميكروسكوب فضلا عن أن علم الكيمياء كان مايزال فى المهد. ومهما يكن من أمر كشرف هذا العالم فانها لايمكن أن تقارن بفضله فى وضع أساس علم النبات وفى تمهيد السبيل لمن جاء بعده من الباحثين المتأخرين.

ويلاحظ أنه قرب نهاية الفتره الهلينستية تراجع الطب والعلوم الأخرى أمام تزايد شأن علوم أخرى كالفلسفة والدين وعلوم السحر ويمكن أن نجد الاجابة على ذلك فى ميل العلوم الاغريقية للتركيز فيما وراء الطبيعة.

وهكذا نلاحظ أن العلوم التى تقدمت كانت علوما نظرية كالرياضة أو علوم تجريبية ومهما كان من دور الهلينستيين فيكفى أن عصرهم أعطى العلوم خاصة قاعدة رياضية ثابتة قادت فى النهاية الى تقدم العلم الحديث.

(٤) الآداب:

شهد العصر الهلينستى كما نعلم فقدان أثينا لمكانتها السياسية ومع ذلك بقيت ميدانا لبعض أوجه النشاط الفكرى فأنتعشت فيها الفلسفة فى مدرسة أرسطو وتسمى اللوكيون Leckiun (١) وكانت تعلم تلاميذها فروع

---

(١) اللوكيون ملعب فى أثينا إختاره أرسطو ليعلم فيه. وقد أطلق الاسم على المدرسة الفلسفية لأرسطو، كما سميت بالمشائية أيضا لأن أرسطو كان يجتمع بتلاميذه فى مماشيه أو كان يملى عليهم الدروس ماشيا.

العلم المختلفه وشهدت حديقة ابيقور تردد أتباعه ومريديه (١) كما بلغت الخطابة ذرى عالية وأنجبت ديموستينس اشهر عظماء العالم وظهرت اللهاة في ثوب جديد يختلف كل الاختلاف عن اللهاة القديمة في مواضيعها وأهدافها.

وكان ميناندر Menander أشهر شعرائها. ومن الجدير بالاشارة أن مؤلفات أرسطو وخطب ديموستنيس ومسرحيات ميناندر تنتمي الى فنون العصر الكلاسيكي من حيث النوعية وأن أنتمت بالزمن الى العصر الهلينستي. وصف ادب العصر الهلينستي بخلوه من الشاعر الوطنية وحماسها وهي المشاعر التي أنطقت الادباء فيما مضى بأنبل المعاني وأوحت لهم بأروع المؤلفات كما اتصف ايضا بإعراض ادبائه عن الحديث في السياسة اعراضا تاما.

وبالطبع كان السبب في هذا معروفا فالشعر الوطني وما يتبعه من نشاط سياسي لايكتمل الا مع نفوس حره تعيش جواً ملئ بالحرية وهذا الجو كان غريبا عن عالم مابعد الاسكندر حيث أصبح ملئ بالرعايا لابالوطنيين وكان هؤلاء يطيعون الحكام طاعة عمياء لايهتمون بالاحوال السياسية ولايشاركون في أحداثها فهم غرباء عن الأوطان الجديدة ولاتربطهم

---

(١) اشترى ابيقور هذه الحديقة بعد أن استقر في أثينا حيث كان يعلم فيها تلاميذه ومذهبه يرى أن الفلسفة هي فن إسعاد الذات بالمتعة العقلية وهي الخير الأوحد وفلسفته أخلاقية أساسها لذة التأمل التي لايعقبها ألم.

بها روابط قومية كتلك التى كانت تربط سكان مدينة اغريقية بمراطنيها .

كان الأدباء مثلهم فى ذلك الوقت مثل أدباء عصرهم يفخرون باقامتهم بالقرب من الملوك؛ ويتسابقون للحياة فى قصورهم والسعى لتملقهم. ومن ثم امتلأت أشعار ذلك الزمان بتملق أصحاب السلطان الذين أصبحوا موضوعا رئيسيا لعديد من القصائد. وهكذا أصبح الأدباء فى عزلة عن الشعب بعيدين عن المعابد والآثار التى كانت تحرك مشاعر أسلافهم. أما الشعب فقد أنكب على عمله اليومى وأنصرف الى الاهتمام بحياته الخاصة وسعى وراء منافعه التافهة : لهذه الأسباب كلها اتصف أدب هذا العصر بالعقم والكساد ورمى النقاد المحدثون أدباءه بالجمود وضعف التفكير لانهم لم يبتكروا جديدا بل عادوا الى تراث أسلافهم ودرسوا وبحثوا فيه وعلقوا عليه واهتموا بالدقة فى التعبير وتعنتوا فى اختيار الألفاظ النادرة والغريبة والتباهى بمعلوماتهم وحشوها فى أشعارهم دون مبرر. ومع ذلك ففى امكاننا أن نذكر لهذا العصر بعض المآثر فادباؤه قد أدوا للأدب اليونانى القديم خدمات جليلة كان يستحيل علينا نحن المحدثون أن نفهمه بدونها؛ فمنهم من ابتدع فن نقد النصوص ومقارنة المخطوطات وتحقيق الأصول القديمة والتعليق عليها ومنهم من ابتكر فنا جديدا من فنون الشعر لم يعرفه شعراء العصور السالفة.

كالشعر الرعوى الذى ابتكره ثيوكراتيس كما أن أدباء هذا العصر اثروا على الأدب الرومانى فى عصوره الأولى فتلدهم كاتولوس وأوفيد

وفرجيل ونقلوا عنهم الكثير الأمر الذى جعل النقاد يقولون بانه لولا اتصال روما وتأثرها بالمدارس اليونانية فى هذا العصر لما تركت شيئا يسمى أدبا) .

بدأ عصر الانحلال هذا بخضوع اليونان للحكم المقدونى وأنتقلت فيه زعامة الأدب من اثينا الى الأسكندرية التى كان قد بناها الأسكندر فى عام ٣٣١ ق. م فازدهرت بسرعة فائقة وأصبحت لمدة قرنين أهم مراكز الأدب اليونانى مما جعل كثير من النقاد يسمون هذا العصر بعصر الاسكندرية . ولكن هذا لايعنى أن الادب السكندرى لم يزدهر الا فى هذه المدينة فقط بل أنتعش فى مدن ومناطق أخرى أهمها بلاط مقدونيا وسوريا وبرجاموم وسواحل أسيا الصغرى وجزيرة كوس ورودس واغريقيا الكبرى بل أن أثينا نفسها احتفظت كما رأينا ببعض أهميتها الأدبية ؛ ومع ذلك فالعاصمة المصرية هى التى احتلت المكانة الاولى ولم يوجد مكان غيرها لقيت فيه الفنون والآداب تشجيعا سريعا مستمرا مثلما لقيت الاسكندرية اثناء حكم البطالمة الاول فى الفترة من (٣٢٣ - ١٨٠ق. م) . وأشهر الشعراء الذين ظهروا فى عهدهم كاليماخوس(١)

---

(١) ولد كاليماخوس فى السنوات الأخيرة من القرن الرابع ق.م فى برقة ثم هاجر الى الاسكندرية حيث عمل مدرسا ثم ألف مقطوعات شعرية قصيرة لفت اليه الانظار فى البلاط، فعينه بطليموس فى المكتبة الكبرى. وضع فهرسا مفصلا فى ١٢٠ مجلدا يعتبر الأول فى تاريخ الأدب. يعتبر أبرز شعراء الاسكندرية فى عصره. وضع ٨٠٠ كتابا لم يصلنا منها الا قطعا متفرقة . كانت أناشيده تخلو من العواطف الدينية الحقيقية ولكنها كانت تفيض

وثيوكراتيس(١) وأبولونيوس الروديسى(٢). ولكن بعد وفاة بطليموس الرابع تولى الحكم ملوك ضعاف لم يستطيعوا الاستقرار على سياسة اسلافهم العلمية ولم يحافظوا على منزلة عاصمتهم الادبية فتدهورت الثقافة اليونانية فى مصر، بل وفى غيرها من المدن اليونانية ولم يظهر فى أواخر القرن الثانى والقرن الأول ق.م إلاعدد من الشعراء ليس بينهم شاعر واحد مجيد نذكر منهم ميكاندروس الذى تعلم فى برجامم وترك قصائد تعليمية عن أضداد السموم والفلاحة ومرسوخوس الصقلى وبيرون السميرنى اللذين اشتهرا بأشعارهما الرعوية والتى كانت تقليدا كاملا لأشعار أستاذهما ثيوكراتيس وهناك انتباتروس الصيدى وميلياجروس الجادارى اللذين خلدا اسميهما بكثير من قطع الابجراما. ولعل أشهر الشخصيات التى لمعت فى القرن الثانى ق.م كان المؤرخ بوليبيوس الذى كتب قصة روما وكيف سادت العالم فى

= بالأوصاف والتصويرات البارعة. وقصيدة الأسباب أهم أشعار كالياخوس وهى مزيج من المعلومات التاريخية والجغرافية والميثولوجية. وقد ألف كالياخوس كثيراً من المرثيات أفضل المعروف منها قصيدة (خصلة شعر برنيكى).

(١) عاش تيوكريتوس فى القرن الثالث ق.م. ويعتبر أبو الشعر الرعوى ومن أهم شعراء الاسكندرية. كان شعره مبتكرا فى عصر إنعدم فيه الابتكار تمتاز أشعاره الرعوية بواقعيتها وحيويتها وإفاضتها فى وصف الطبيعة فى سيراكوز التى ولد فيها وجزيرة كوس التى تعلم فى مدرستها.

(٢) أبولونيوس الروديسى شاعر ولد حوالى عام ٢٩٥ ق.م وقد أطلق عليه لقب الروديسى لهجرته اليها بعد طرده من وظيفة أمين مكتبة الاسكندرية وحصوله على جنسية رودى ولكنه من مواليد الاسكندرية أو نوقراطيس. كتب قصائد فى تأسيس المدن أتبع فيها أسلوب عصره الرصفى. ولكنه ألف (أرجونارتيكا) وهى أعظم قصائده وقد إشتملت بتصوير الشاعر والعواطف التى عايشت غرام بطلة قصيدته.

٤٠ كتابا لم يصلنا كاملا منها الا خمسة تدل على انه كان مؤرخا ممتازا دقيقا يتقصى معرفة الحقائق مهما كلفه ذلك من عناء. بعد ذلك ينتهى عصر الاسكندرية بالمعنى الصحيح. ففى نهاية القرن الاول ق م سادت روما العالم وبدأ العصر اليونانى الرومانى الذى استمر حتى القرن ٦ م وفيما يلى ندرس بعض فروع الأدب التى مارسها أدباء ذلك العصر.

اولا: الكوميديا الجديدة والكوميديا الشعبية (Mimus)

كان مؤلفو الكوميديا فى القرن الخامس فى اثينا يسخرون من السياسة والسياسيين المعاصرين لهم وكانوا يوجهون قليلا من الاهتمام لتطور أحداث الرواية وصفات أبطالها؛ وعلى العكس فان كوميديا القرن التالى لوفاة الأسكندر الأكبر والتى تعرف باسم الكوميديا الجديدة كانت خالية تقريبا من السخرية السياسية وفى المقابل ركزت اهتمامها كله على العادات الاجتماعية وعلى الخصوص فى المجالات العائلية وعلى مسائل القيم كالبخل والفخر والحب والتخرع والفقر ولم يبق من انتاج ٧٠ كاتبا مسرحيا أو يزيد اهتموا بذلك اللون ، اقول لم يبق سوى عدد من مسرحيات ميناندر (٣٤٢-٢٩٢ ق م) Menander (١) الذى كان معاصرا لابيقور وتلميذا

---

(١) ولد ميناندر فى أواخر القرن الرابع ق م وأصبح زعيما لكتاب الملهاة الحديثة. إمتاز برقة أسلوبه وسلاسته. ودقة تصويره لشخصيات رواياته مع قدرته على تحليل مواقفها. أثر فى بلوتس وترنس تأثرا كبيرا وقد عرفه الغربيون فى القرن السابع عشر الميلادى من خلالهما.

لثيوفراستيس خليفة أرسطو في اللوكيوم؛ وهي مسرحيات كأغلب مسرحيات الكوميديا الجديدة اتبعت منهجا واحدا- شاب يحب فتاة ولكنه لايستطيع أن يتزوجها لسبب أو لآخر كأن تكون قاطنة أو فقيرة للغاية أو عبدة يطلب سيدها ثمنا يعجز المحب عن دفعه وبعد عدة صعوبات يتم حل عقدة المسرحية كأن يتضح فجأة بأن الفتاة محور المشكلة هي ابنة لرجل مرموق ولكنه فقدها بعد ولادتها، أو لان النقود على وشك الوصول ربما من خلال حيلة يقوم بها عبد ماهر مثلا وتنتهي المسرحية نهاية سعيدة . مسرحيات ميناندر تعطي احساسا بالتفاؤل فالشخصيات الشريرة ليست مطلقة الشر والشخصيات الخيرة ليس أصحابها قديسين. وتبدو في هذه المسرحيات كما لو كانت العقبات الكبرى في حياة البشر هي مجرد الأشياء البسيطة مثل عدم موافقة الأسرة على الزواج أو الحاجة لبعض المال نذكر ذلك بالمقارنة بما كان سائدا قبلها فمثلا كان الموت أو التفاني هو سمة شخصيات الابطال عند سوفوكليس والشخصيات المتصارعة عند يوريبيديس. والشخصيات المتصارعة عندهم تصارع القدر وظروفه ويعانون مشاكل المسئولية عن البشر. كل هذا حل محله على العصر الهلينستي علاقات أنسانية عادية وحقيقية فهناك رجال مشغولون بحب المال وجنود يفكرون في امكانية اخضاع العقلية البشرية لأوامر العسكرية وهناك بغايا وهناك أناس متواكلون وهناك شباب سطحيون .

ان التوازن في العلاقات البشرية هو المثل الأعلى عند ميناندر بينما

الخطايا عنده هى الشهوة والغضب والرغبات المتطرفة فى حيازة أموال طائلة أو الرغبة فى النقاء الشديد للسمعة. والاعتدال فى كل شئ يدل على رباطة جأش واتزان صاحب الاخلاق المثلى؛ مع ملاحظة عدم وجود ابطال عند ميناندر فصاحب هذه الاخلاق هو القادر على تحمل امتحان اقسى وأن كان لايقوم بأعمال جديدة. ولايجب أن نعتقد بأن الكتاب كانوا يهملون أذواق الجماهير واذا كان هناك ما يكون متعلقا بهذا الأمر فالعكس هو الصحيح فقد اهتم المسرح خاصة خلال الفترة الرومانية بالميول الجماهيرية. فقد زاد الاهتمام بتنظيم المسرح والملابس وأصبحت خشبة المسرح عالية وما يجرى عليها منفصل عن جماهير المشاهدين. ومن ثم أصبحت المسارح الهلينستية والرومانية أقرب الى مسارحنا الحالية منها الى مسارح اسلافهم الكلاسيكية. وبرز دور الممثل حتى سيطر على المسرحيات وزاد الاهتمام بالموسيقى حتى وصل الأمر الى اقامة الحفلات الموسيقية والأوبريتات ونجحا الى درجة جعلتهما يغتصبان خشبة المسرح فعليا من المسرحيات التقليدية.

عامل كبير أضيف الى هذا التطور كان ذلك هو ارتفاع شأن الكوميديا الشعبية (المسرحية القصيرة) وسواء كانت مقنعة أو حوارا فان الكوميديات الشعبية كتبت لتناسب الأذواق الهابطة من الجماهير ومحورها موضوعات الفسق والغواية وأحيانا كانوا يسخرون من الحكايات التقليدية للتراجيديات والكوميديات. ونظرا لما تقدمه من إضحاك وسرعة حركة فقد تمتعت بإعجاب كثيرين وعرضت فى الأسل كشئ ثانوى وبالنسبة للعرض

الرئيسى فى المسرح؛ ولكن سرعان ما فرضت نفسها على البرامج الاصلية حيث كانت كتعليق حزين على الأحوال المتردية فى المجتمع الهلينستى .

أما التراجيديا فقد بقيت شهرة الثلاثة العظام من شعراء العصر الكلاسيكى (ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبديس)[1] رغم انتشار وبناء المسارح فى كل جزء من حوض البحر المتوسط وقتذاك. وقد أدت هذه الشهرة لاعمال العصر الكلاسيكى الى عدم معرفتنا معرفة يقينة بما يمكن أن ندرسه كتراجيديات من إنتاج العصر الهلينستى فإننا نعرف اسماء ولكنها لم تكن شهيرة.

كان موضوع التراجيديات هو الموضوعات التاريخية بالاضافة الى الموضوعات الاسطورية التى كان بعضها غير معروف فى القرن الخامس مثل أدونيس وكلير وبعض المسرحيات كتبت لتقرأ لا لتمثل أو على الأقل كانت مناسبة للقراءة أكثر منها للتمثيل كما يتضح من مسرحية كانتور شارمان Cantaur of Charemen.

على كل حال عرفنا أن البلاط البطلمى فى الأسكندرية عاش فيه فى القرن الثالث ق.م سبعة من مشاهير التراجيديات منهم هرفيروس - ولوكفرون وسولشوس Lycphron - والكسندر وايتولوس Aetolus هؤلاء خمسة وقد اختلفت الأراء فيما يخص الاثنين الآخرين: لقد وصلنا أكثر من ٦٠ اسما لكتاب التراجيديا والعناوين التى وصلتنا تدل على أنهم

---

(١) فوزى مكارى : المرجع السابق.

كتبوا فى موضوعات غريبة لم تعالج خلال الفترة الكلاسيكية. وقد تميزت بأسلوبها المتأدب الميال لاظهار المعرفة والميل الى الرمز. ولعل هذا هو الذى جعلها غير مقبولة الذوق لدى النقاد المحدثين وأن كان هذا السبب هو نفسه الذى جعلها محبوبة عند طبقة المتعلمين من جماهير العصر الهلينستى.

ثانيا : الغزل وشعر العواطف :

لاحظنا أن سمة أدباء ذلك العصر أنهم عاشوا فى رعاية القصور ومن ثم بعدت الشقة بهم عن صدق الاحساس وصفائه التى ميزت الشعر الكلاسيكى حتى أن بعضهم الذى كان يتحدث عن العواطف ظهر فى أغلب أشعارهم التصنع والتكلف. فمثلا البعض يصف عواصفه في مواقف لاتليق كالشاعر الذى حدثنا عن غرامه وهو يشنق نفسه أمام باب مغلق. ونلاحظ أيضا إطناب هؤلاء الشعراء فى البكاء والأنين والتعبير عن رقة مصطنعة.

ومع ذلك فالا بجرامات وهى قطع صغيرة من الشعر من بحر الايلجوس نلاحظ فيها الكفاءة. كما نلاحظ فى بعضها التعبير عن عواطف مؤثرة عميقة مثل ميلياجروس عندما يبكى حبيبته هليودورا لأن ذكراها العذبة تطارده وكاليما خوس يبكى صديقه ويراسى نفسه بخلود مؤلفات ذلك الصديق؛ وبروبيديس فى وصفه لغرق طفل فى الثالثة من عمره. وهناك الابجرامات التى نظمت من أجل الحيوانات الاليفة. كما نجد بعض

الابجرامات تشمل على نغمة صادقة للتعبير عن العواطف التى تربط أفراد الأسرة بالصداقة والعطف فنجد أبولينوس يقدم لنا سيدة صغيرة السن تندب حظها بالقرب من فراش الزوجية، وأما معزة تبذل الجهد والعرق صباح مساء لكى تدبر طعام أطفالها اليتامى. وقد شغل الحب كل الانتاج الأدبى للعصر الهلينستى وقد وصلتنا بعض الأعمال الأصلية المصقولة فمثلا ابولينوس من رودس الذى اشرنا الى اهتمامه بالسببية سطر نجاحا ملموسا فى التطور السيكولوجى لميديا حبيبة جاسون Gason فى ملحمته المعرونه باسم ارجوناوتيكا Argonautica.

ثالثا : التاريـــــخ :

استجاب بعض المؤرخين لأذواق قراء العصر الهلينستى فاستخدموا فى كتابة التاريخ الأساليب المسرحية لكى يجعلوا كتابتهم أكثر حيوية وقبولا عند قرائهم. أشهر هؤلاء دوريس Duris من ساموس وقد كتب تاريخ الفترة المحصورة بين معركة ليوكترا الى حوالى ٢٨٠ ق.م وكذلك فيلارخوس Phylarchus من أثينا الذى زاد على دوريس بوصوله فيما كتب الى ٢٢٠ ق.م. نجد مثلا المؤرخ دوريس يقدم ديمتريوس ابن أنتجونس المشهور ؛ Poliorcetes كبطل دمره تفاخره وتساهله مع نفسه، كما نجح المؤرخ فيلارخوس فى كتابة عصر كليومنيس الثالث ملك اسبرطة وما قام به من اصلاحات اقرل نجح فى كتابة هذا العصر باسلوب

درامى .

ويعتبر المثلان السابقان من أشهر الأوصاف حيوية فى التاريخ القديم.

بالاضافة الى هذه المدرسة كانت هناك مؤلفات أثبتت الأحداث دون تدخل من المؤلف مثل التقارير التى كتبها ضباط الاسكندر وحرسه؛ كتقرير بطليموس عن انتصارات الأسكندر اعتماداً على الوثائق الرسمية؛ وكذلك تقارير نيارخوس Nearchus(١) وارستوبولس Aristobulus(٢) التى كانت هى الأخرى تقارير واعية. وقد ظهر أثر تلك التقارير على ما كتبه أريان (٣) عن الأسكندر (القرن الثانى م). هناك مؤرخ هو Hieronymus من Cardia (٤) والذى كتب عن حروب خلفاء الأسكندر وقد بقيت منه فقرات قصيرة عثر عليها مقتبسة فى أعمال المؤلفين الآخرين

---

(١) كان نيارخوس قائداً مقدونيا، تولى قيادة أسطول الاسكندر من السند الى بابل (٣٢٥-٣٢٤ ق.م). كتب وصفا دقيقا للرحلة حفظه لنا أريانوس.

(٢) كان أرستوبولس إغريقيا من كاسندريا إشترك فى حملة الاسكندر على الشرق وكتب تاريخ الاسكندر. كان مصدراً لاريانوس واسترابون وديودورس.

(٣) كان أريان مولدا من بثينيا عاش فى القرن الثانى الميلادى وحكم كبادوكيا فى عهد هادريان. كتب عدة رسائل عسكرية وتواريخ. أشهر مؤلفاته تاريخ الاسكندر إعتمد فى تأليفه على ماكتبه بطليموس وأرستوبولوس ويعود الفضل الى كتاب أريان فى أغلب مانعرفه عن عصر الاسكندر .

(٤) صاحب هيرونيموس الاسكندر الى آسيا، ثم حارب فى صفوف يومنيس حتى مقتل الأخير فى عام ٣١٦. خدم أنتيجونس الأعور وديمتريوس إبنه كما خدم أنتيجونس جوناتاس إبن الأخير وبقى صديقا له حتى مات حوالى عام ٢٥٠ق.م. مصدر هام لتاريخ الفترة من موت الاسكندر ٣٢٣ الى موت بيرهوس عام ٢٧٢ ق.م. كان مصدراً هاما إعتمد عليه أريان وديودور وبلوتارخ.

بمن فيهم بلوتارخ (١). وعلى كل حال فأن أغلب الكتابات التاريخية فى العصر الهلينستى مالت لاتباع أسلوب دورس التمثيلى وبعضها الاخر كان يكتب بهدف دعائى. ومع هذا وذلك فقد فقدت اغلب هذه المؤلفات.

أعظم مؤرخ هذا العصر هو بوليبيوس (٢) الذى عاش فى القرن الثانى ق.م (من حوالى ١٩٨ - ١١٨ ق.م) وكان هذا المؤرخ اغريقيا عاش فى روما وآمن بها وبدورها فى أنقاذ العالم، كما كان فيما كتبه منحازا بصورة واضحة ضد مقدونيا وأيتوليا، ومع ذلك فأن تاريخه عن تطور روما ونجاحها فى السيطرة على البحر المتوسط فيما بين ٢٢٠، ١٦٧ ق.م عمل عظيم بحق . وتميز عمله بأنه اقتنع بأن الأحداث التاريخية المحلية فى منطقة ما لا يمكن تطورها منعزلة عما يحدث فى فترة معاصرة فى أماكن أخرى ،

---

(١) عاش بلوتارخ مابين ٤٦-١٢٠ ميلادية بيوتى الإصل زار مصر وإيطاليا وأثينا ثم عاد الى وطنه وأصبح كاهنا فى معبد دلفى. كتب مؤلف لحيرات متوازية) خصص كل فصل منها للحديث عن شخصيتين إحداهما يونانية والثانية رومانية. كان يمتز بثقافته وإنتمائه الى اليونان ولكنه تحدث بأمانه عن الشخصيات الرومانية. ويعتبر هذا الكتاب من أعظم كتب السير والتراجم فى العالم القديم. وقد إشتهر أيضا بمجموعة من المحاورات والمقالات من الأخلاق.

(٢) بوليبيوس عاش بين ٢٠٣-١٢٠ ق.م مؤرخ أغريقي ولد فى ميجالوبولس كان إبنا ليكورتاس زعيم العصبة الآخية وكان صديقاً حميماً لفابيين قائد هذه العصبة. وكان ذو كلمة مسموعة فى أمور السياسة الأغريقية. ودعا العصبة الآخية الى إلتزام الحياد بين مقدونيا وروما. وعندما إنتصرت روما نفى وعدد كبير من الآخيين الى روما (١٦٧) حيث صادق أسرة سكيبيو وكتب فى رعايتها " تاريخ عالم البحر المتوسط" من ٢١٩/٢٢٠ الى ١٤٤/١٤٥ ق.م فى أربعين جزءا. لم يصل الينا منها الا خمسة كاملة فضلاً عن بعض شذرات وفقرات من الأجزاء الأخرى. يعتبر كتابه أعظم المؤلفات التاريخية فى كل العصور ومع ذلك يجب أن نأخذ بعض أرائه بحذر.

ولذلك فقد حرص علي أن يتوقف فى كل فترة لكى يقدم حركة التاريخ هنا وهناك. وكان على دراية كاملة بظروف كل طرف من الأطراف حيث كان فى البداية احد المسئولين عن العصبة الاخية ثم أصبح بعد استقراره فى روما صديقا حميما القائد الرومانى سكيبيو أميليانوس Scipio Amilianus الذى تولى تدمير قرطاج (١) . كانت عند بوليبيوس ـ رغم تحيزه لروما ـ رغبة محمومة لمعرفة الحقيقة ، كان كذلك على دراية جغرافية واسعة بمنطقة البحر المتوسط . ولكن صفاته العظيمة كمؤرخ كان يفسدها تحاملة المستمر على الديموقراطية كنظام واعجابه بالاليجاركية فضلا عن اقتناعه بأن روما قد أدخرها القدر للقيام بدور خاص فى التاريخ.

ويجب الانتقل جهود بعض الوطنيين هنا وهناك لتقديم أعمال عن تاريخهم الوطنى باللغه الاغريقية وهو الأمر الذى يدل على أنتشار الهلينستية بين الوطنيين فى العالم الهلينستى . نذكر فى هذا السبيل ماقام به فى القرن الثالث الكاهن Berossos من بابل والكاهن المصرى مانيتون Maneto بكتابة تواريخ بلديهما . كما يجب أن نشير الى أن أول التقارير التى كتبت عن روما فى نفس الفترة كانت بالاغريقية أيضا وتنسب الى Fabius Pictor . كما نعرف سلسلة من المؤرخين اليهود ابتداء من

---

(١) عرف بسكيبيو أفريكانوس الأصغر واسمه بوبليوس كورنيليوس اسكيبيو أميليانوس أفريكانوس نوماتينوس ولد ١٨٥ ومات ١٢٩ ق.م أصبح قنصلا فى عام ١٤٧ أثناء الحرب البونيقية الثالثة. دمر قرطاج. كما تولى القنصليه مرة أخرى فى عام ١٣٤ وخلالها أخضع ثورة فى أسبانيا وحرب نوماتيا. توفى فى ظروف مريبة ويحتمل أنها لم تكن وفاة طبيعية.

ديمتريوس حوالي (٢٢٠ ق.م) الى يوسف Josephus (القرن الاول الميلادي) (١). وكلهم جاهدوا لتقديم ثقافتهم وماضيهم بأسلوب محبب للاغريق وذلك في الدفاع عن ماضيهم ضد ما كان يراه الاغريق من أن تقارير الرومان والآشوريين والمصريين والفرس واليهود كانت مجرد خرافات لايمكن تصديقها . واعتقد الاغريق أن أسلافهم وحدهم هم الذين عاشوا عصر ما قبل التاريخ، واذا لم ينسب الآخرين أنفسهم الى هؤلاء الأسلاف فكل ما يذكرون غير معقول أو مصدق؛ فيمكن وجود أسلاف اغريق لكل دولة اتصلت بهم . وعلى الرغم من أن الرومان قبلوا هذه النظرية بالقول أنهم كانوا أحفاد أحد ابطال طروادة المدعو Aeneas(٢) الا أنهم رفضوا الروايات الأخرى التي قالت بأنهم كانوا أحفاد Odysseus أو هرقل أو إيفاندر الأركادي Evander Arcadian وقد بقيت هذه النظرية سائدة في العالم الى أن حلت محلها مع دخول المسيحيه الرواية اليهودية لأنساب الخليقة.

---

(١) عاش فلافيوس يوسف اليهودي مابين ٣٧و٩٥ ميلادية وهو كاهن ومؤرخ يهودي عينه اليهود في عام ٦٦م حاكما للجليل واسره الرومان عام ٦٧. حصل على حقوق المواطنة الرومانية في عهد فسبيانوس لهم كتبه لحرب اليهود وتاريخ اليهود القديم ورسالة ضد أبيون ودفاع عن اليهود.

(٢) الذي تذكر الأسطورة الرومانية أنه هرب من طروادة حيث وصل الى قرطاج وتقابل مع الملكة الأسطورية ديدو. وبعد فترة تركها وأبحر الى صقلية وزار العالم الآخر ثم نزل بشاطئ إيطاليا حيث وضع الأساس الأول للدولة الرومانية، وبذلك إعتبر جدا للرومان. وأسطورة هذا البطل هي موضوع ملحمة الانيادة التي نظمها فرجيل على غرار الإلياذة الهوميرية.

رابعـا: الأدب الخيالـــي:

اتسع خيال الاغريق بقدر اتساع معارفهم الجغرافية واتصالهم بالشعوب ومعرفتهم بأساطيرها بعد الاسكندر . وهكذا أنتشرت الروايات الخيالية التى كتبها الرحالة، مثل روايات انتيفانس من برجا Antiphanes of Berge الذى ادعى أن هناك بلاداً شديدة البرودة فى الخريف الى الدرجة التى تتجمد كلمات الرجل بمجرد خروجها من فمه، ولايستطيع آخر أن يسمع ما قال إلا بعدما يأتى الربيع . كما أنتشرت الروايات التى يمثل السفر الى مناطق شديدة البعد عنصرا رئيسيا فيها . وقد أنتشرت رواية الاسكندر ـ التى كانت خيالا اغريقيا وشرقيا فى نسخ متباينة التفاصيل وعرفت فى كل أوربا وآسيا خلال العصر الهلينستى .

وعرفت هذه الفترة أيضا أوصافا عديدة للمدن الفاضله (اليوتوبيات) Utopia ولاقت قبولا حسنا عند جماهير عريضة.

وعلى سبيل المثال فأن Euhemeros الذى كان أحد رعايا الملك كاسندر ملك مقدونيا ، كتب رواية حول مدينة فاضلة. وقد أدت هذه القصة الى رواج نظريته القائلة بأن الالهة كانوا فى الأصل ملوكا على الأرض وأنهم ألهوا بعد ذلك.

أن مدينة يوهيمروس الفاضلة تقع على بعد خمسة أيام من شاطئ بلاد العرب ، وكان مواطنوها يتمتعون بالحرية السياسية ولاتعرف نظام الرق

ولايوجد فيها ملكية خاصة للأفراد، فكل مواطن يأخذ قدر حاجته، ولكن أولئك الذين يمارسون مسئوليات أكبر يأخذون أكثر. ولعل تأثير انتشار هذه الروايات كان وراء سماح كاسندر لأخيه Alexarchus أن يقيم مدينة فاضلة تدعى Uranopolis (المدينة السماوية) على جبل آثوس فى شمال بلاد اليونان القارية، ولكننا لانعرف عن تلك المدينة أكثر من بعض قطع العملة قليلة العدد فضلا عن بعض الأخبار مشتتة فى المصادر الأدبية المختلفة.

وهناك رواية أخرى خيالية عن يوتوبيا تقع على جزيرة فى المحيط الهندى ، ويدعى إيامبولس Iambulus كاتب هذه الرواية أنه زار تلك المدينة التى أقيمت على واحدة من سبع جزر تسمى الشمس، وكان سكانها يطلقون على أنفسهم أبناء الشمس، وتأثرا بيوهيميروس فأن ايامبولس ذكر أن السكان كانوا يعيشون فى مجتمع سعيد بدون حروب أو عنف داخلى. ولم يكن هناك رق أو ملكية خاصة وكان المجتمع يملك بصورة جماعية الزوجات والأطفال . وكانت المحاصيل تثمر طوال العام بدون رعاية لها . ولاتوجد أمراض فى ذلك المجتمع ، وكان يتم التحكم فى أعداد السكان عن طريق الموت الاختيارى . كان كل واحد يشارك بنصيب فى إتمام العمل الرئيسى للمجتمع وكان وقت الفراغ مخصص للمتعة العقلية والعبادة للاله.

وهناك أيضا Megasthenes سفير سليوكس الى الهند الذى أدعى بأنه لايوجد رقيق فى تلك البلاد. وهناك أيضا Onesicritus، الذى

شهد حملات الأسكندر وكان وراء أنتشار قصة عن منطقة فى وادى الهندوس إدعى أن أعمار سكانها تمتد الى ١٢٠ عاما (أرجو ملاحظة أن ايامبولس قال أن أبناء الشمس كانوا يختارون الموت عند سن الخمسين بعد المائة) وكان أصحاب Onesicritus يأكلون سويا، ولايستخدمون العملة، وكان العلم الوحيد الذى يدرسونه هو الطب ويعتبرون باقى العلوم خطرا على المجتمع. وفى هذا يجب أن نشير الى أن الاسكوذيين الذين عاشوا فى الشمال كانوا يعيشون حياة بسيطة وصارمة وكان غذاؤهم اللبن والعسل ولايميلون الى اقتناء الثروة. وهكذا نلاحظ أن الكتاب الأخلاقيين حاولوا الهروب من مادية وتصنع ونفاق عصرهم فلجأوا الى الخيال يتحدثون فيه عن النبل والبساطة، وأدخلوا ما أعجبهم من عادات الشعوب المحيطة كعناصر فى قصصهم الخيالية.

١٠- التعليم

خلق العالم الجديد احتياجات جديدة فى ميدان التعليم لم تكن المدن توليها إهتماماً فى العصر الكلاسيكى. فلقد كانت المدن اليونانية القديمة قادرة على القيام بمهمتها التعليمية فى تكوين الاطار الفكرى لكل من الشيوخ والشباب مع الحفاظ على تقاليد المجتمع وذلك من خلال احتفالات المدينة وساحاتها ومجالسها ومشاركة مواطنيها فى العمل. فالمدينة كانت تصنع التواصل بين الأجيال دون حاجة الى نظام تعليمى مستقل عن المجتمع وفيما عدا التعليم العالى أو المتخصص .

كان هناك من يتعلم القراءة والكتابة والحساب كمهارات فنية فقط وكان ذلك يتم فى مدارس خاصة ولعدد قليل. ولكن لم يكن هناك شئ أبعد من هذا سوى الإيبيبيا Ephbia وهى البرامج العسكرية لتدريب الشباب.

كان هذا يتم تحت رعاية المدينة وأما التعليم العقلى أو الفكرى فكان يأخذ حظه من الاهتمام بصورة أوسع فى البيئة والمدينة.

كان هذا فى العصر الكلاسيكى؛ أما فى العصر الهلينستى عندما أنتشر الاغريق والمقدونيون فى البلاد الجديدة حيث لايوجد تراث تعليمى كالذى ساد المدن القديمة. وحيث كانت المدن الاغريقية فى الشرق مجرد

جزر صغيرة فى بحر من السكان الأجانب وحيث كان سكان هذه الجزر الصغيرة حضاريا أخلاط عديدة من الاقاليم الاغريقية.

فى هذا المناخ الجديد ولكى يتحقق خلود الثقافة الاغريقية كان من الضرورى أن ينظم أسلوب التعليم. وكان محور هذا النظام التعليمى هو الى حد كبير الجمنازيوم Gymnasium وأصبح مدير الجمنازيوم «الجمنازيارخ Gymnasiarh» واحدا من أهم الشخصيات فى المدن الجديدة. كانت الجمنازيات المبكرة مؤسسات غير حكومية قامت فى الضواحى حيث كان من السهل ايجاد الأرض الفضاء اللازمة لمنشآت الجمنازيوم حيث تتوفر مصادر جيدة للمياة واشجار الظل الذى كان شيئا مستحبا وأقدم ثلاثة جمنازيات فى اثينا كانت خليطا من المحاريب المقدسة والحدائق وميادين الرياضة وقاعات للدرس وفيما بعد بنى المزيد وتزايدت الأهمية حتى بنى واحد فى الاجورا نفسها «السوق الاغريقية».

وفى العالم الهلينستى زادت أهمية الجمنازيات ففى مصر حيث تشتت الجماعات الاغريقية فى داخل الريف وكانت المدن الاغريقية قليلة أصبح الجمنازيوم هو المركز الحقيقى للحياة الاغريقية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية؛ وبالمثل عندما كان يرغب المواطنون فى البلاد الهلينستية المنتمين الى الطبقات العليا كأرستقراطيات اليهود فى أورشليم اقول عندما كان يرغب هؤلاء اليهود أن يقتبسوا شيئا من الثقافة الاغريقية فأنهم اخذوا بهذا النظام «الجمنازيات» ونتيجة لهذا التطور أصبح الجمنازيوم

بناء محكما يخطط له بدقة وينفذ كوحدة معمارية متكاملة وعناصره الاساسية هي مضمار للجرى التراك ومساحة لرمى القرص والرمح وملعب للمصارعة ومبنى للحمامات وحجرات لتغيير الملابس وقاعات للدرس ومكتبات وأماكن للإمدادات. واعتماداً على المساحة وشكل الأرض المتاحة كان يتم تصميم البناء. ففي دلفي وبرجامرم أقيمت المباني على سفوح التلال فقسموا مختلف المباني والمضامير على المدرجات المختلفة على التلال ولكن التنظيم الاكثر شيوعا كان تخصيص منطقة واسعة يحيطها سور أو صف أعمدة ثم تقام مختلف الحجرات والقاعات على مختلف الجوانب؛ وكانت التماثيل زخارف شائعة في الجمنازيوم وأحيانا كانت الحوائط تغطى بالرسوم وقوائم بأسماء الطلاب والفائزين في المسابقات الرياضية فضلا عن المخربشات.

سعى الاغريق لتحقيق التوازن بين التعليم العقلي والعضلي على الرغم مما كان يحدث من تغلب اتجاه من الاتجاهين في بعض الاحيان. وهكذا نرى أن الجمنازيات خلال الفترة الكلاسيكية ركزت على الرياضة أنما في العصر الهلينستي وقيماً بعد في الفترة الرومانية فأن الرياضات تخلت عن أولياتها للموضوعات العلمية المدرسية.

حدث هذا التغيير استجابة لعدد من الظروف اولها ميل الاستقراطية للتدريب الجسماني في الفترة المبكرة حيث كان هذا يعطى فرصة للفوز في المباريات. ولكن ظهور الرياضيين المحترفين خلال العصر

الهلينستى أدى الى تقليل أهمية الرياضيين الهواة. على أن أهم الأسباب كان الدور الجديد الذى انيط بالجمنازيات فى المدن الهلينستية فقد أصبح الجمنازيوم هو المركز الذى يصون الافكار الاغريقية والمثل الاغريقية حية. وبعد أن فقدت المدن استقلالها وتدهورت أهمية ساحة المدينة وأهمية أماكن الاجتماعات أصبح الجمنازيوم هو مركز الحياة الاجتماعية والثقافية فى المدن الاغريقية وأصبح التعليم عملية مستقلة ومنفصلة عن حياة المدينة وكان مستوى التعليم يختلف ايضا من مكان الى مكان وأدى فقدان قراء العصر الهلينستى للاحساس بالمناخ الذى تمت فيه الأعمال الأصلية والرغبة فى أن يجد هؤلاء القراء قواعد ثابتة فى النصوص، أدى بالأغلبية من بين النقاد الى تفسيرات لما يصادفهم من مشاكل أو قيم تختلف عن قيم عصرهم، مثلما افترض بلوتارخ أن وصف هوميروس للأمير باريس وهلين فى نهاية الكتاب الثالث من الالياذة كان يحمل معنى ادانة العاشقين هو ما يخالف معتقدات هوميروس.

وقد أدت دراسة نفس النصوص الكلاسيكية فى جمنازيات العالم الهلينستى -ادت- الى قيام اسس وحدة ثقافية فحيثما أقيم الجمنازيوم كانت تدرس نفس النصوص تقريبا وبذلك كان يتم توحيد الخلفية الثقافية لاغريق العصر الهلينستى فى كل مكان، كما كان يتحطم أنعزال المدن التى كرسها أنعزال التعليم فى العصور الكلاسيكية، وحقق الجمنازيوم فضلا عن ذلك فرصة الحفاظ على الشخصية الاغريقية فى محيط من الثقافات الاجنبية

القوية.

لقد كان أنعزال الثقافة ونظم التعليم من مدينة الى اخرى خلال العصر الكلاسيكى مسئولا الى حد ما عن أنعزال الناس وعدم قدرتهم على التقارب والتفاعل فى المدن المختلفة ـ اما فى العصر الهلينستى فكل ما كان ضروريا لكى يصبح الانسان اغريقيا هو أن يعرف اللغة الاغريقية وأن يحصل على برنامج تعليم الجمنازيوم.

وبالنسبه للوطنيين فى البلاد المختلفة من العالم الهلينستى كان هذا لايعنى شيئا كثيرا للفقراء الذين لايستطيعون تحمل نفقات هذا النوع من التعليم. ولكن بالنسبة لاصحاب الدخول العالية الراغبون فى هذا النوع من التعليم سواء لانفسهم أو لاولادهم ، فلقد كان الباب مزروبا على الاقل.

صحيح أنه من الناحية النظرية كان هذا التعليم مقصورا على الاغريق الأصلاء ولكن من الناحية العملية كان كثيرون من غير الاغريق قادرين على التسلل الى قوائم الجمنازيوم والاندماج فى الطبقات الاغريقيه العليا.

التعليم العالى :

كثيرون لم ينالوا تعليما أعلى مما كان يقدمه الجمنازيوم المحلى. وأولئك الذين كانوا يرغبون فى الالتحاق بدراسات أعلى كان عليهم أن يسافروا الى واحدةمن المدن الكبرى التى خصصت كراسى فى جامعاتهم

للبلاغة والفلسفة، وهما عماد برامج الدراسة الجامعية فى العالم القديم. من بين هذين الموضوعين كان للبلاغه تقريبا السيادة والاسباب فى ذلك كانت تعود للاهمية العملية للبليغ وعلى خلاف مانال استقلال المدن الاغريقية من أنكماش فأن الامور الداخلية داخل المدن كانت تمارس كما كانت تمارس فى الماضى فساد على وجه العموم، الطراز الديموقراطى للدستور فى كل مكان بعد الاسكندر والى بداية العصر الرومانى ، وسادت معة نفس الاحاديث العامة ومرضوعاتها كما كان الأمر فى الماضى. فهناك مجالس وجمعيات ومحاكم وبعثات قضائية وكلها تقريبا تحتاج لشخصيات لها قدرات فى البلاغة والبيان. وكان نفس الشئ ضروريا بالنسبة للعلاقات الخارجية بين المدن، ونحن نقرأ باستمرار عن بعثات ارسلتها هذه المجموعة أو تلك من المجموعات المتصارعة فى المدن لكى تعرض وجهة نظرها لمام الملك، وفيما بعد أمام الامبراطور. وحتى فى أكثر الموضوعات فردية فأن الخطباء كان لهم دور يلعبونه وعلى سبيل المثال نجد فى العهد الجديد قصة احتجاز بولس الرسول بسبب تحريضه على التمرد فى أورشليم، فاننا نقرأ عن مدعين يأتون الى قيصرية ويحضرون معهم خطيبا اسمه Tertullus لكى يعرض الدعوى أمام الحاكم الرومانى (الاعمال ٢٤: ١) "وبعد خمسة أيام حضر حنانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ وخطيب اسمه ترتلس فعرضوا للوالى ضد بولس فلما دعى ابتداء ترتلس فى الشكايه قائلاً اننا حاصلون". وببساطة لم تكن هناك طريقة سهلة لاستبعاد اهمية الخطابة. لقد

صال الاغريق فى هذا الميدان وجالوا. وبالطبع كانت الخطابة مختلفة جدا عن اذواقنا، ولكنها كانت تعرض مشاكلهم السياسية يوما بيوم. على الرغم من أن عصر الخطابة الرزينة العظيمة فى الماضى قد اضمحل مع اضمحلال حرية المدن.

وهكذا كان الخطيب يستطيع من خلال قدرته أن يقنع الناس بمسألة من المسائل فى الداخل كما كان قادرا على أن يقاوم بنجاح فى ميدان المفاوضة مع المدن والقرى الأخرى التى تحكم العالم السياسى الاغريقى فيما بعد الاسكندر.

ولكى نوضح ما سبق نعود مرة أخرى الى العهد الجديد، الذى يعتبر مصدرا مهما عن أهمية البلاغة فى العصر الهلينستى بما قدمه عن النشاطات المعاصرة. مرة أخرى نعود لبولس الرسول الذى كل قد سبب فى هذه المرة اضطرابا فى افسوس "لان انسانا اسمه ديمتريوس صائغ صانع هياكل فضة لارطاميس كان يكسب الصناع مكسبا ليس بقليل فجمعهم والفعلة فى مثل ذلك العمل وقال ايها الرجال أنتم تعلمون أن صنعتنا انما هى هذه الصناعة ... الى الآية ٢٩ التى تقول "فامتلأت المدينة اضطرابا واندفعوا بنفس واحدة الى المشهد خاطفين ومعهم غايوث والاسترخس المكدونيين رفيقى بولس فى السفر. "هذا وكادت الامور يفلت زمامها من أيدى حكام المدينة ولكن مرة اخرى يظهر الخطباء ويذكر الكتاب المقدس تفاصيل ذلك.

"(٣٥) ثم سكت الكاتب الجمع وقال أيها الرجال الافسيسيون من هو الانسان الذى لايعلم أن مدينة الأفسيين متعبدة - لارطاميس الالهة العظيمة والتمثال الذى هبط من زفس (زيوس) (٣٦) فاذا كانت هذه الأشياء لاتقاوم ينبغى أن تكونوا هادئين ولاتفعلوا شيئا اقتحاما. (٣٧) لانكم اتيتم بهذين الرجلين وهما ليسا سارقى هياكل ولا مجدفين على آلهتكم. (٣٨) فأن كان ديمتريوس والصناع الذين معه لهم دعوى على أحد فانه تقام أيام للقضاء ويوجد ولاة فليرفعوا بعضهم بعضا. (٣٩) وأن كنتم تطلبون شيئا من جهة أمور أخرى فانه يقضى فى محفل شرعى (٤٠) لاننا فى خطر أن نحاكم من أجل فتنة هذا اليوم وليس عليه يمكننا من أجلها أن نقدم حسابا عن هذا التجمع (٤١) لما قال هذا صرف المحفل".

وهكذا نظرا لأهمية الخطابة من الناحية العملية فضلا عن الأهمية التقليدية لها فى التعليم الاغريقى اصبحت دراسة البلاغة هى قمة التعليم وغرض التعليم العالى كله تقريبا على الرغم من اشارات لدراسة الفلسفة. لقد ادعى ازوقراطيس الخطيب فى جداله مع افلاطون أن الجهد المبذول لكى تعلم تلميذا كيف يتكلم له نفس التاثير العقلى لتعليم متعلم كيف يفكر. لقد كانت الفصاحة فى التعبير هى الأمر الذى ميز الإغريقى المتعلم عن الاغريقى غير متعلم من غير الاغريقى، وفى عالم كانت المدن والمواطنة فيها تتضاءل اكثر فاكثر فقد تحول المثقفون الى طبقة اجتماعية فى المجتمع وقد ظهر هذا فى اصرار أهل بعض المرتى على الاشارة الى مكانته

الثقافية على شاهد قبره . ولقد علق افلاطون على الثقافة الاغريقية بقوله أنها أغلى هدية وهبت للانسان . واعتقد أفراد الطبقة العليا في المجتمع الهلينستي بصحة المقولة وسعوا الى تحقيقها.

١١- الفـن والعمـارة فـي العصر الهلينسـتي

أن رعاة الفن فى العالم الهلينستى كانوا متنوعين تنوع المجتمع الهلينستى نفسه. لقد كان الملوك هم الرعاة الأهم للفن نظرا لما أنشئوه من مدن عامة وعواصم على وجه الخصوص. ولكنهم لم يكونوا الوحيدين الذين يرعون الفن بل كان هناك أشخاص من الطبقات العليا والمتوسطة يهتمون أيضا- فضلا عن المدن الاغريقية نفسها كان لهم نفس الاهتمام واقتنوا كثيرا من اعمال الفن المهمة. وكما تنوع رعاة الفن الهلينستى تنوعت موضوعات هذا الفن وأشكاله وغطى هذا التنوع كل الموضوعات من الإفريز الهائل لبرجامون والذى بلغ ٤٠٠ قدما فى طوله الى الحفر على الأحجار الكريمة الذى كان سمة من سمات فن الصياغة فى العصر الهلينستى. لقد كان كل شئ متاح من الشعر المستعار المبتذل (الباروكة) الى أعمال الفن الكلاسيكى الرائعة وكان يمكن الحصول على نسخ من كل التماثيل الأرخية والكلاسيكية من كل نوعية وجودة وحجم ومادة من التجار فى كل المدن الكبرى. وهكذا تبدل الحال فبعد أن كانت المدن هى التى تختار الأعمال الفنية وتتعاقد على المبانى لاشباع حاجات مجتمعها أصبح الأفراد يقومون بشراء المنتجات من السوق لاشباع حاجاتهم. واستخدم الملوك الفن من كل الأنواع والدرجات لأغراض الدعاية. ولكن الأفراد ايضا اقتنوا أعمالا فنية من

أجل وضعها في منازلهم أو تكوين مجموعات خاصة بهم أو لاهدائها لمدنهم. وظهرت طبقة من الهواة خبراء في الفن؛ وظهر في الفن كما ظهر في الأدب حاجز بين المثقفين والجماهير الذين كان مفترضا أن الفن أنتج من اجلهم. ولقد أبرز الزمن اختلافات بين الفنانين حسب الفتره التي عاشوا فيها.

أن الاتساع الضخم على طلب نسخ التماثيل والزخارف من كل الأنواع أضاف بعد التجارة الى أبعاد الفن الأخرى. لقد ادى اتساع العالم الهلينستي والمسافات الهائلة التي تفصل بين مدنه وممالكه أدى هذا الى ضرورة ارتحال الفنانين واختلاطهم بغيرهم واشتراكهم في مشروعات مختلفة وهناك دليل على اتساع دائرة المشتغلين بالفن نفسه في وجود امراة مثالة اسمها هلينا. أنجزت رسما يمثل معركة إسوس Issos بين الاسكندر والفرس.

(أ) المدن الجديدة

كانت المدن وخصوصا العواصم مناطق يستعرض الملوك فيها اسهاماتهم وأنجازاتهم العمرانية. ورغم أنها كانت قلاعا للحكام الا أنها لم تكن مجرد معسكرات مسلحة وعلى عكس المستعمرات الرومانية التي اقيمت على نهري الراين والدانوب؛ لم تكن الأهداف العسكرية فقط هي كل اهتمام المدن الهلينستية فلقد كانت تلك المدن هي الميادين المرنية والدائمة التي تبين

مدى اسهام الملوك والطبقات المثقفة نقول اسهامهم فى تاريخ العالم فى تلك الفترة : لقد كانت الخطوة الاولى فى أنشاء أى مدينة هو استئجار مهندس معمارى كفء يمكنه أن يصمم رسما للمدينة يستخدم فيه مميزات الموقع وفى نفس الوقت يحقق الأهداف العسكرية والادارية والثقافية التى يرمى اليها منشئ المدينة. وكما كان الحال فى كثير من الأنشطه فأن الطريق لتحقيق ذلك ينطلق من اساس موجود على العصر الكلاسيكى وضعه المهندس هيبرداموس Hippodamus منشئ تصميم المدن(١). ويمكننا أن نعرف شيئا عن اسلوب هيبرداموس من مدينتين اقيمتا على نسق تصميمه خلال القرن التالى وهما بيرن و ميليتوس (ملطية)Priene, Miletus فى آسيا الصغرى وفيهما نجد تصميم المدينة قد ربط بطريقة عضوية بين الأجزاء الهامة فى المدينه كالأجورا Agora والمعابد والجمنازيات والمسارح وأحياء السكن والمرافئ وما شابه ذلك؛ ولكن بعض هذه الاجزاء كان يخضع لبعض التعديل حسب ظروف الأرض التى تقام عليها كل مدينة ففى حالة مدينة بيرن كان الموقع على سفح تل بما يحمل من صعوبة وجود مستويات مختلفة لأرض المدينة وفى ميليتوس نجد أرض المدينة عبارة عن لسان ممتد فى البحر والموقع يتميز بعدد من الاماكن الصالحة كمرافئ طبيعية وفى برجامم عاصمة الملك اتالوس واجه المهندس المعمارى مصاعب هائلة

---

(١) هيبرداموس، من ملطية عاش فى القرن الخامس ق.م وقد إشتهرت بتصميمه للمدن بنظام الشوارع المتقاطعة عموديا.

بسبب طبيعة الأرض التى تقع على منحدرات أحد التلال وكان الحل هو اللجوء لتقسيم المدينة الى عدد من الأقسام أنشئ كل قسم على مدرج من مدرجات التل. والاسكندرية (وهذه سنخصص لها دراسة مستقلة) عاصمة دولة البطالمة، اقيمت على شريط ضيق من الأرض محصور بين البحر وبحيرة مريوط بالقرب من مصب أحد فروع النيل (الفرع الكانوبى)، وقد نجح البطالمة فى خلق ميناءأن جميلان باقامة طريق طوله حوالى كيلو متر يربط بين جزيرة فاروس والشاطئ. وقد ربط أحد هذين الميناءين بالبحيرة بواسطة قناة. وكان هناك ميناء ثالث صمم لخدمة التجارة القادمة عبر النيل. وقد اقيمت على الجزيرة واحدة من عجائب الدنيا السبع وهى منارة فاروس التى كان ترتفع ٢٦٠ قدما والتى كان الملاحون يرون نورها على بعد حوالى ٥٠ كيلو مترا. لقد قسمت المدينة على أساس التصميم الكلاسكى وكان بها أماكن مخصصة للقصور الملكية البطلمية ومعبد سيرابيس ومقبرة الاسكندر، والمتحف والمكتبة والجمنازيوم والاستاديوم ومضمار السباق، وكانت هناك شبكة مياه اسفل الشوارع تمدها بماء النيل.

وعلى الرغم من أن العواصم أشهر الأمثلة التى بنيت على أساس تخطيط هيبرداموس فأن مدنا لها نفس الطراز قد بنيت فى كل العالم الهلينستى من أقصاه الى أقصاه. وفى أواخر القرن الثانى كان المثل ما يزال قائما حتى فى الأماكن شديدة البعد من العالم الهلينستى فى افغانستان وباكستان لبناء مدن لها نفس الطراز الشبكى مثل Taxila

Charsada , Begreim الذى تحس فيه التأثير الهلينى.

كان تصميم المدينة يتم أولا ثم تبدأ جهود زخرفة المدينة وتزيينها. وكان يستعان لاتمام ذلك بعمال من رودس وأثينا والاسكندرية ومن أماكن أخرى؛ كما كان الفنانون والصناع (وكل من المهنتين اصبحت مستقلة عن الاخرى) يدعون للعمل فى موقع المدينة وفى بعض الأحيان كان يتم التنسيق بين الفنيين المهنتين.

ونظرا لأن أغلب المدن كانت من أنشاء الملوك فمن الطبيعى أن نلمس حضورا قويا لهم فى المدن. لقد كانت المدن تحمل أسماءهم وعملاتها تحمل صورهم، وكان هناك قطعا من النحت لكى تذكر المواطنين بسادتهم.

(٢) مدينة الاسكندرية

خطط تصميمها المهندس ديتوكراتيس النقراطيسى على نظام هيبوداموس وهى فى ذلك مثل بيريه وروودس وهليكارناسوس، والمعروف أن الاسكندر الاكبر هو الذى اختار موقعها على الشريط الساحلى المحصور بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط. وقد ساهم كل البطالمة فى عمارة المدينة إلا أن النصيب الاكبر قام به كل من بطليموس الأول وبطليموس الثانى الذى استكملت مقوماتها كمدينة اغريقية على عهده وقد بلغت مساحة الاسكندرية عند إنشائها ٣٠ استاديا طولا فى عرض يتراوح بين سبعة وثمانية استاديا (الاستاديون ١٨٢ر٩ م). وقد احاط بها سور طوله ١٥ كم

قيم على السور أبراج على مسافات متقاربة للمراقبة والدفاع عن المدينة. ومعروف أن الاسكندريين كانوا يحتفلون بعيد أنشاء المدينة يوم ٢٥ طوبة من كل عام وهو ما يشير الى أنها أنشئت فى حوالى ٣٠ يناير سنة ٣٣١.

والمدينة كان يخترقها شارعان كبيران يتقاطعان فى وسطها أحدهما من باب كانوب الى باب الغرب والثانى من باب الشمس فى الجنوب الشرقى الى باب القمر وكان عرض كل شارع منهما ٣٠ ياردة وقد توازت معهما بقية شوارع المدينة.

كانت قوانين المدينة تفرض على صاحب كل عقار أن يترك بينه وبين جاره مساحة قدم واحد إلا اذا اتفقا على غير ذلك .

ثم ربط الشاطئ بجزيرة فاروس التى تبعد ثلاثة ارباع ميل عن الساحل وذلك عن طريق جسر عرف بالهبتاستاديا وقد أدى هذا الجسر الى أنشاء ميناءين احدهما الميناء الكبير فى الشرق Megas limen والثانى الميناء الغربى ويعرف باسم Eunostos. وكان الميناءان يتصلان عبر ممرين أسفل الهبتاستاديون. وقامت فى الحى الملكى Broucheion القصور الملكية ومعظم المبانى العامة الهامة كالمسرح والمتحف والمكتبة ومعبد بوسيدون وCaesorium,Timonium وكان هذا الحى يغطى ما بين ربع أوثلث المدينة؛ واقيمت فيه أيضا حدائق الحيوان ودار القضاء والجمنازيوم و Poneion فضلا عن الجبانة الملكية (السوما) اما Hippodromos مضمار السباق فقد اقيم فى الطرف الشرقى من المدنية و Stadium فى الطرف

الغربى واتيم معبد السيرابيوم فى راكوتيس.

واتيم شرق جزيرة فاروس منارة الاسكندرية التى صممها سوستراتوس من كنيدوس وقد بدأ العمل فى بنائها على عهد بطليموس الاول وتم البناء فى عهد بطليموس الثانى حوالى عام ٢٨٠ ق.م وقد بقيت الى حين تهدمها بسبب زلزال حدث فى عام ١٣٠٨م.

ضمت هذه المنارة ثلاثة اجزاء الاول رباعى والثانى ثمانى والثالث اسطوانى وكانت المنارة مقامة من الاحجار ومزخرفة بلوحات منحوتة من المرمر والبرونز وكان المصباح يقوم اعلى تمثال ارتفاعه ثمانية امتار وكان التمثال يقوم على ثمانية أعمدة.

واذا عدنا للمدينة التى ظلت عاصمة لمصر حتى دخول العرب فاننا نعرف أن الاسكندرية، كانت تحصل على مياة الشرب من النيل عبر قناة تخرج من النيل عند كوم الجيزة Schedia على بعد ٢٧ كيلو مترا منها.

عرفت الاسكندرية ميناء ثالثا على البحيرة كان طريق اتصالها بداخلية البلاد كما كان هذا الميناء يستقبل منتجات الشرق الواردة عبر البحر الاحمر. وكان بالاسكندرية غير الجبانة الملكية مدينتين للموتى احداهما فى الشرق والاخرى فى الغرب خارج حدود المدينة. وكانت مدينة كانوب هى منطقة اللهو والراحة بالنسبة لسكان الاسكندرية. عرفت الاسكندرية نشاطا تجاريا وصناعيا هائلا، الا أن مجالها الزراعى لم يقع

حسب المعتاد بالنسبة للمدن الاغريقية قريبا منها وانما كان يقع هرموبولس بارفا.

بلغ سكان المدينة على حد قول ديودوروس ٣٠٠ الف نسمة ولكن يبدو أن هذا الرقم ضم الاحرار دون العبيد وهو ما يضاعف الرقم . عرفت الاسكندرية مجموعة من فئات السكان مثلت كل فئة طبقة منفصلة فكان هناك علية القوم من الاغريق وكانوا اصحاب اهم الطبقات وعرفوا بالاسكندريين وكانوا مواطنى المدينة وكان هناك اغريق من المتميزين ايضا ولكنهم كانوا انصاف مواطنين بسبب عدم اعتماد نسبهم الى قبائل واحياء.

وكان هناك المقدونيون عماد الجيش وكانوا منضمين الى جمعية الجيش وهناك الفرس الذين عاشوا فى المدينة كجالية اجنبية تتمتع بكثير من الحقوق ولذلك اليهود الذين كان لهم من الحقوق فى المدينة ما جعل الاسكندريون يستكثرونها عليهم ويحسدونهم عليها وبالاضافة الى المصريين وعامة الاغريق والعبيد والمعتقين.

وكانت المدينة تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتى فكان لها مجلس شورى الغاه احد البطالمة الاواخر وكان لها استقلال قضائى وعرفت كثيرا من الوظائف المحلية وقد ظلت الاسكندرية محط انظار العالم القديم وساهمت فى تشكيل اداب تلك الفترة الهلينستية حتى عرفت آداب تلك الفترة باسمها.